



**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI (ARAPÇA)**

BAĞDAT'TA RİHLE EDEBİYATI (EL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MUSTAFA ADNAN AL-HAMADANI

TEZ DANIŞMANI: DR. ÖĞR. ÜYESİ HÜSEYİN ARSLAN

**YALOVA
EKİM 2022**



T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI (ARAPÇA)

BAĞDAT'TA RİHLE EDEBİYATI (EL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MUSTAFA ADNAN AL-HAMADANI
(207239057)

TEZ DANIŞMANI: DR. ÖĞR. ÜYESİ: OSMAN SAITOĞLU

YALOVA
EKİM 2022

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez/Proje Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım “BAĞDAT’TA RİHLE EDEBİYATI (EL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ)” başlıklı bu tez çalışmada; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmada yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

Mustafa Adnan AL-HAMADANI

أتعهد وأصرح بأني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: " أدب الرحلات في بغداد الألو سي نموذجاً" وفقاً لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قُدمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقاً للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرح بأن العمل الذي قدمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

مصطفى عدنان الحمداني



ÖNSÖZ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين. فقد يسّر الله تعالى بمنّته وفضله وكرمه عليّ إتمام كتابة البحث، الذي شكّل لي رحلة ممتعة بالاطلاع على كتب الرحالة ومشاهدة الطبيعة والمجتمعات من خلال وصفهم الدقيق والمشوق للبلدان التي رحلوا إليها، وسرّحت طرفي في ولايات الدولة العثمانية وما كانت عليه في أيام أبي الثناء الألويسي، الذي نقل لنا مشاهدته لها بكل صدق وأمانة ووضوح.

وأول ما أتوجه به في هذه المقدمة الاعتراف بالشكر والامتنان لأستاذي الدكتور حسين أرسلان على تفضله بقبول الإشراف، واقتطاع أوقاته من أجل التوجيه والإرشاد إلى الطريقة الصحيحة في توجيه البحث وتجنب الوقوع في الزلل، وأتوجه بالشكر لكل أساتذتي في مرحلة الدراسة الذين لم يألوا جهداً في بذل كلّ ما ينوّي معارفنا ويطور مقدرتنا على البحث.

مصطفى عدنان الحمداني

سبتمبر - 2022





İÇİNDEKİLER

ETİK BEYAN.....	i
ÖNSÖZ	iii
İÇİNDEKİLER	v
ÖZET	ix
ABSTRACT.....	xi
xiii	ملخص الرسالة
1	1. المقدمة
2.....	1.1. مشكلة البحث
3.....	1.2. الهدف من الدراسة
3.....	1.3. الكلمات المفتاحية
3.....	1.4. خطة البحث
4.....	1.5. أهمية البحث: تكمن أهمية البحث بما تعلق به، وتظهر أهمية هذا البحث لكونه:
4.....	1.6. منهجية البحث: المنهج المتبع في الدراسة يقوم على المنهج الوصفي في تحديد المصطلحات، والمنهج التحليلي في المقارنة بين الأقوال وتحليلها.
5.....	2. الفصل الأول: تعريف أدب الرحلات، والتعريف بالنهضة الأدبية في القرن 12-13 الهجريين.
5.....	2.1. المبحث الأول: أدب الرحلات
5.....	2.1.1. المطلب الأول: تحديد مصطلح أدب الرحلات، لغة واصطلاحًا.
11	2.1.2. المطلب الثاني: الدوافع التي ترغب الإنسان في الرحلة.
16	2.1.3. المطلب الثالث: خصائص أدب الرحلة.
18	2.2. المبحث الثاني: النهضة الأدبية والتعريف بكتب أدب الرحلات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين:
18	2.2.1. المطلب الأول: النهضة الأدبية في بغداد وأبرز أعلامها.
24	2.2.2. المطلب الثاني: التعريف بكتب أدب الرحلات.
51	3. الفصل الثاني: التعريف بالإمام الألويسي وكتبه الرحلية
51	3.1. المبحث الأول: التعريف بالإمام الألويسي
51	3.1.1. المطلب الأول: ترجمة الإمام الألويسي



3.1.2. المطلب الثاني: المكانة الأدبية للإمام الألوسي في عصره	67
3.2. المبحث الثاني: التعريف بكتب الرحلة للإمام الألوسي	74
3.2.1. المطلب الأول: وصف وتعريف برحلة الذهاب	75
3.2.2. المطلب الثاني: وصف وتعريف برحلة الإياب	82
3.2.3. المطلب الثالث: وصف وتعريف بكتاب رحلة الذهاب والإقامة والإياب	90
3.2.4. المطلب الرابع: وصف وتعريف برحلة النجف	94
4. الفصل الثالث: الأساليب الفنية في كتب الألوسي الرحلية	97
4.1. المبحث الأول: البناء السردى في رحلات الألوسي، وفيه مطلبان:	97
4.1.1. المطلب الأول: السرد القصصى الواقعى المشوق.	97
4.1.2. المطلب الثاني: توظيف الموروث الشعبى فى السرد القصصى.	104
4.2. المبحث الثانى: التوظيف البلاغى فى أسلوب رحلات الألوسى، وجعلته فى ثلاثة مطالب:	108
4.2.1. المطلب الأول: قبسات من المحسنات البديعية فى لغة المؤلف.	108
4.2.2. المطلب الثانى: توظيف علم البيان فى لغة المؤلف.	119
4.2.3. المطلب الثالث: توظيف الأشعار فى لغة الرحلة.	121
5. الخاتمة	129
المصادر	131
ÖZGEÇMİŞ	143



BAĞDAT'TA RİHLE EDEBİYATI (EL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ)

ÖZET

Ebü's-Senâ el-Âlûsî örneği üzerinden Bağdat'taki rihle edebiyatını ele alan bu araştırma; bir mukaddime üç bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır.

Araştırmacı girişte; insanoğlunun yolculukla ilişkisini, çağlar boyunca yapılan yolculukların Arapların ve Müslümanların hayatındaki önemine temas etmişve bu konuyu seçme nedenlerini açıklamıştır.

Birinci bölümde, rihle (seyahat) edebiyatının lügat ve ıstılah tariflerini verip bu edebiyatın özellikleri ve saikleri üzerinde durmuştur. Ayrıca Bağdat alimleri tarafından rihle edebiyatına dair yazılan bazı eserlerin tanıtmıştır.

İkinci bölümde, Ebü's-Senâ el-Âlûsî'nin hayatı, eserleri ve edebi konumu üzerinde durmuş, ardından da müeellifin rihle edebiyatına dair eserlerini tanıtmıştır.

Üçüncü bölümde araştırmacı, Al-Alusi'nin bu alandaki eserlerinde edebi sanatlara dair üslubuna yer vermiş. Ayrıca bu eserlerdeki ilginç anlatım kurgusu ve yolculukların edebi bir üslupla anlatımını ele almıştır.

Araştırmacı, özellikle hicri 13. yüzyılda Bağdat'ta rihle edebiyatı üzerine yaptığı bu çalışmada ulaştığı en önemli sonuçlara değinerek araştırmaasını sonlandırmıştır.

Anahtar Kelimeler: Rihle Edebiyatı, Ebü's-Senâ el-Âlûsî, Islambol, Vasef, Öznelik

THE LITERATURE OF JOURNEYS IN BAGHDAD, ABU AL-THANA' AL-ALUSI AS A MODEL

ABSTRACT

The present study is a sort of stylistic study that has tackled the literature of journeys in the thirteenth century presenting Abu Al-Thana' Al-Alusi as a model.

Accordingly, the present research has been divided into: an introduction, three chapters and a conclusion.

Starting with the introduction, the researcher has spotted light on the nature of journeys accompanying the human being and how the Arab and Islamic life has been included in those journeys along ages. The reasons and motives have been identified in view of this. The second chapter: the researcher has introduced the life of Abu Al-Thana' Al-Alusi, his works and his literary status, and then has introduced his nomadic works. In the first chapter, the researcher has put forward the definition of travel literature both linguistically and idiomatically, exploring the characteristics and advantages of the literature of those journeys as well as the motives that might lie behind them. The researcher has also stated several nomadic works given by Baghdad scholars that support this study.

Moreover, the researcher, in the third chapter, has tackled the technical methods in Al-Alusi's journey books, shedding light on the interesting narrative construction and the rhetorical methods employed in them. The researcher has concluded his writing by mentioning the most important results reached through his study of this literary art, especially in the 13th century AH in Baghdad.

Keywords: Literature of Journeys, Abu Al-Thana' Al-Alusi, Islam, Description, Subjectivity.



أدب الرحلات في بغداد أبو الثناء الألويسي أنموذجاً

ملخص الرسالة

هذا البحث بعنوان (أدب الرحلات في بغداد أبو الثناء الألويسي أنموذجاً) وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة،

وقد تناول الباحث فيه دراسة فنية لأدب الرحلات عند أبي الثناء الألويسي، وتم تقسيم البحث إلى:

مقدمة: بين فيها الباحث مرافقة الرحلة للإنسان وما اشتملت عليه الحياة العربية والإسلامية من رحلات على مر العصور،

وبيان أسباب اختيار البحث وما يتعلق به.

الفصل الأول: تناول فيه الباحث تعريف أدب الرحلات لغة واصطلاحاً، مع ذكر الخصائص والمميزات لأدب الرحلة

ودوافعها. والتعريف ببعض المصنفات الرحلية التي خطها علماء بغداد.

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث التعريف بحياة أبي الثناء الألويسي ومصنفاته ومنزلته الأدبية، ثم عرّف بمصنفاته الرحلية.

الفصل الثالث: تناول فيه الباحث الأساليب الفنية في كتب الرحلات للألويسي، من خلال البناء السردى المشوق فيها،

وتوظيف الأساليب البلاغية في الرحلة.

وختم الباحث كتابته بذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال دراسته لهذا الفن الأدبي لا سيما في القرن

الثالث عشر الهجري في بغداد.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلات، أبو الثناء الألويسي، اسلامبول، الوصف، الذاتية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أبدع الكون وصوره بأحسن تصوير، فأمر عباده بالتفكر بعجائبه، والتأمل في دقائقه وتناسق أجزائه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾¹، والصلاة والسلام على من أُسْرِيَ به ليلاً ليرى من آيات ربِّه الكبرى، وعلى آله وصحبه الذين هاجروا من

أوطانهم، وفارقوا أولادهم؛ نصرة للدين وإرضاء لرب العالمين، وعلى من سار على نهجهم واستلَّ بسنتهم، وبعد:

فقد رافقت الرحلة الإنسان منذ وجوده على وجه البسيطة، فكانت المشاهد والأمكنة والصور تعلق في ذهنه، فيقوم بنقلها إلى الآخرين عن طريق المشاهدة في المجالس والأسمار، وبعد الرقي المعرفي لدى الإنسان أخذ يدون ما يصادفه في رحلاته من غرائب وعادات وتقاليد ومشاهد، ويعبر عنها بما أحدثت حولها من انطباع في داخله.

ومع تطور الفنون الأدبية لدى الشعوب -ومنها العرب- ظهر نوع من التأليف الأدبي أطلق عليه "أدب الرحلات" سبيله أن يتخذ من الرحلة مادة أدبية، فيكتبها بلغة خاصة، وبناء في له سماته وملامحه التي تميزه من بين الأعمال الأدبية. وقد أخذ هذا الفن الأدبي نصيباً وافراً من اهتمام الباحثين، فأفاضوا في الحديث عن منزلته، وكشفوا عما يضم في صفحاته من ذخائر أدبية.

وتعد كتب الرحلات وثائق مهمة ومصادر أولية أصيلة لدراسة تاريخ البلدان وطبائع الشعوب؛ لأنها تمثل رواية شاهد عيان؛ فهي تُلقي الضوء على نوع الحياة في الشعوب من جوانبها المختلفة من عادات وتقاليد وأشكال الناس وأزيائهم وما هم عليه من اتجاهات دينية وسياسية، كما تلقي الضوء على طبيعة البلدان التي يمر بها الرحالة، فيصف مظاهرها الطبيعية من جبال وأنهار ووديان وزروع، ويصف لنا أشكال المدن والطُّرُز العمرانية التي تتميز به كلُّ بلدة، بالإضافة إلى جمع غرائب الحوادث والأخبار مما يُلدُّ سمعه، كلُّ ذلك بأسلوب أدبي مشوق يعتمد على السرد المتتابع، يغذيها الرحالة بذهنية متخيلة، ويرفدها بالتفاصيل المثيرة؛ لتخرج عن النمط التاريخي والجغرافي في سرد المعلومات. فتؤلف الرحلة بهذا رافداً من روافد المتعة الأدبية.

¹ سورة العنكبوت: 20.

وقد شهدت بغداد بعد الغزو المغولي لها سنة (656هـ-1258م) ركوداً نسبياً في الحركة والتنقل والسفر بسبب الإهمال الذي أصابها من حكامها، فلم تشهد تحسناً في وسائل النقل، مع رداءة الطرق، فضلاً عن هذا انعدام الأمن وكثرة قطاع الطريق، وعلى الرغم من هذه المعوقات فإننا نجد رحلات كثيرة قام بها رحالون عراقيون، واحتفظت لنا خزائن الكتب الخطية بالعديد من رحلاتهم التي سجلوها.

شهد مطلع القرن الثاني عشر الهجري نشاطاً ملحوظاً في الكتابة بهذا اللون الأدبي، وازدهرت بشكل لافت للنظر مع بداية حركة النهضة الأدبية الحديثة، لتستمر بعد ذلك في رفد الخرائن البغدادية والعربية بكم كبير من المصنفات الرحلية، ومن أولئك العلماء الذين أثروا هذا الفن الأدبي الإمام أبو الثناء الألوسي، فقد صنف في هذا المجال ثلاثة كتب كانت شاهدة على علو منزلته بين أدباء عصره، وعلى أن تمكنه من العلوم العربية لا يقل عن براعته في علوم الشريعة.

لم تشهد الدراسات المهمة بهذا الفن الأدبي النثري اهتماماً ملحوظاً بالتراث البغدادي، وبنظرة سريعة على فهرس المخطوطات في أدب الرحلات للأستاذ أسامة النقشبندي الذي أعده، وعنوانه "الرحلات الخطية في دار صدام للمخطوطات"² نجد عدداً كبيراً من المصنفات الرحلية لم تلامس النور إلى يومنا هذا؛ لذا حاولت في هذه الدراسة إلقاء الضوء على هذا الفن الأدبي والتعريف ببعض ما جادت بها القرائح لعلماء بغداد من الرحلات النثرية والشعرية، مع دراسة واستقصاء دقائق هذا الفن عند أبي الثناء الألوسي من خلال كتبه الرحلية؛ كونه من أبرز الشخصيات الدينية والأدبية في القرن الثالث عشر الهجري، ولما حظيت كتبه من اهتمام بالنشر من قبل أهل العلم.

1.1. مشكلة البحث

تحاول الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة:

- 1- ما المراد بأدب الرحلات، وما حقيقته، وما منزلته بين فنون الأدب؟
- 2- لم ظهر هذا اللون الأدبي في بغداد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين؟
- 3- ما المنزلة الأدبية لأبي الثناء الألوسي من خلال كتب رحلاته؟

² ينظر: النقشبندي، أسامة، الرحلات الخطية في دار صدام للمخطوطات، مجلة المورد، المجلد 18، العدد 4، السنة 1989م، ص 236-245.

1.2. الهدف من الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- 1- رسم صورة لهذا الأسلوب الأدبي لدى الإمام الألوسي.
- 2- الوقوف على الألوان الأدبية في كتب الألوسي في هذا الفن.
- 3- إظهار الملكة الأدبية والمقدرة الإنشائية عند الإمام الألوسي من خلال كتبه الرحلية.

1.3. الكلمات المفتاحية

أدب الرحلات، أبو الثناء الألوسي، اسلامبول، الوصف، الذاتية، السرد القصصي.

1.4. خطة البحث

قسمت البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقسمت كل فصل إلى مباحث، وضمت المباحث مطالب، لتصل إلى الخاتمة (نتائج البحث).

الفصل الأول: تعريف أدب الرحلات، والتعريف بالنهضة الأدبية في القرن 12-13 الهجريين، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: أدب الرحلات، ويضم ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحديد مصطلح أدب الرحلات، لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الدوافع التي ترغب الإنسان في الرحلة.

المطلب الثالث: خصائص أدب الرحلة.

المبحث الثاني: النهضة الأدبية والتعريف بكتب أدب الرحلات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وتحت مطالبان:

المطلب الأول: النهضة الأدبية في بغداد وأبرز أعلامها.

المطلب الثاني: التعريف بكتب أدب الرحلات.

الفصل الثاني: التعريف بالإمام الألوسي وكتبه الرحلية، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الألوسي، وجعلته في مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة الإمام الألوسي.

المطلب الثاني: المكانة الأدبية للإمام الألويسي في عصره.

المبحث الثاني: التعريف بكتب الرحلة للإمام الألويسي، وجعلته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: وصف وتعريف برحلة الذهاب.

المطلب الثاني: وصف وتعريف برحلة الإياب.

المطلب الثالث: وصف وتعريف بكتاب رحلة الذهاب والإقامة والإياب.

المطلب الرابع: وصف وتعريف برحلة النجف.

الفصل الثالث: الأساليب الفنية في كتب الألويسي الرحلية، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: البناء السرد في رحلات الألويسي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السرد القصصي الواقعي المشوق.

المطلب الثاني: توظيف الموروث الشعبي في السرد القصصي.

المبحث الثاني: التوظيف البلاغي في أسلوب رحلات الألويسي، وجعلته في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبسات من المحسنات البديعية في لغة المؤلف.

المطلب الثاني: توظيف علم البيان في لغة المؤلف.

المطلب الثالث: توظيف الأشعار في لغة الرحلة.

الخاتمة: النتائج التي توصلت إليها في الرسالة.

1.5. أهمية البحث: تكمن أهمية البحث بما تعلق به، وتظهر أهمية هذا البحث لكونه:

1- يتعلق البحث بعلم من أعلام النهضة الإسلامية في القرن الثالث عشر، والكشف عن جانب عظيم من مواهبه العلمية.

2- إبراز الألوان الأدبية التي تضمنتها كتب الرحلات عند الألويسي.

1.6. منهجية البحث: المنهج المتبع في الدراسة يقوم على المنهج الوصفي في تحديد المصطلحات، والمنهج التحليلي في

المقارنة بين الأقوال وتحليلها.

2. الفصل الأول: تعريف أدب الرحلات، والتعريف بالنهضة الأدبية في القرن 12-13 الهجريين

2.1. المبحث الأول: أدب الرحلات

2.1.1. المطلب الأول: تحديد مصطلح أدب الرحلات، لغة واصطلاحاً.

أدب الرحلات اسم علم مركب إضافي، وتعريفه يقتضي معرفة جزأيه (المضاف: أدب) و (المضاف إليه: الرحلات) لأنهما يكونان حقيقته.

مفهوم الأدب لغة واصطلاحاً:

لفظ الأدب مما تباينت فيه الأنظار وتعددت فيه الآراء، ويرجع ذلك للتطور الدلالي الذي مرَّ به هذا اللفظ، وتقلُّبه في العربية على ثلاثة أطوار لغوية - كما يراها مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ-1937م)³، وسنأتي على بيانه حسب الأطوار التي مرَّ فيها:

العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام: استعمل هذا اللفظ في الجاهلية وصدر الإسلام أولاً بمعنى الدعوة إلى الطعام، فيقول ابن فارس (ت 395هـ-1004م): " (أَدَب) الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرَّع مسائله وترجع إليه: فالأدب أن تجتمع النَّاسُ إلى طَعَامِكَ. وَهِيَ الْمَادَّةُ وَالْمَادَّةُ. وَالْأَدَبُ الدَّاعِي. قَالَ طَرَفَةُ:

نَحْنُ فِي الْمَشْنَتَةِ نَدْعُو الْجَفْلَى
لَا تَرَى الْأَدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ
وَالْمَادِبُ: جَمْعُ الْمَادَّةِ [والمأدبة]، قَالَ شَاعِرٌ:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي فَعْرِ غَشَّهَا
نَوَى الْقُسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ"⁴.
واستعمل أيضاً بمعنى الخلق الحسن وتهذيب النفس، كما جاء في وصية أمانة بنت الحارث الشيبانية⁵ لابنتها، تقول فيها:

³ ينظر: الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق، تاريخ آداب العرب، الناشر: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، (21/1).

⁴ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م. مادة (أدب)، (74/1).

⁵ فصيحة نبيلة جاهلية. كانت زوجة عوف بن محم الشيباني. لها وصية تعد من أفضل ما قيل في موضوعها، أوصت بها ابنة لها تزوجها ملك كندة الحارث بن عمرو. تنظر ترجمتها في: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، سنة الطبع 2002م، (11/2).

"أي بنية، إن الوصية لو تُركت لَفُضِّلَ أدبٌ تُركت لذلك منك"⁶. وهذا النص مما فات الدكتور شوقي ضيف (1426هـ-2005م) فيقول: "وربما استُخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلفي؛ غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن"⁷.

وهذه الكلمة قد استعملت في عصر الإسلام في المعنى الحسي وفي المعنى النفسي الذي ينطوي على تهذيب النفس ومحاسن الأخلاق، فقد روي في الحديث: "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي"⁸.

العصر الأموي: احتفظت لفظة الأدب بالمعنى التهذيبي وحسن الخلق، غير أنَّ توسعاً طرأ عليها في مدلولها؛ إذ اكتسبت معنى آخر وهو معنى تعليمي؛ إذ نشأت طبقة من المعلمين في هذا العصر أطلق على بعضهم لفظ المؤدبين، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء فيلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وأتاح هذا الاستخدام لكلمة أدب أن تكون مقابلةً لكلمة العلم الذي يطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها⁹.

العصر العباسي: احتفظت كلمة الأدب في هذا العصر بالمعنيين التهذيبي والتعليمي، فهذا ابن المقفع (ت 142هـ-759م) يصنف رسالتين تتضمنان ضرباً من الحكيم والنصائح الخلقية والسياسية، يُعَنِّون إحداها بـ "الأدب الصغير" والأخرى بـ "الأدب الكبير"، ونجد الشاعر أبا تمام (ت 231هـ-845م) في حماسته التي اختار فيها طرائف الشعر، قد عنونَ للباب الثالث منها باسم "باب الأدب"، ثم استفاضت الكلمة بمعناها التعليمي لتطلق على معرفة الأشعار والأمثال وأخبار العرب واللغة، ونزلت منزلة الحقائق العرفية في الاصطلاح¹⁰.

قال شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ-1659م): "(أدب) قال المطرزي: الذي كانت العرب تعرفه أنه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم، قال الغنوي:

⁶ ينظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 518هـ-1124م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، (263/2).

⁷ شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة 11، ص 8.

⁸ روي الحديث من طرق عديدة عن علي وابن مسعود -رضي الله عنهما- قال السخاوي: "وسنده ضعيف جداً، وإن اقتصر شيخنا [ابن حجر] على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح". السخاوي: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: 902هـ=1496م)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985م، ص 73.

⁹ ينظر: الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق، **تاريخ آداب العرب**، (21/1)، شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، ص 8.

¹⁰ ينظر: الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، (21-22)، شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، ص 8-9.

لا يمنعُ الناسُ مَنِّي ما أردتُ ولا أعطَـيهم ما أرادوا حسنَ ذا أدباً¹¹
واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر أدبياً، وعلوم العربية أدباً، وسموا هذه العلوم أدباً، وذلك مولد¹².

ولم يتوقف هذا التوسع للفظ، ولم يقف عند المعنى التعليمي الخاص بالشعر والنثر وما يتصل بهما، بل بلغ الحد الذي يطلق فيه على كل المعارف الدينية وغير الدينية، فهي تشمل جميع ألوان المعرفة وخاصة علوم البيان واللغة¹³. وبهذا المعنى نقل ابن خلدون (ت 808هـ-1405م) عن الأدباء في حدِّ الأدب أنَّه: "حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علمٍ بطرف¹⁴".

وفي أواسط القرن الثامن عشر الميلادي أخذت تدل كلمة أدب على معنيين:
الأول: المعنى العام: يشمل كل ما أنتجه العقل الإنساني، مهما يكن موضوعه، ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علماً أم فلسفة أم أدباً خالصاً، ويقابل هذا المعنى بالفرنسية Litterature.
والآخر: المعنى الخاص: وهو مجموع ما ينتجه العقل مع الشعور، ولا يراد منه مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يجمع إلى ذلك أسلوباً جميلاً يعبر به عن مكونات الضمائر وسوانح الخواطر، ويُحدث في نفس سامعه وقارئه لذة فنية وانفعالاً يحرك المشاعر والأحاسيس.

ويشتمل هذا النوع من الأدب على أنواع الشعر وأنواع النثر كالقصة والمسرحية والأمثال والمقامة والخطبة، وما أُلِّف بفصيح العبارة وطلاوة الإنشاء من التواريخ ووصف الرِّحل والأسفار¹⁵.

وهذا النوع هو الذي يطلق عليه "الأدب الإنشائي" أو "الإبداع"، الذي يعبر عنه الدكتور طه حسين (ت 1393هـ-)

¹¹ رجل من قبيلة غنى، ينظر: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمغ (المتوفى: 216هـ)، الأصمعيات، المحقق: أحمد مُجَدِّ شاكِر - عبد السلام مُجَدِّ هارون، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: السابعة، 1993م، ص 56.

¹² الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن مُجَدِّ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق مُجَدِّ عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الحرم الحسيني، مصر، الطبعة الأولى، 1371هـ=1952م، ص 49.

¹³ ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص 9-10.

¹⁴ ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَدِّ الحضرمي الإشيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، (1/ 763).

¹⁵ ينظر: نالينو، المستشرق كارلو، تاريخ آدب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، بعناية مريم نالينو، الناشر: دار المعارف - مصر، 1954م، ص 41. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص 10.

1973م) بهذه الكلمات التي تفصح عن دوره في حياة الأديب والمجتمع، فيقول: "هو هذا النحو الفني حين يتخذ طريق الكلام؛ مثله كمثل التصوير والغناء وغيرهما من هذه الفنون التي تمثل ناحية الجمال في نفوسنا، هذا الأدب الإنشائي هو الأدب حقاً، هو الأدب الصحيح بمعنى الكلمة، هو الأدب الذي ينحل إلى شعر ونثر، والذي ينتجه الكتاب والشعراء؛ لا لأنهم يريدون أن ينتجوه، بل لأنهم مضطرون إلى إنتاجه اضطراراً في أول الأمر، بحكم هذه الملكات الفنية التي فطرهم الله عليها ... هو مرآة لنفس صاحبه، وهو مرآة لعصره وبقيته كلما عظم حظه من الجودة والإتقان"¹⁶.

مفهوم الرحلات لغة:

الرحلات جمع رحلة وهي مصدر رحل، قال ابن فارس: "(رَحَلَ) الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ فِي سَفَرٍ. يُقَالُ: رَحَلَ يَرْحُلُ رَحْلَةً. وَجَمَلَ رَحِيلٌ: ذُو رَحْلَةٍ، إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَى الرِّحْلَةِ، وَالرِّحْلَةُ: الْإِرْتِحَالُ"¹⁷.

ويعرف ابن سيده (ت 458هـ-1065م) بالكلمة في مادة (السير والإجماع عليه) فيقول: "ارتحل البعير رحلة - أي سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم، والترحّل والارتحال - الإرتحال"¹⁸.

ويأتي الرّمحشري (ت 538هـ-1143م) بمعاني الكلمة ويجمعها بقوله: "رحل عن البلد: ظعن عنه، وارتحل وترحل، ورحلته أنا. وغداً يوم الرحيل والرحلة، ومكة رحلتي: وجهي الذي أريد أن أرتحل إليه. وأنتم رُحلتِي. وفلان عالم رُحْلَة: يرحل إليه من الآفاق"¹⁹. (الرحالة) الكثير الرحلة العالم بالأسفار (والتأه للمبالغة)²⁰.

وتتطور الكلمة في اتساعها الدلالي في العصر الحديث لتطلق على كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى²¹.

¹⁶ حسين، الدكتور طه، في الأدب الجاهلي، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة الرابعة، ص 38-39.

¹⁷ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (رحل) (2/ 497).

¹⁸ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ-1996م، (3/ 304).

¹⁹ الرّمحشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، مادة (رحل)، (1/ 343).

²⁰ ينظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3- 1414 هـ. مادة (رحل)، (11/ 277).

²¹ ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م، مادة (رحل)، (1/ 335).

فالمعنى المحوري لكلمة (الرحلة) هو الانتقال والسفر إلى أماكن بعيدة بواسطة مُعدة للركوب والسير، وهذا القيد مأخوذ من إطلاق العرب لفظ (الرَّحْل) على ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾²².

أدب الرحلة (اصطلاحاً)

من الصعب أن نجد تعريفاً جامعاً مانعاً لمصطلح "أدب الرحلة" لا سيما وأن بعض الباحثين أبدى بعض التحفظ حول هذا اللون الأدبي؛ كون المادة التي تضمها دفتي أي كتاب من هذا التصنيف إنما هي معلومات جغرافية واقتصادية وعمرانية وسياسية واجتماعية، وأن لغة هذه الرحلات في الغالب الأعجم إنما هي لغة ثرية لا تتجاوز الوصف والسرد، ويعدم فيها الإبداع النثري والألوان البلاغية.

وهذا القول من أصحابه ينقضه الواقع لكتب الرحلات، كونها تضم ثروة معلوماتية هائلة، ومستودعاً خصباً للقصص والأفكار بأساليب أدبية تتميز بالعدوبة دون تكلف أو صنعة، ترفع بها إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني²³. ولبروز أدب الرحلة في العصر الحديث لوناً أدبياً داخلياً في موضوعات الأدب، فقد حاول بعض الباحثين وضع تعاريف لهذا الفن توطئ حدوده وتحدد مفاهيمه، ولكن من الصعب الوقوف على حد جامع دقيق؛ لاختلاف وجهات نظر الباحثين حول هذا اللون الأدبي، ويفسر الأستاذ شعيب حلقي سبب الاختلاف بقوله: "وتأتي صعوبة تحديد وصياغة مفهوم للرحلة من عدة اعتبارات أساسية، منها: غياب تعاريف دقيقة، ووجود نصوص رحلية كثيرة ثرية ومتنوعة، وانفتاح النص الرحلي على عناصر أخرى متحركة تحضر أو تختفي بدرجات متفاوتة بين النصوص"²⁴.

²² يوسف:70. وينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (رحل)، (335/1)، جبل، الدكتور محمد حسن حسن (توفي 1436هـ-2015م)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الناشر مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2002م، ص 775.

²³ الحمد، محمد بن مسعود، موسوعة الرحلات العربية والمعرية المخطوطة والمطبوعة، طبعة الفاروق الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، ص 22. العايب، وهيب، وقرشي، نورة، أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات، بحث لمتطلبات شهادة الماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة متنوري - قسنطينة، ص 12.

²⁴ محمد، محمد نسيم، أدب الرحلة في شبه القارة الهندية، ص 482.

وعلى الرغم من صعوبة الوقوف على تعريف جامع، لكن لا بدّ من التعرّف على بعض التعاريف وتوضيحها، فقد جاء في "الموسوعة العربية" تعريفه على أنه: "ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان"²⁵. وعرّفه أصحاب "قاموس المصطلحات الأدبية" بأنه: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق"²⁶.

ويعرفه الدكتور ناصر الموائى بأنه: "ذلك النثر الذي يصف رحلة -أو رحلات- واقعية، قام بها رحال متميز، موازناً بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرّنين؛ بهدف التواصل مع القارئ والتأثير عليه"²⁷.

ويأتي تعريف إنجيل بطرس أشمل التعاريف إحاطة بهذا الفن؛ فيقول: "أدب الرحلات: هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفاً له، ويسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"²⁸.

والملاحظ على هذه التعاريف أن بعضها اتسم بالتوسع في التعريف فأدخل فيه ما ليس من جنس الأدب الرحلي، كما هو الحال مع تعريف "الموسوعة العربية" و"قاموس المصطلحات الأدبية"، بينما نجد في التعريفين الآخرين حصر الموضوعات الرحلية بالواقعية وجمال الأسلوب كما نجده عند الدكتور ناصر الموائى وإنجيل بطرس.

ويمكن من خلال هذه التعاريف أن نوضح أهم عناصر أدب الرحلة:

- المادة الأدبية لهذا الفن تُجمّع من خلال المشاهدات التي يقوم بها صاحب الرحلة.
- الرحلة الأدبية تتسم بالدقة وكثرة التفاصيل، خلاف الرحلة الجغرافية التي يعنى صاحبها بالمساحات والإحصاءات وما شابه ذلك عند وصفه لبلد من البلدان.

²⁵ الموسوعة العربية العالمية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة 1419هـ-1999م، (11/ 141).

²⁶ يعقوب، الدكتور إميل، وبسام بركة، ومي شبحاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي - انكليزي - فرنسي، الناشر: دار العلم للملايين - لبنان، ط: 1، 1997 م، ص 25. وينظر: يعقوب، الدكتور إميل بديع، وعاصي، الدكتور ميشال، المعجم المفصل في اللغة والأدب، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، سنة 1987، (1/ 62).

²⁷ الموائى، الدكتور ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ-1995م، ص 41.

²⁸ سمعان، إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال - مصر، العدد 7، 1975م، ص 52.

- تُحَقِّقُ كتب الرحلات أدبيتها من خلال اقترابها من النص الأدبي، وتبتعد عن هذا الحقل بالابتعاد عنه.
- يضم الرحالة في أدب الرحلات مشاعره وانطباعاته إلى الوصف الخارجي للبلد المرتحل إليه، ويعبر عما يدور في داخله بأسلوب أدبي مؤثر.

2.1.2. المطلب الثاني: الدوافع التي ترغب الإنسان في الرحلة.

تحمل دوافع عديدة وغايات محمودة الإنسان إلى قيامه بالرحلة إلى أماكن كثيرة، وترغبه فيها، هذه الدوافع إما أن تكون ذاتية وهي الأساس الذي تبنى عليه الرحلة، أو دوافع عامة تكون مبرراً مقبولاً لها.

والرحلة في أساسها غاية وضرورة، أي أنها ليست ترفاً ولا سبباً لنيل حظوظ نفسية، إنها كما يقول عنها أحد الباحثين: "عادة ضارة" ولكن هذا الضرر قد يتحول إلى ظفر إذا نجحت الرحلة في تحقيق أهدافها، يقول الدكتور ناصر الموائي: "إن المقصود بالضرورة هنا: الضرورة الذاتية التي تدفع الإنسان للرحيل رغم أنها قد تكون مضادة لرغبته، أو منافية لتوجهاته العقلية ومخالفة لاستحسان الآخرين"²⁹.

وهذه الرحلات قد تختلف فيما بينها باختلاف المقاصد والأشخاص كما تختلف من زمن إلى زمن، وتتخذ أشكالاً متغيرة بحسب الطموحات والرغبات التي يقصدها الرحالة، وسأحاول رصد أهم الدوافع والأسباب للرحلة دون إدعاء الحصر، غير أنها لا تخرج عن كونها من الأمور التالية³⁰:

أولاً: دوافع دينية: وهي أسمى الدوافع وأشرف الأهداف التي يحرص الإنسان على القيام بها، وقد اتخذ هذا النوع من الدوافع أشكالاً عديدة، وتمثلت أقسامه في الأغراض التالية:

الرحلة إلى الديار المقدسة، تلبية للنداء الديني الذي يفرضه على معتنق تلك الديانة، ومن أعظم الأماكن في الإسلام مكة المكرمة، وهي أوج الرحلات وطموح المرتحل، حيث يرحل المسلمون طوعية لأداء هذا الركن العظيم طلباً للمغفرة والتطهر من

²⁹ الموائي، الدكتور ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص 29.

³⁰ ينظر: قنديل، فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، الناشر: مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة الطبع 2002م، ص 19. بادشاه، حافظ محمد، الحجاز في أدب الرحلة العربي، الناشر: الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد - باكستان، سنة 2013م، ص 16. الموائي، الدكتور ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص 29. محمد، نسيم، أدب الرحلة في شبه القارة الهندية، ص 485. الحمد، محمد بن مسعود، موسوعة الرحلات العربية والمعرية المخطوطة والمطبوعة، ص 11.

درن الذنوب؛ ولهذا كثرت في التراث العربي والإسلامي مصنفات "الرحلات المكية" أو ما أطلق عليها "الرحلة الحجازية"³¹، وهذه الرحلة كان يصحبها عادة زيارة قبر الرسول ﷺ - والأماكن المقدسة التي لها اعتبار خاص في نفوس المسلمين.

1- **نشر الدين والمعتقد**، وهو سبب قوي من أسباب الرحلة الدينية، إذ يقوم بها صاحبها لنشر معتقداته التي يرى فيها صلاح الناس، ومن أعظم هذه الرحلات ما قام به المسلمون على مَرَّ العصور في الرحلة لنشر الإسلام، ومن الرحلات في العصر الحديث ما قام به العالم المصري علي أحمد الجرجاوي سنة (1906م) لحضور المؤتمر الديني الذي عقد في اليابان بأمر حاكمها، الذي تنحصر أعماله في البحث في أصول كلِّ دين. فقام بهذه الرحلة طوعية، ومثَّل فيها المسلمين، ودوَّن رحلته هذه بكتاب أسماه "الرحلة اليابانية"³².

ومن الرحلات الدينية ما دوَّنه الراهب الأب فيليب الكرمللي في رحلته من فرنسا إلى بلاد فارس بتكليف من رؤساء الدير للآباء الكرمليين، وقدم إلى العراق سنة (1629م) عن طريق حلب مروراً بعانة فبغداد ومنها إلى بلاد فارس، ودوَّن رحلته هذه بمصنف أسماه "الرحلة المشرقية"³³.

2- **الهجرة**، وهي الخروج من بلد لا يستطيع فيه أداء الشعائر الدينية، ويلقي اضطهاداً بسبب معتقده، فينتقل إلى بلد آخر يؤمن له القيام بواجباته الدينية، ومن الأمثلة الحية لدى المسلمين هجرة الصحابة الأوائل إلى الحبشة والمدينة المنورة؛ فراراً من اضطهاد قريش وظلمهم، وخوفاً من الفتنة³⁴، ومنها ما قام به أصحاب الكهف فراراً بدينهم وخشية من الحاكم ويطشه³⁵.

3- **السياحة للتفكير والتدبر في ملكوت الله سبحانه**، وهذا الدافع للرحلة قد حثَّ عليه الإسلام؛ ترسيخاً لإيمان الإنسان،

³¹ ينظر: الباباني، إسماعيل بن مُجَّد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: 1339هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، أوفسيت، (1 / 176، 483، 715، 763) (2 / 144، 220). وينظر: بادشاه، حافظ مُجَّد، الحجاز في أدب الرحلة العربي، ص 218-258.

³² الجرجاوي، علي أحمد، الرحلة اليابانية، الناشر: مؤسسة الهنداوي، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2012م، ص 10.

³³ الكرمللي، الأب فيليب، الرحلة المشرقية، ترجمة وتعليق الأب د. بطرس حداد، الناشر، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 155.

³⁴ ينظر: ابن هشام، جمال الدين أبو مُجَّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، (1 / 320، 468).

³⁵ سورة الكهف: 10 - 20.

كما ورد في النصوص القرآنية من حيث على التأمل في المخلوقات، والاتعاظ بآثار الأمم السالفة البائدة، والتعرف على مظاهر القدرة في الخلق، فمن الآيات التي وردت قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾³⁶، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³⁷. ومن الرحلات التي نص صاحبها على هذه الغاية رحلة "مسلية الغريب بكل أمر عجيب" لكايتها عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي (توفي بعد سنة 1282هـ=1865م)؛ إذ يقول فيها: "فطلبت المسير بإحداها قصداً للسياحة والتأمل بكل ساحة، إذ هي تزيد اليقين ويتأكد بالنظر لعظمة القدير المبين"³⁸.

ثانياً: الدوافع العلمية أو التعليمية

حث الإسلام على طلب العلم ورغب فيه، ورفع درجة العلماء على غيرهم، وأنزلهم منزلة سامية فجعلهم ورثة الأنبياء، ويرى أهل العلم أنّ من كمال العقل والعلم الرحلة في طلبه، فقد روى الخطيب البغدادي (ت 463هـ-1071م) بسنده عن يحيى بن معين (ت 233هـ-848م)، قال: "أَرْبَعَةٌ لَا تُؤْنَسُ مِنْهُمْ رُشْدًا: خَارِسُ الدَّرْبِ، وَمُنَادِي الْقَاضِي، وَابْنُ الْمُحَدِّثِ، وَرَجُلٌ يَكْتُبُ فِي بَلَدِهِ، وَلَا يَزُحِلُّ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ"³⁹. ويقول ابن خلدون: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم؛ والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعلماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاماً وأقوى رسوخاً"⁴⁰.

ومن الرحلات العلمية التي قصّها الله تعالى علينا في كتابه الكريم رحلة موسى -عليه السلام- إلى العبد الصالح؛ لينهل منه العلم الذي لا يعلمه، مع بيان ما عانى موسى -عليه السلام- حتى بلغ ذلك المعلم الكريم، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾⁴¹ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

³⁶ سورة آل عمران: 137.

³⁷ سورة العنكبوت: 20.

³⁸ تاريخ المسلمين في البرازيل - الشيخ عبد الرحمن البغدادي في بلاد السامبا. ثلاث مقالات على موقع طريق الإسلام.

³⁹ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (المتوفى: 463هـ-1070م)، الرحلة في طلب الحديث، المحقق: نور الدين عتر الناشر:

دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1395، ص 89.

⁴⁰ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (1/ 744).

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُبْزَ وَمَا أَنْسَدِينِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَزْدَدَا عَلَىٰ ءَانَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ . وتزخر كتب التراجم للمحدثين والفقهاء واللغويين وغيرهم بذكر رحلاتهم في طلب العلم⁴².

وقد تكون هذه الرحلات ليست لغرض طلب العلم وإنما تكون لجمع المصادر والمؤلفات العلمية، كما يقول ابن رشيد⁴³ في رحلته المشرقية "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة": "ولم يكن توجهي للإسكندرية عازما على التغريب، ولكن لأخذ كتب كنت أودعتها هناك، ونيتي العودة إلى مصر برسم القراءة". ويعلق الأستاذ الحسن الشاهدي على هذا النص بقوله: "فاهتمام ابن رشيد بالكتب والبحث عنها والعمل على اقتنائها يلازمه في كل مراحل الرحلة، يقصد أسواق الكتبيين لشرائها، وينتقي أجودها من حيث الخطوط والأشكال، ومن ثم يبقى شديد الأسف والحسرة إذا لم يتم له الحصول على ما يرغب فيه من هذه الكتب"⁴⁴.

ثالثاً: دوافع تجارية واقتصادية

تُعد التجارة من أقوى الدوافع التي تدعو الإنسان إلى الرحلة؛ لما لهذا النشاط من أثر مادي يعود على الفرد أو الجماعة، ومن الأمثلة الحية على هذه الرحلات ما جاء في القرآن الكريم في ذكر أهل مكة وإلْفَهم الخروج إلى الشام صيفاً وإلى الحبشة واليمن شتاءً، فقال تعالى: ﴿لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ ۖ إِلْفَهمُ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾⁴⁵.

⁴¹ سورة الكهف: 60-69. وينظر: الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص 97.

⁴² ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985م، (9/394، 11/483، 12/109، 13/17، 14/98، 17/280).

⁴³ هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن عمر ابن رشيد الفهري السبتي (657-721هـ)، يقول الحافظ ابن حجر: "صنف الرحلة المشرقية في ست مجلدات وفيه من الفوائد شيء كثير وقفت عَلَيْهِ وانتخبت مِنْهُ" العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ / 1972م، (5/369).

⁴⁴ الشاهدي، حسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، طبع بمطابع عكاظ، المغرب - الرباط، سنة الطبع 1990، (1/92).

⁴⁵ سورة قريش: 1-2.

وهذه الرحلات التجارية قد تكون لتبادل السلع في منطقة أخرى، أو لفتح أسواق جديدة في بلدان تنفق فيها سلعهم، أو تكون لجلب سلع نادرة تستوجب السفر إلى أماكن بعيدة. ومن تلك الرحلات ما قام به التاجر الإيطالي فيدريجي -من أهل البندقية- من رحلة إلى الهند والشرق الأقصى بحثاً عن الأحجار الكريمة، وفي طريقه من البندقية مرَّ بحلب، وبعدها دخل العراق عن طريق نهر الفرات فمرَّ بالفلوجة، ثم واصل الطريق البري إلى بغداد ونزل إلى البصرة عن طريق نهر دجلة، ومنها اتجه بحراً صوب الهند، وفي طريق عودته مرَّ بالبصرة ومنها إلى بغداد فحلب، وبعدها زار الأماكن المقدسة في فلسطين، ليكمل بعدها رحلته إلى وطنه، فوصل البندقية في (5 تشرين الثاني 1851م)⁴⁶.

رابعاً: دوافع سياسية

وهي الرحلات التي تقوم على غرض سياسي يقوم بها الدبلوماسيون بين الدول أو تقوم بها الوفود التي يبعث بها الحكام إلى حكام دول أخرى، لغرض عقد الاتفاقات أو توثيق العلاقات أو لحل النزاعات أو لفك الأسرى. ومع أن العالم اليوم أصبح -كما يقال- قرية صغيرة بسبب التطور العلمي في وسائل الاتصالات إلا أن هذه الرحلات لم تفقد أهميتها وفعاليتها في الحياة السياسية؛ كون هذه الأجهزة لا تؤدي جميع الأغراض والمهام التي يقوم بها الموفد السياسي. ويتجلى في هؤلاء السفراء المستوى العلمي الممتاز، فيختارون من النخب من أهل العلم وأعيان البلد، ومن النماذج القريبة لهذه الرحلات رحلة العلامة محمود شكري (1342هـ-1924م) حفيد الإمام أبي الثناء الألوسي (1270هـ-1854م) إلى نجد، يصحبه فيها ابن عمه العلامة علي علاء الدين الألوسي (1340هـ-1922م) والشيخ نعمان الأعظمي (1355هـ-1936م) والضابط بكر أفندي، فقد انتدبته الحكومة العثمانية إلى أمير نجد عبد العزيز آل سعود لإقناعه في إعانة الدولة العثمانية ضد القوات البريطانية الغازية، وعند وصوله لقي الحفاوة والتكريم من أمير نجد، ثم فاضله من أجل الأمر الذي جاء به وحضه على الوقوف بجانب الحكومة العثمانية ونصرتها بجامع الدين الذي يجمعهم، غير أن أمير نجد اعتذر وأبدى له الأسباب التي تمنعه من تحقيق هدفه من هذه الرحلة إليه⁴⁷.

ولم يكن هؤلاء السفراء يقنعون بتبليغ الرسائل وتأدية المهمة التي أوكلت إليهم، بل يغتنمون فرصة حلولهم في تلك البلدان أو

⁴⁶ فيدريجي، تشيزاري بن جيرولامو، رحلة فيدريجي إلى العراق، ترجمة وتعليق الأب د. بطرس حداد، الناشر، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 163.

⁴⁷ ينظر: الأثري، محمد، بحجت، أعلام العراق، الناشر: المطبعة السلفية - مصر، الطبعة الأولى، سنة 1345هـ، ص 105-106. الأثري، محمد، بحجت، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، الناشر: المطبعة الكاملية - مصر، ص 92-94.

الأمكان التي يعمرون بها لإنجاز مهمتهم الثقافية، بتفقد المكتبات والمعاهد العلمية أو الاتصال برجال العلم والأدب والفكر، فهذا السيد محمود شكري في رحلته إلى الأمير عبد العزيز نجده يتفقد في طريق الذهاب والإياب معاهد العلم وخزائن الكتب والاجتماع بأكابر علماء هاتيك البلاد، فأفاد واستفاد علما جما وأدباً غنياً⁴⁸.

خامساً: الدوافع الاضطرارية

وهذه الرحلات هي التي يلجأ إليها الإنسان بسبب يعرض لحياته، لا يكون له خيار إلا الرحلة مما أحاط به، ومن تلك الأسباب السخّط على الحياة وضيق العيش، أو الوساية المغرضة ويخشى من العقوبة فلا يبقى له إلا الهروب، أو تكون لعلاج أو استشفاء، وقد يكون هرباً من الوباء والطاعون والتلوث.

ويمثل بعض هذه الدوافع رحلة نبي الله موسى -عليه السلام- في خروجه من مصر متوجهاً نحو مدين خوفاً من العقوبة، على النحو الذي أخبرنا الله تعالى به، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝﴾⁴⁹ فَنَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ⁴⁹.

ومما يمثلها أيضاً رحلة الإمام أبي الثناء الألوسي إلى دار الخلافة، فقد وقع عليه ظلم شديد من الوالي محمد نجيب باشا (ت 1267هـ - 1851م) بسبب وشاية الحساد، فأوغروا صدره على ذلك الإمام، فقام بتجريدته من المناصب والوظائف، وقطع عنه راتبه، فسأدت به الحال، وبلغ به الضرر كل مبلغ، ووصف ما آل إليه أمره من ضيق ذات اليد بقوله: "حتى كدت أكل الحصير، وأشرب عليه مداد التفسير"⁵⁰.

2.1.3. المطلب الثالث: خصائص أدب الرحلة.

لكل لون أدبي مميزات تميزه عن بقية الألوان الأدبية الأخرى، وقد تميز أدب الرحلات بعدة خصائص يمكن أن نلخصها هنا بعدة نقاط:

⁴⁸ ينظر: المرجع السابق، ص 106، الشاهدي، حسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، (1/100).

⁴⁹ سورة القصص: 20-21.

⁵⁰ الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ)، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، طبعة مطبعة الشايبندر - بغداد - سنة الطبع 1327هـ، ص 25.

1- **الذاتية:** وهي أبرز السمات التي تحتلها كتب أدب الرحلة، إذ يكون حضور الذات الراحلة من أول انطلاقها إلى حيث الاستقرار حضوراً ظاهراً، وتقع في الرحلة شخصية الرحال في مركز الانطباع، وهذا أمر بدهي ما دامت الرحلة هي رواية لما قامت به الذات أثناء الرحيل.

وقد أبرزت هذه السمة لأدب الرحلات لجنة منح جوائز الدولة التشجيعية في وصفها الكتاب الفائز في فرع "أدب الرحلات" عام (1963م)، فجاء في وصفها بأنه: "كتاب متعدد الجوانب والمواضيع والشؤون ... ولكن هذا التنوع كله يربط بينه شخصية متميزة للكاتب، فيها نوع من الأصالة في النظر والأسلوب، ورغبة ملحّة في أن يكون كتابه صورة لذات نفسه"⁵¹.

2- **تنوع الأساليب وتداخلها، وكثرة المضامين وتشعبها:** من خصائص أدب الرحلات تنوع الكاتب الرحلي في أساليب كتابته، فنراه ينتقل من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف، مؤثراً التعبير السهل المؤدي للغرض. إلى جانب هذا التنوع في الأساليب تزخر كتب الرحلات بكثرة المضامين وتشعبها، فلنلاحظ المضمون الديني والتاريخي والجغرافي والأدبي والاجتماعي، مما يجعل منها مقصدا للعديد من الباحثين بمشاربهم المختلفة⁵².

وقد عبر عن كل هذا المستشرق كراتشكوفسكي بقوله: "ولقد أثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طوراً واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة؛ لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب"⁵³.

3- **الفعل الماضي والتحدث بضمير المتكلم مفرداً وجمعاً:** يستخدم السارد الرحالة في الخطاب الفعل الماضي مع ضمير المتكلم (الأنا) الواضح في معظم الرحلة؛ كونه راوياً وشاهداً مركزياً، كقول أبي الثناء الألويسي: "ركبت سفينة النار، وما هي إلا مثال قلبي المشحون بحب الديار". وقوله: "وبعد أن استقرّ بي المقام"⁵⁴.

⁵¹ الموائي، الدكتور ناصر عبد الرزاق، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع**، ص 39.

⁵² ينظر: حسين، الدكتور محمود حسني، **أدب الرحلة عند العرب**، الناشر: دار الأندلس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1403هـ/1983م، ص 8-9. الشاهدي، حسن، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، (533/2). قنديل، فؤاد، **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص 23-24.

⁵³ كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانونوفتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة الطبع 1963م، (25/1).

⁵⁴ الألويسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ)، **نشوة المدام في العود إلى دار السلام**، تحقيق أ. د هيثم سرحان، الناشر: دار السويدي - أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2019م، ص 150، 154.

وقد يسرد الرحالة الأحداث والوقائع بضمير المتكلم للجماعة، كقول الألويسي: "وعندما انهار جرف الليل وانثال، وجرى النهار وسال، كَوْرنا الحمول من غير خمول للمسير، وعليها من طلل الليل كثير وتفقدنا المتاع؛ لنرى أُسْرَقَ منه شيء أم ضاع"⁵⁵. ويبقى الفعل الماضي وضمير المتكلم هما المُسيّران لسرد الرحلة.

4- التسلسل التاريخي وتتابع الأحداث: من خصائص أدب الرحلات أنه يقوم على التسلسل التاريخي، فللرحلة نقطة انطلاق بمكان وزمان محددين، وتنتهي بمقصود الرحلة بزمان ومكان معينين، وبين نقطتي البداية والنهاية تسير الرحلة عبر المكان والزمان.

5- الواقعية: من خصائص أدب الرحلة الواقعية، فالرحلة يتحدث عن حقيقة شاهدها بأمر عينيه، فمرّ بإمكانه، ورأى معالم، وقابل شخصيات، ورصد تقاليد وعادات، وسجّل حقائق في الجوانب التاريخية والجغرافية والثقافية والاقتصادية.

2.2. المبحث الثاني: النهضة الأدبية والتعريف بأدب الرحلات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين:

2.2.1. المطلب الأول: النهضة الأدبية في بغداد وأبرز أعلامها.

مكانة بغداد في تاريخ وحضارة العرب والمسلمين سامية سامقة، تتجلى في كونها الإشعاع العلمي والمعرفي لحقبة زمنية دامت لأكثر من خمسة قرون، وكان سقوط الخلافة العباسية سنة (656هـ-1258م) خطباً فادحاً، وحدثاً كبيراً، أذهل الناس؛ وكانت الجيوش الغازية تتصف بالوحشية في هجماتها، فما إن دخل المغول مدينة بغداد حتى غدت عرضة للقتل والنهب والسي والحرق. فتبدل وجهها الباسم إلى وجه يملؤه البؤس والحزن⁵⁶.

وذهبت بدخول المغول أيام العزّ والسؤدد والفخر، وانطفأ نور المعرفة، ودُرسَت مجالس العلم، ولم يبق إلا الخراب والجذب، وخيم الحزن على بغداد ولقّها بعباءة سوداء، وأصاب الحركة العلمية فيها الركود، فيصف لنا ابن الطقطقي (ت 774هـ-1372م) ما وصلت إليه بغداد من البؤس العلمي في هذه الفترة، فيقول: "وأما في الدولة المغولية؛ فرفضت تلك العلوم كلّها (النحو واللغة والشعر والتواريخ)، ونفقت فيها علوم آخر، وهي علم السياسة والحساب لضبط المملكة، وحصر الدّخل والخرج، والطّب لحفظ الأبدان والأمزجة، والنجوم لاختيار الأوقات، وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم، وما

⁵⁵ المرجع السابق: ص 159.

⁵⁶ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م. (13 / 233-235).

رأيته نافقاً إلا بالموصل"⁵⁷.

غير أنها استطاعت النهوض من هذه الكبوة التي حلت بها، وتمكنت من إعادة المنزلة التي تسمنتها في سالف عصرها، فمع بزوغ القرن الثاني عشر أخذت الحياة العلمية تدبُّ في بغداد شيئاً فشيئاً، وتحاول العودة بها إلى سابق عهدها.

ونلاحظ هذا الأمر عبر أوصاف المؤرخين والأدباء لها، فهذا العلامة الأديب عبد القادر الشهرابي (ت 1247هـ-1831م) يصف دار السلام بهذه الجملة الجميلة في ترجمة مُجَّد أمين أفندي: "كان ميلاده في مدينة الخلد"⁵⁸.

ويصفها الأديب السيد ياسين العمري (ت 1232هـ-1817م) في أثناء ترجمته الحاج قاسم آغا الجليلي (ت 1171هـ-1758م)، بقوله: "فدخل بغداد، وهي في ذلك العصر مثل العروس تجلى بين البلاد"⁵⁹.

وهذان القرنان (الثاني عشر والثالث عشر الهجريين) يعدان طليعة النهضة الأدبية والعلمية في العراق، بشهادة أهل العلم ممن أرخوا لتلك الفترة، منهم السيد مصطفى نور الدين الواعظ (ت 1331هـ-1913م) إذ يقول: "إلا أن القرن الثالث عشر مع اشتماله على سادة بررة، وفضلاء خيرة، وشعراء كمل، وأدباء تُبْل، فاقوا ببديع شعرهم وبلغ نثرهم الأول، وكم منهم من فاضل أتى بما لم تستطعه الأوائل"⁶⁰.

ويصف الأديب أحمد عزت بن محمود بن سليمان بن أحمد الفاروقي (ت 1310هـ-1892م) بغداد في كثرة علمائها، بقوله: "في أوائل سنة إحدى وستين ومائتين طلبني من أبي ثانياً عمي المرحوم [الشاعر عبد الباقي العمري] لأجل البقاء بخدمته، فتوجهت إلى بغداد، وكانت إذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والأدباء"⁶¹.

⁵⁷ ابن الطقطقي، مُجَّد بن علي بن طباطبا (المتوفى: 709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، الناشر: دار القلم العربي، بيروت، 1997م، ص 25. الغزوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، الناشر: مطبعة المجمع العلمي 1962، (7/1).

⁵⁸ ينظر: الشهرابي، عبد القادر، تذكرة الشعراء، وضعه بالتركية، ونقله إلى العربية فؤاد حمدي، وحققه د. عماد عبد السلام رؤوف، الناشر: مطبعة المجمع العلمي، سنة الطبع 1423هـ=2002م، ص 318.

⁵⁹ العمري، ياسين خير الدين الخطيب، غاية المرام في محاسن دار السلام، منشورات دار البصري، سنة 1968، ص 337.

⁶⁰ الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، تحقيق إبراهيم الواعظ، مطبعة الاتحاد - الموصل، سنة الطبع 1948م، ص 4.

⁶¹ الفاروقي، أحمد عزت باشا، العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية، طبع: مطبعة مُجَّد أفندي مصطفى - مصر، سنة الطبع 1309هـ، ص 47.

ويعدهما الكاتب العراقي كاظم الدجيلي (ت 1391هـ-1971م) بأتهما أجمل القرون الأخيرة التي مرت على العراق وأبهاها وأحسنها وأرقاها؛ لكثرة ما شُيد فيهما من مدارس للعلم، وأندية للآداب، ومساجد للعباد، وزوايا (تكايا) للزهاد. ووفرة من نبغ فيهما من العلماء والشعراء والفضلاء والصلحاء⁶².

ويرى الدكتور محسن عبد الحميد أن بوادر النهضة العلمية والأدبية ظهرت في العراق في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، ويُشبهها بما شهده بلاط سيف الدولة بحلب في القرن الرابع الهجري، ومثلها التي شهدها عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ويرجع سبب هذه النهضة إلى نبوغ عدد كبير من أعظم الفقهاء والمحدثين والمفسرين والشعراء والأدباء⁶³.

ويمكن أن نرجع أسباب النهضة في هذين القرنين إلى أربعة أسباب:

أولاً: السلاطين والولاة

كان للسلاطين العثمانيين دورهم في نشاط الحركة العلمية في عموم البلدان الخاضعة للحكم العثماني، فهذا السلطان عبد الحميد الثاني (ت 1336هـ-1918م) أعاد لبغداد الحياة العلمية عن طريق تجديد المساجد والمدارس، حيث جدد العديد من المدارس التاريخية⁶⁴.

ولم يكن الولاة الذين تعاقبوا على حكم بغداد على مستوى واحد من الدراية والعدل والاهتمام بالثقافة والعلم، ولكن لا نعدم من أولئك الولاة من حرص على نهضة العراق العلمية أمثال الوالي سليمان باشا الكبير (ت 1217هـ-1802م)، والوالي داود باشا (ت 1267هـ-1851م)، والوالي علي رضا اللاز (ت 1293هـ - 1877م)⁶⁵، إما عن طريق بناء المدارس وإنشاء المكتبات وعمارة المساجد وتخصيص الرواتب للمدرسين والطلبة، حيث بلغت المعاهد العلمية في عهد داود باشا

⁶² ينظر: الدجيلي، كاظم، الشيخ عثمان بن سند البصري، بحث منشور في "مجلة لغة العرب" مجلة عراقية صدرت في بغداد عام 1911، لصاحبها أنستاس الكرمل، (3/ 181).

⁶³ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، مطبعة المعارف - بغداد، ط1، سنة الطبع 1968م، ص 33.

⁶⁴ ينظر: حوران: د. عثمان سعيد، سياسات السلطان عبد الحميد الثاني وأثرها في نشأة العراق الحديث، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي لجيو استراتيجية السلطان عبد الحميد الثاني وميراثه، (ص 217).

⁶⁵ ينظر: البصير، محمد مهدي، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، الناشر: مطبعة المعارف - بغداد، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1365هـ-1946م، ص 11، الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، الناشر: شركة الطبع والنشر الأهلية، الطبعة الأولى، سنة 1959م، ص 65.

ثمانية وعشرين معهداً، تنفست فيها بغداد رائحة العلوم، ودبَّ فيها النشاط العلمي⁶⁶.

وإما عن طريق رعاية العلم وتشجيع العلماء والأدباء، بل بلغ الأمر ببعض الولاة إلى استقطاب العلماء من البلدان الأخرى لإثراء الحركة العلمية، فمن أولئك الوزير أحمد باشا (ت 1160هـ-1747م) الذي دعا العلامة صبغة الله الحيدري (ت 1187هـ-1773م) إلى بغداد لنشر العلوم العقلية والنقلية فيها⁶⁷.

بل لا نعدم أيضاً من الولاة من اشتهر بالعلم كما هو الحال للوزير داود باشا الذي كان يلقب بوزير العلماء، وعالم الوزراء⁶⁸، فقد خصص أياماً في الأسبوع لدروسه، فكانت دروسه يومي الثلاثاء والخميس⁶⁹، وكان دائماً على البحث والمذاكرة في العلوم الشرعية والعقلية مع تلامذته الملازمين له في السفر والحضر رغم انشغاله بالحروب وتوطيد أركان الدولة، كما نبغ في الأدب، ونظم الشعر باللغتين العربية والتركية⁷⁰.

ثانياً: البيوتات والأسر العلمية

ظهرت في بغداد أسر علمية وأدبية كثيرة، كان لها الأثر الواضح في نهضة العراق العلمية، وإثراء حياته المعرفية، بأن غدَّت بغداد بأفاضل العلماء وخيرة الأساتذة، فقد أنجبت بغداد في مطلع القرن الثاني عشر أسراً عديدة رفيعة العماد كريمة المحدث، نجم منها في سماء بغداد فقهاء ومحدثون ومفسرون وشعراء وأدباء، فاح عبير علمهم في الأقطار الإسلامية، وكان لظهورهم الأثر الحميد في بناء النهضة العلمية، ومن أبرز هذه الأسر: الأسرة السويدية، والأسرة الألوسية، والسادة الحيدرية، وآل الرحي، وآل الشاوي، وآل الشواف، وآل الراوي، وغيرها، فقد كان لهذه الأسر العلمية من الصيت الذائع والشهرة الواسعة

⁶⁶ ينظر: الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث، الناشر: مطبعة الفرات - بغداد، سنة 1344هـ-1926م، ص 221، الهلاي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، ص 66.

⁶⁷ ينظر: الراوي، مُجَّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام بغداد - 1997، ص 108.

⁶⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 108.

⁶⁹ ينظر: السامرائي، ظمياء مُجَّد عباس، الطلبة والمدرسون في أيام وزارة داود باشا، بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 32 / العدد 2، الشهر: ديسمبر / جمادى الأولى، ص 273.

⁷⁰ ينظر: البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه مُجَّد بهجة البيطار، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1993 م، (1 / 409، 600)، الشهرابي، عبد القادر، تذكرة الشعراء، ص 39.

71 ما لا يدانيه شيء .

وقد صنف جمع من العلماء مؤلفات في رصد أصول هذه الأسر وتناجها العلمي، منهم العلامة إبراهيم فصيح الحيدري (1300هـ-1883م)، الذي صنف كتابا بعنوان "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" صدره بالحديث عن أسرته الحيدرية وما تحظى به من منزلة علمية، فيقول: "فمن بيوتها (أي: بغداد) ذات المجد الرفيع، أقرّ بفضلها جميع أهل العراق ولا فخر، بيتنا السادة الحيدرية، وهو أعظم بيت علم في بغداد... وجميع إجازات علماء العراق تنتمي إلى الحيدرية... وقد ناسب المقام أن أذكر تأليف أجدادنا وأعمالنا السادة الحيدرية الذين تنتهي إليهم إجازات العراق بالاتفاق... فلا نجد إجازة علمية عراقية إلا ويتصل به (العلامة صبغة الله) وتنتهي إلى آباءه"⁷².

ومن صنف في البيوتات البغدادية العلامة عبد الرحمن حلمي السهروردي (1287هـ-1870م)، فله مصنف بعنوان "تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة" بيّن فيه نسب كلّ عائلة، وكذلك جمع السيد محمود شكري الألوسي هذه الأسر في مصنف أسماه "المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، وجاء بعده السيد محمد سعيد الرواي (ت 1354هـ-1936م) ليصنف في هذا المضمّر، ويكتب مؤلفا في الأسر العلمية البغدادية أسماه "تاريخ الأسر العلمية في بغداد"، وغيرها من المصنفات التي تناولت الأسر البغدادية.

ثالثاً: المدارس الدينية

بدأ نور النهضة يشع في بغداد بعد ظلام الجهل الذي خيّم بها قرونا بسبب المهجمة المغولية، وما تركته نيران حروبها من الدمار والحراب، وانحطاط المعاهد التعليمية فيها، وكان مبعث هذا النور المدارس الدينية التي كان لها الفضل في بقاء العلوم العربية والدينية، وإكسابها قوة، فقد اتّخذ العلماء من هذه المدارس منابر لنشر المعرفة وبتّ العلوم، ومصارعة الجهل في كل اتجاه. ومهما يكن في هذه المدارس من نقص في بعض جوانبها، وما يعانيه طلابها ومدرسوها من صعوبة في العيش ووسائل الراحة، ومن حاجة مكتباتها للكتب؛ فقد أسهمت هذه المدارس في بناء نهضة علمية وأدبية في بغداد، واستطاعت الاحتفاظ بالآثار

⁷¹ ينظر: الأثري، محمد مجت، أعلام العراق، (ص 6-7)، البصير، محمد مهدي، نهضة العراق الأدبية، ص 11-12، الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، الناشر: الدار العربية للموسوعات، سنة 2007م، ص 5-7.

⁷² الحيدري، إبراهيم فصيح، عنوان المجد، منشورات البصري - بغداد/ سنة 1989م (ص 93، 125).

العلمية والأدبية، وأن تصل الحاضر بالماضي، وأن تدافع عن لغة القرآن الكريم⁷³.

رابعاً: أصحاب المبرات

لم يقتصر الاهتمام بالتعليم على الولاية فحسب، فقد ظهرت أسر كثيرة في بغداد ذات يسار وخير، أسهمت بشكل مباشر في ازدهار الحركة العلمية فيها، وذلك عن طريق بناء المساجد والمدارس وإنشاء المكتبات، مع رصد أوقاف لها؛ كي لا تتوقف عجلة العلم فيها.

ومن أهل المبرات على سبيل المثال لا الحصر، العلامة مُجَدِّد بن أحمد بن إسماعيل بن خليل الطبقجلي (ت 1265هـ - 1848م) فقد وقف داره الواقعة في محلة العاقولية، فجعلها مدرسة، ووقف كتبه عليها، وكانت نفيسة للغاية حوت عيون الكتب⁷⁴، وجعل المتولي عليها والمدرس فيها الشيخ داود النقشبندي (رأس أسرة آل الشيخ داود) (ت 1299هـ - 1882م) ورثب له من أملاكه معاشاً. وكان ذلك سنة (1264هـ - 1847م)⁷⁵.

ومنهم السَّري خضر بك بن عبد الله آل عبد الجليل (ت 1210هـ - 1795م) فقد شيَّد المسجد الجامع في محلة قنبر علي المشهور بـ "جامع خضر بك" تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة العيدين، كما شيَّد فيه مدرسة علمية للعلوم العقلية والنقلية، وجمع خزانة كتب مخطوطة، فيها من شتى العلوم، وأوقفها بموجب الوقفية الصادرة من محكمة شرعية ببغداد المؤرخة سنة (1202هـ - 1787م)⁷⁶.

ومنهم صاحب الخيرات الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمود ونَّة (ت 1267هـ - 1851م)، فإنه قد وقف أملاكه على علماء بغداد بموجب الوقفية المؤرخة في (5 شوال سنة 1233هـ - 7 آب 1818م)⁷⁷. وغيرهم كثير.

⁷³ ينظر: العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، مراجعة وتعليق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: دار الشؤون الثقافية - بغداد، سنة النشر 2001م، (109/2). الجبوري، الدكتور عبد الله، مقدمة المسك الأذفر، ص 5-7. الوائلي، إبراهيم، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، الناشر: مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة الطبع 1965م، ص 3-4.

⁷⁴ كان مجموع الكتب حين وقفها (285) كتاباً، وحين فهرسها السيد نعمان الألوسي في أواخر القرن الثالث عشر كانت قد تناقصت إلى العدد (242) كتاباً، ولما نقلت محتويات المكتبة إلى مكتبة الأوقاف كان قد بقي منها (77) كتاباً.

⁷⁵ ينظر: الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 261. الراوي، مُجَدِّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 140.

⁷⁶ ينظر: الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، هذبه مُجَدِّد بججت الأثري، الناشر: مطبعة دار السلام - بغداد، 1346هـ، ص 139. الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون مجالسهم وأخبارهم، الناشر: مطبعة الرابطة - بغداد، 1958م، ص 61.

⁷⁷ ينظر: الدروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون مجالسهم وأخبارهم، ص 149.

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم الدروبي (ت 1379هـ-1959م) في كتابه "البغداديون مجالسهم وأخبارهم" جملة من هذه الوقفيات.

2.2.2. المطلب الثاني: التعريف بكتب أدب الرحلات.

أسهم علماء بغداد وأدباؤها في عصر النهضة الأدبية في إثراء المكتبة العربية بمصنفاتهم في أدب الرحلات، فظهرت منهم المؤلفات الثرية والشعرية في هذا الفن، وهذه الرحلات سواء أكانت داخل العراق أم خارجه تبعثها الدواعي الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو غيرها من الدواعي التي مرّ تفصيلها، فوصفوا المدن، ووثقوا عادات الشعوب، وركبوا الوسائل المختلفة ليصلوا إلى مبتغاهم.

بيد أن اللافت للنظر أن هذا التراث الأدبي الثرّ لم يجد له صدى عند الكتاب العرب المؤرخين لأدب الرحلات، فالباحث أحمد أبو أسعد مثلاً رصد المصنفات العربية في هذا اللون الأدبي، وذكر الكثير من رحلات العرب من اللبنانيين والسوريين والمصريين والمغاربة غير أنه لم يذكر رحلة عراقيا واحداً -على كثرتهم كما سيظهر في ذكرها- فقد تحدث عن رحلة أحمد فارس الشدياق إلى مالطة، ورحلة محمد التونسي من القاهرة إلى السودان، وختمها برحلات أمين الريحاني اللبناني التي زار العراق خلالها أكثر من مرة، وألف كتابه "قلب العراق رحلات وتاريخ"⁷⁸.

وسنعرض في هذا المطلب لأبرز الرحلات التي وصلت إلينا من القرن الثاني عشر الهجري وحتى نهاية القرن الثالث عشر، وسأجعلها في قسمين: الرحلات الثرية، والرحلات الشعرية.

القسم الأول: الرحلات الثرية

أنجبت الأقلام البغدادية أدباً رحلياً في هذه الفترة الممتدة على قرنين، سواء أكانت هذه الرحلات داخل العراق أم خارجه، تثيرهم لها دوافع مختلفة، فمنهم من ارتحل إلى مكة ومنهم من ارتحل إلى دار الخلافة لإستانبول، ومنهم من رحل إلى الشام، أو غيرها من البلدان، ولا يسع هذه الرسالة رصد وإحصاء جميع الرحلات وتوجيهها تحليلاً وتقويماً، وإنما سأقتصر على أبرزها ذكراً.

⁷⁸ ينظر: أبو أسعد، أحمد، أدب الرحلات وتطوره عند العرب، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1961م، ص 231-247.

أولاً: رحلة العلامة عبد الله السويدي.

تصنف رحلة العلامة السويدي ضمن الرحلات الحجازية التي مقصدها الأكبر أداء فريضة الحج وما يصحب ذلك عادة من

زيارة مسجد الرسول - ﷺ - والأماكن المقدسة.

عنوان الرحلة: "النفحة المسكية في الرحلة المكية".

ترجمة صاحب الرحلة⁷⁹:

هو الفقيه المحدث الأديب جمال الدين أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين بن الحسين بن علي بن

أحمد بن محمد المدلل الهاشمي القرشي.

وهو رأس الأسرة السويدية، ومنه جاءهم اللقب، فيحدثنا صاحب الترجمة من أين جاءه فيقول: "وأما نسبي إلى السويدي

فهي نسبة إلى سويد أبي عمي من الأم⁸⁰، وسببها أن صاحبنا العالم الفاضل، والمحقق الكامل، الشيخ حسين بن عمر

الراوي، نسبة إلى راوة قرية من أعمال عانة، لما سافر إلى عانة بقصد زيارة أهله، كان يرأسني، فيكتب في عنوان الكتاب:

عبد الله بن أخي أحمد بن سويد، فاستطال ذلك فكتب مرة بدل ذلك كله: عبد الله السويدي، فغلبت هذه النسبة علي،

وإلا فنحن ندعى بأولاد مرعي جدنا".

ولد الشيخ في جانب الكرخ من بغداد سنة (1104هـ - 1692م) ولما بلغ السادسة أصابه اليتيم، فكفله عمه أحمد بن

سويد (توفي قبل سنة 1157هـ - 1744م)، وأخذ بتعليمه وتعليمه، بعدها شرع يطلب العلم ويزداد منه وهو في الثانية

عشرة من عمره، فكان أول مشايخه في بغداد العلامة الشيخ حسين ابن الحاج عمر الملقب بـ (ساهوك) الراوي (ت

1165هـ - 1751م)، ودرس على الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري الشافعي (ت 1138هـ - 1726م)، وارتحل إلى

الموصل فدرس فيها على القاضي الشيخ فتح الله أفندي الموصل الحنفي (توفي بعد 1140هـ - 1727م)، والشيخ مصطفى

⁷⁹ تنظر ترجمته في: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: إصدارات
الجمع الثقافي، أبو ظبي، سنة 2003م، ص 63-88، الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث
عشر، ص 203-2011. الراوي، محمد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 151-155. الدجيلي، كاظم، السويديون، بحث
منشور في مجلة لغة العرب، (2: 219).

⁸⁰ كذا في "النفحة المسكية" بتحقيق الدكتور عماد عبد السلام. وصواب العبارة: "أخي أبي عمي من الأم" فحسين والد الشيخ عبد الله وأحمد
إخوة لأم. وليس خال أمه، كما جاء في عدة تعليقات في مواضع من النفحة المسكية.

أفندي الغلامي (توفي في حدود سنة 1130هـ - 1718م)، والشيخ يوسف أفندي الموصلبي (توفي بعد سنة 1140 هـ - 1727 م) وتخرج بهم، وقد غدا من أعيان أهل العلم في بغداد.

وعند عودته تصدر الشيخ السويدي للوظائف الدينية والتعليمية، فتصدر للتدريس في داره أولاً وبعدها في جامع "الإمام أبي حنيفة النعمان"، وفي جامع "الشيخ عبد القادر الكيلاني"، وفي المدرسة "المرجانية"، وحين شاهد شيخه حسين الراوي الملعبة وذكاء في الشيخ عبد الله أشار على والي بغداد آنذاك أحمد باشا أن يجعله مفتياً في المشهد العلوي، فتم له ذلك، وشغل العلامة عبد الله السويدي هذا المكان، وكان ذلك سنة (1145هـ - 1732م).

وفي رحلته المكينة اتخذ من طريق الشام معبراً فأخذ في ذهابه وإيابه عن مشايخ أجلاء وأخذوا عنه. فاجتمع بعلماء حلب والشام ومكة المكرمة.

أما مؤلفاته وآثاره العلمية، فله مؤلفات عديدة في الفقه، والعقائد، والحديث، والأدب، حقق وطبع منها اليسير، ونورد هنا بعض ما وصلت إليه يد الاطلاع من تلك المؤلفات:

- 1- كتاب: النفحة المسكية في الرحلة المكينة. طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عماد عبد السلام.
- 2- كتاب: أسماء أهل بدر. طبع ببلاق بمصر سنة (1278هـ - 1298م) وصححها عبد الباقي الألوسي.
- 3- كتاب: إتحاف الحبيب على شرح مغني اللبيب. وهو حاشية جعلها على شكل محاكمة بين شرحي الدماميني (827هـ - 1467م) والشُّمِّي (872هـ - 1467م) الواقعين على "مغني اللبيب".
- 4- كتاب: أنفع الوسائل في شرح الدلائل. شرح فيه كتاب "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" للشيخ محمد بن سليمان الجزولي (854هـ - 1450م).
- 5- كتاب: مقامة الأمثال السائرة المتضمنة للأحوال الموصلة للمقامات الآخرة. طبعت في مطبعة النيل بمصر.
- 6- كتاب: رشف الضرب في شرح لامية العرب. شرح فيه قصيدة الشنفرى اللامية.
- 7- شرح جليل على صحيح البخاري. ذكره محمود شكري، ووصفه بأنه "شرح جليل".
- 8- كتاب: الجمانات في الاستعارات. أشار إليه المرادي (ت 1206هـ - 1791م)، وقال: "ألف متناً في الاستعارات جمع

فيه فأوعى" ⁸¹.

9- ديوان شعر، نوه به مترجموه.

وفضائله وفواضله على العلم وأهله جزيلة، فيضيقُ المقامُ هنا عن التبسيط فيها.

وأفلت ثمنه في شهر شوال سنة (1174هـ - 1760م)، ودفن في جوار الشيخ معروف الكرخي، وله من العمر سبعون عاماً.

منزلته الأدبية

أما عن منزلته الأدبية فتظهر من خلال مصنفاته اللغوية ومؤلفاته الأدبية، ووصف العلماء له بالريادة الأدبية في عصره، فقد وصفه خليل المرادي بقوله: "الأديب الشاعر المفنن" ⁸². ووصفه عثمان العمري بأنه "مجرة سماء العلوم، ونور مرج المنشور والمنظوم ... له نظم أحلى من الضرب، ونثر يريك في اتساقه العجب، ولكن لم يحضرني منه إلا القليل، وهو على كل حال على الكثير دليل" ⁸³.

وعده المؤرخ عباس العزاوي من رجال النهضة في بغداد، وطليلة الأدباء، وأول من نشط الحركة الأدبية فيها، وأن آثاره بقيت موردا لمن جاء بعده، فهو مؤسس مشيخة الأدب في القرن الثاني عشر الهجري ⁸⁴.

دواعي الرحلة

تحدثنا في المبحث الأول عن دواعي السفر، وكان الدافع الديني يُشكّل دافعاً قوياً للرحلة إن لم يكن أقواها، وقد كان سبب رحلة العلامة السويدي هو الدافع الديني كما هو ظاهر في عنوانها، ويعود السبب في القيام بالرحلة هو الشكر لله على نصرته في الدفاع عن دين الله وحرمة الصحابة ومعرفة منزلتهم، وجمع كلمة المسلمين وإخماد نار الفتنة، فيقول في الحديث عن هذه الواقعة: "لما يسر الله لي نصرته الشريعة الغراء، وردع أهل البدع والإغراء عزمت على حج بيت الله الحرام، شكراً له على ما

⁸¹ المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، (86/3).

⁸² المرادي، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (84/3).

⁸³ العمري، عثمان بن علي بن مراد، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، الناشر: المجمع العلمي العراقي. سنة الطبع 1957، (95/3، 98).

⁸⁴ ينظر: العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، (34/2، 176).

وفقني من نيل المرام، وما به إصلاح أهل الإسلام، وإجراء الحق على يدي، وإخماد نار الباطل بمباحثتي وإرجاع الشيعة عما هم عليه من سب الصحابة وتكفيرهم وإدعائهم الفضل والخلافة لعلي بن أبي طالب -عليه السلام-، وتجويزهم المتعة والمسح على الرجلين، وغير ذلك من قبائحهم وبدعهم وضاللتهم المشهورة المتواترة عنهم"⁸⁵.

نص الرحلة

تعد رحلة السويدي من أعظم آثاره بمزاياها العلمية والأدبية والتاريخية، فقد سجّل في رحلته ما جرى له من أول رحلته حتى رجوعه من الحج.

ابتدأ السويدي رحلته بمقدمة تطابق مقصود الكتاب، وهو ما يطلق عليه عند علماء البلاغة ببراءة الاستهلال⁸⁶ ثم ذكر سبب تسطيره لهذه الرحلة، وقدم بين يديها بفصلين، أولهما سيرة ذاتية تناول فيها حياته منذ الولادة وما رافقه في طفولته، واحتضان عمه الشيخ أحمد بن سويد له وإلاخوته بعد موت أبيه، وعنايته بهم وذلك بتوجيههم نحو طلب العلم، وذكر من تلقى عنهم في هذه المرحلة.

بعدها تحدث عن انضمامه لجملة طلبة العلم وما كان يعاني من فاقة أيام الطلب، غير أن لذة العلم لديه تغلبت على ما كان يقاسيه، وبعد فراغه من شيوخ بلدته بموجهه نحو الموصل لتحصيل علوم الهيئة والحكمة، وبقي فيها ثلاثة عشر شهراً، ليكمل جميع الفنون.

وفي هذا يقول: "والحاصل أني نلت في الطلب نهاية التعب، وغاية النصب، مع عدم المساعد والمعين والناصر والظهير، حتى حصلت على أكثر الفنون من سائر العلوم، شرعية وعقلية، أصولية وفقهية، ولا سيما العلوم العربية. وبرحلي إلى الموصل كملت جميع الفنون سوى الرّمل والزيج⁸⁷ والسحر"⁸⁸.

تناول الشيخ السويدي بعدها بناء أسرته فذكر زوجته وما أنجبت له من أولاد نجباء صلحاء علماء بررة، وبعد أن عدد أولاده

⁸⁵ السويدي، عبد الله بن حسين، مؤتمر النجف=الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية، قدم له: محب الدين الخطيب، الناشر: مطبعة البصري - بغداد، عام النشر: 1988م، ص 12.

⁸⁶ هو أن يأتي الناظم، أو الناثر: في ابتداء كلامه ببيئة أو قرينة تدلّ على مقصوده منه. ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ=1932م)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ص 343.

⁸⁷ الزيج (جمعه: أزياج وزيجات): جدول حسابي يبين مواقع النجوم وحساب حركاتها.

⁸⁸ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة الحكيمة، ص 72.

وما نالوه من شرف العلم، عطفه بذكر مشايخه ومن تلقى عنهم العلم في بغداد وخارجها، وقد بلغ عدد من أجازوه في العلم ثمانية عشر عالماً في مختلف العلوم العقلية والنقلية، مع ذكر ما تلقى عن كلِّ شيخ من العلوم، ولم يغفل مشايخه في السلوك، وهما شيخان تلقى عنهما الطريقة، الأول الشيخ مُجَدِّد بن عقيلة، وذلك في أيام إقامته في بغداد سنة (1145هـ - 1732م) والسيد مصطفى البكري الصديقي أيام مكثه في بغداد سنة (1139هـ - 1726م) .

وختم هذه الترجمة الذاتية بذكر بعض المؤلفات التي أتمها، وسأل الله أن يمّن عليه بطول العمر لخدمة "صحيح البخاري" بتعليق شرح عليه. وبه ينتهي الفصل الأول.

أما الفصل الثاني فقد خصصه السويدي في ذكر سبب الرحلة وسلسلة الصراعات بين الأفغان والإيرانيين، وحملات نادر شاه على العراق وحصاره لبغداد ومطالبته للوالي أحمد باشا بالإقرار بصحة مذهب الشيعة الاثني عشرية، وأن يقرّ بأنه المذهب الخامس، فطلب الوالي من الشيخ السويدي الذهاب إلى النجف ومناظرة علماء الشيعة السبعين الذين أحضرهم نادر شاه، فذهب بصفته ممثلاً عن الجانب العثماني، فظهر عليهم بالحجة والدليل، وانتهى بخضوع علماء الشيعة الإمامية واعترافهم بصحة خلافة وإمامة الخلفاء الراشدين -عليهم السلام- وإعلانهم ذلك على منبر الكوفة في خطبة الجمعة التي حضرها (نادر شاه) ملك إيران آنذاك في يوم: (26 شوال 1156هـ)⁸⁹.

وقد قام محقق الرحلة الدكتور عماد عبد السلام بحذف هذا الفصل؛ كونه لا يمت لهذا اللون الأدبي بصله، فيقول: "ولا صلة لها بالرحلة، فضلاً عن أنها تؤلف رسالة مستقلة تماماً، منها نسخ خطية عدة في خزائن مختلفة، وقد طبعت مستقلة مرات عدة، منها بعنوان (الحجج القطعية على اتفاق الملل الإسلامية) ومرة بعنوان (مؤتمر النجف). وجميع هذه المناقشات تعبر عن اختلافات مذهبية مجتة، والذي نراه أن المؤلف أقحم هذه الرسالة على رحلته إقحاماً، فلا صلة لموضوعها بغاية الرحلة وسياق وقائعها، وعليه فلم نر وجهاً لإثباتها هنا. وهي تشغل الأوراق من 15 أ إلى 34 أ من نسخة أ"⁹⁰.

تدوين الرحلة

بعد فراغ السويدي من الفصلين اللذين قدّم بهما رحلته شرع في تدوينها، وبدأها باستئذان قدّمه إلى الوزير أحمد باشا في (18 ربيع الأول 1157هـ)، كونه يشغل منصباً تدريسياً في الحضرة القادرية؛ فأذن له بالذهاب إلى الحج، وخرج من بغداد

⁸⁹ السويدي، عبد الله بن حسين، مؤتمر النجف = الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية، ص 45.

⁹⁰ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 87.

بعد يومين متوجها نحو الموصل، ثم حلب، ثم دمشق، وصولا إلى الحرمين الشريفين، وبعد قضائه مناسك الحج قفل راجعا إلى بغداد متخذًا الطريق التي ذهب بها، ودخل حلب يوم الثلاثاء (5 ربيع الأول 1158هـ) وبقي فيها أياما، ووصف ما لقي من أهلها وأعيانها من الحفاوة والإكرام، وما جرى له من المناظرات والبحوث مع الأدباء والعلماء ليختم رحلته بقوله: "والى هنا أحببنا ختم الرحلة، إذ لم يبق إلى بغداد إلا طريق البر، ولا فيه قرية ولا أرض مشهورة موصوفة، نسأل الله أن يختم بالطاعات أعمالنا، ويبلغنا آمالنا"⁹¹.

منهجه في تدوين الرحلة

أما عن منهجيته في كتابة الرحلة، فقد تميز السويدي بدقة الوصف لكل ما يقابله في الرحلة من أشخاص وأراض وجبال وتلال وزروع ومصادر مياه وغيرها، وهذه القدرة تأتت له من خلال امتلاكه لأزمة اللغة وقدرته الكتابية وذائقته الأدبية، وسأورد هنا أمثلة على ما جاء في رحلته:

أ- ما جاء في وصفه لنادر شاه عند مقابلته للمرة الأولى: "فرأيت رجلا طويلا كما يعلم من جلسته، وعلى رأسه قلنسوة مربعة بيضاء كقلانس العجم، وعليه عمامة من المرعز مكلفة بالدرر واليواقيت والألماس وسائر نفائس الجواهر، وفي عنقه قلائد در وجواهر على عضده كذلك. والدر والألماس واليواقيت مخيطة على رقعة مربوطة بعضده، ويلوح على وجهه أثر الكبر وتقدم السن، حتى أن أسنانه المتقدمة ساقطة، فهو ابن ثمانين عاما تقريبا، ولحيته سوداء مصبوعة بالوسمة ولكنها حسنة، وله حاجبان مقوسان مفروقان وعينان تميلان إلى الصفرة إلا أنهما حسنتان. والحاصل صورته جميلة"⁹².

ب- ما جاء في وصف الأراضي والتضاريس، وقد جاءت عبارته في وصفها معبرة عن صورة المكان شاملة لأبعاده، فمن أوصافه التي جاءت للتلال التي مرَّ بها "العطشان الطويل" فيقول: "وهو تل عظيم ذو جنادل سود، ولقد رقيت عليه فوجدت على ظهره قبورا ظاهرها أنها ليست قبور المسلمين"⁹³. ووصف الطبيعة المعقدة عند الأخيضر، إذ قال: "وهذه القلعة في عقبة"⁹⁴ تحيط بها الجبال، وفي طرفها مما يلي الشام، عقبة ضيقة وعرة ذات جنادل كبار"⁹⁵.

⁹¹ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة الحكيمة، ص 356.

⁹² السويدي، عبد الله بن حسين، مؤتمر النجف = الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية، ص 21-22. وينظر: ص 23.

⁹³ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة الحكيمة، ص 116.

⁹⁴ العقبة: الصعب من الجبال.

ت- ومما جاء في رحلته من وصف الأنهار ومصادر المياه، ما جاء في وصف "كتف العاصي"، إذ قال: "وهو نهر عذب الماء في غاية الصفاء"، ووصف وادي القرى بقوله: "وفيها نهر ماء عذب، والجملة تقول نهر القرى، والأعراب تسميها نهر جبر"⁹⁶.

ولم يغب عن ذهن السويدي في رحلته وصف النباتات والزروع والمدن القديمة والمدن القائمة ووصف المجتمعات وتصنيف طبقاتها البشرية، مع عناية واهتمام بذكر ثقافتها وعاداتها وتقاليدها.

ومما تميزت به رحلة السويدي ضبط أسماء الأعلام الجغرافية، فقد أولى هذا الجانب اهتماماً واسعاً، فنلاحظ ضبطه لكل اسم ضبطاً محكماً دقيقاً، ويعتمد إلى تثبيت طريقة التلفظ بالاسم نفسه، ويبحث أحياناً عن سبب التسمية لهذا العلم، والأمثلة على هذا كثيرة في الرحلة، منها ضبطه للفظ قرية "حسيّة"؛ فقال: "بهاء مهملة مفتوحة، ثم سين مهملة ساكنة، ثم مثناة تحتية مفتوحة، وآخر الحروف هاء تأنيث". وكذلك لفظ "القَيَّارة" فيقول في ضبطه: "بفتح القاف وتشديد المثناة التحتية فألف فراء مهملة وآخر الحروف هاء تأنيث. وهي عيون من قير على حافة دجلة"⁹⁷.

ومن الأمثلة على ضبط النطق للعلم وسبب تسميته ما جاء في تعريفه بلفظ "المصايد" إذ قال: "بوزن مقاعد، فسألت عن سبب تسميتها بذلك، فقل: إن ماء دجلة يتعوج فيها لما فيها من الانحراف. فكأنها تصيد الكلك -بفتحتين- وهو الطوف"⁹⁸.

ومما تميزت به رحلة السويدي الاهتمام بالجوانب العلمية، فقد شحنها بأسماء العلماء الذين التقى بهم، واستجازهم مثلما طلبوا منه الإجازة⁹⁹، وعيّن علماء وأدباء عصره، ودوّن أسماء مؤلفاتهم وأثباتهم¹⁰⁰، وأثبت عدداً من المحاورات والمناظرات العلمية التي جرت بينهم¹⁰¹، كما أثبت بعض المراسلات الأدبية بينه وبين معاصريه من العلماء والأدباء¹⁰²، وفيها أدب

⁹⁵ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 297.

⁹⁶ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 212، 304.

⁹⁷ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 99، 228.

⁹⁸ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 99.

⁹⁹ ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 137، 152، 159، 263، 275.

¹⁰⁰ ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 79، 80، 81، 260، 282.

¹⁰¹ ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 118، 127.

¹⁰² ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 104، 177، 178، 180، 183، 185، 275.

جُم من النثر والنظم، تكشف عن روح العصر وذوقه السائد.

واهتمام السويدي لم يكن مقتصرًا على من لقي من العلماء، فقد حفلت رحلته على وصف ما شاهد من المساجد والمعاهد العلمية التي مرَّ بها، فتطرق إلى وصفها وصفاً دقيقاً، فمما جاء في رحلته وصفه لجامع "السليمانية" ومدرسته في دمشق، وعدّه من عجائب الدنيا، فيقول: "ومن عجائب دمشق السليمانية، وهو جامع بناه المرحوم السلطان سليمان¹⁰³، وهو جامع جليل تحيط به البساتين من جوانبه الأربعة... ويتصل به مدرسة السليمانية، وهي ذات حجر كثيرة، في صحنها بركة ماء عشر في عشر". وبعد إتيانه بالوصف لم يتوقف عن إبداء الرأي في المستوى العلمي الذي كانت عليه المدرسة، فيقول: "ولا عيب فيها سوى أن أصوات العلم فيها خامدة، ولا يصرف عشر العشر من أوقافها"¹⁰⁴.

شعره

أشاد العديد من العلماء بشعر السويدي ووصفوه بالجودة والجزالة، فيصفه عصريه عثمان الدفتري (1184هـ-1770م) بأنه "له نظم أحلى من الضرب"¹⁰⁵، وأورد له نماذج من شعره، ويرى الأديب كاظم الدجيلي أن السويدي كما أنه برع بالعلوم فقد جمع إلى ذلك مهارة في الشعر، ونال به منزلة رفيعة بين الأدباء، ونشر نماذج من شعره¹⁰⁶. وفضلاً عما ضمّه ديوانه من قصائده وما أورده في مصنفاته، وما استشهد به مترجموه على مهارته، فقد امتزجت أشعاره في كثير من مواضع رحلته، فأول ما يطالعنا منها قصيدته الدالية التي صدرَ بها استئذانه الذي قدمه للوزير، وتقع في ستة وثلاثين بيتاً، ومطلعها:

كم للهوى من رياق فوق أجياد شوقاً إلى ساكني أكناف أجياد¹⁰⁷
ومن نظمه ما ضمّنه رسالته التي أرسل بها إلى أحد تلاميذه حسين بك، والذي نعته بالولد القلبي، وصدر الرسالة بثمانية أبيات، مطلعها:

¹⁰³ أنشأه السلطان سليمان القانوني سنة (962 هـ = 1545 م) على أنقاض القصر الأبلق، وهو قصر السلطان الظاهر بيبرس، ويتألف من بناءين الأول تكية والمسجد بها، والثاني مدرسة.

¹⁰⁴ ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة الحكيمة، ص 261-262. وينظر: 284، 334، 340.
¹⁰⁵ العمري، عثمان بن علي بن مراد، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، (97/3). والضرب: الغسل الأبيض الغليظ القُطعة مِنْهُ ضَرْبَةٌ، يُدْكَرُ وَيُؤْنَث. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضرب) (1/ 546).

¹⁰⁶ ينظر: الدجيلي، كاظم، مجلة لغة العرب، (221/2-223).
¹⁰⁷ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة الحكيمة، ص 88.

سلام كـرـوـض حـيـن بـا كـرـه الحـيـا فـأضـحـى نضـيـرا ذـا رـوـاء وذا نشـر¹⁰⁸

ولم يدع السويدي موضعاً يتاح له ليوشي رحلته بألوان شعره، ويرصعها بجواهر نظمه ودرر لفظه إلا وذكر من ذلك شيئاً¹⁰⁹. هذه أبرز معالم الرحلة السويديّة إلى الديار الحجازية، ونستخلص من هذا أن الرحلة اتسمت بطابع الالتزام، فلا موضع فيها للخلط الزماني والمكاني، مع حرص صاحبها على تزويدها بالكثير من الدقائق التي لا يلتفت إلى تدوينها كثير من أصحاب الرحلات، مما جعلها تساعد على رسم صورة واقعية وصادقة لعصرها.

ثانياً: رحلة الأديب عثمان بن علي العمري

عنوان الرحلة: "تذكرة المعالم الطُّلول"¹¹⁰، والرحلة في أربعة فصول.

ترجمة صاحب الرحلة¹¹¹:

هو الأديب المؤرخ أبو النور عصام الدين عثمان بن علي بن مراد بن عثمان بن علي بن قاسم العمري، الدفترى. ولد في الموصل سنة (1134هـ - 1722م)، في أسرة ذات علم وثراء وجاه، فنشأ في كنف والده، وتلقى مبادئ التعليم الأولي، حتى إذا ما ترعرع سلك طريق العلم والدراسة، فدرس على أجلاء علماء عصره، منهم الشيخ إسماعيل بن أبي جحش الموصلّي (توفي بعد سنة 1140هـ - 1727م)، وعلى العلامة يحيى بن مراد العمري (توفي بعد سنة 1160هـ - 1747م)، وعلى العلامة الملا درويش الكردي (توفي بعد سنة 1170هـ - 1757م)، وعلى العلامة مصطفى الخوشناوي (توفي بعد سنة 1170هـ - 1757م).

ثم رحل إلى قرية (ماوران) طلباً للعلم، فدرس فيها على السادة الحيدرية، منهم: العلامة إبراهيم بن حيدر (توفي بعد سنة

¹⁰⁸ السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 92.

¹⁰⁹ ينظر: السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 97، 104، 109، 114، 182، 184.

¹¹⁰ جمع (الطُّلُ) مَا شَخَّصَ مِنْ آثَارِ الدِّيار ونحوها. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (طلل) (3/ 406).

¹¹¹ تنظر ترجمته: المرادي، أبو الفضل مُجَدِّد خليل الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (3/ 164). العمري، ياسين خير الدين الخطيب، غاية المرام في محاسن دار السلام، ص 242. الدجيلي، كاظم، عصام الدين العمري، بحث منشور في مجلة لغة العرب، (22: 3)، النعمي، الدكتور سليم، مقدمة الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، (1/ 3-18). الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، سنة الطبع 1982م، (2/ 243). كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (6/ 264). الزركلي، الأعلام، (4/ 211).

1150هـ - 1737م)، والعلامة صبغة الله بن إبراهيم، وغيرهم.

بعد أن أنهى دراسته عاد إلى الموصل واتصل بواليتها الحاج حسين باشا الجليلي (ت 1171هـ - 1758م)، فقربه منه كثيراً؛ لما عرف من فضله وعلمه، وصحبه معه حين انتقل إلى بلاد الروم. وبقي في خدمته أربع سنوات.

وبعد عودته من بلاد الروم اتصل بخدمة أمين باشا الجليلي (ت 1189هـ - 1775م)، فقربه إليه، وظل في خدمته إلى أن قرر الرحيل إلى إستانبول سنة (1170هـ - 1756م)، قاصداً الصدر الأعظم محمد راجب باشا (ت 1176هـ - 1763م) وكان عالماً أديباً، فقدّم له كتابه "الروض النضر"؛ فأنعم عليه وولاه حساب ولاية بغداد (دفتدار).

قدم إلى بغداد وتولى عمله فيها، وكان مقدماً عند واليتها سليمان باشا، حتى إذا توفي سليمان باشا سنة (1175هـ - 1761م) قام العمري مقامه عدة أشهر، حتى تم تعيين علي باشا والياً على بغداد.

محتنه مع والي بغداد: علي وعمر

أخذ علي باشا يحاسب العلامة عثمان علي أموال سليمان باشا؛ إذ إنه لم يجد منها إلا اليسير، فحبسه بالقلعة وهمّ بقتله، ثم اكتفى بنفيه إلى الحسكة، وسجنه فيها. فلما قُتل الوالي علي باشا وتولى مكانه عمر باشا سنة (1177هـ - 1763م) همّ بقتله، لما كان بينهما من عداوة قديمة، وأقدمه إلى الحلة فأنجاه من القتل شفاعت عائشة خاتم بنت الوزير أحمد باشا وزوجة سليمان باشا؛ لما رأت من كرمه وحسن أخلاقه وشيمه، فسجنه في الحلة وأصيب فيها بالفالج الذي أبطل شقه.

ثم نفاه إلى كركوك وسجنه فيها، وهمّ بقتله، غير أن شفاعت عائشة خاتون أدركته مرة ثانية، فأطلق سراحه، فذهب إلى أربيل، وعاد الوالي فأمر بالقبض عليه فيها وقتله، فسجنوه ولم يقتلوه، ثم شفع له فأطلقه وعاد إلى الموصل.

رحلته إلى إستانبول للشكاية

تحسنت صحته في الموصل بعض الشيء فتوجه إلى إستانبول ليشتكو ما لقيه من عمر باشا (ت 1190هـ - 1776م)، غير أن الأخير لما بلغه الأمر أرسل وراءه من يتبعه في الطريق، واستطاع أن يغرب به، فعاد قبل أن يصل إلى إستانبول، حتى إذا بلغ ماردن في عودته قبضوا عليه فيها وسجنوه، ثم أطلقوه بعد مدة. وأخذوه إلى أربيل وسجنوه فيها، وأخيراً أطلق سراحه، فعاد إلى الموصل.

وأقام في الموصل فترة، ثم توجه بعدها إلى إستانبول، وعرض ما أصابه على رجال الدولة حتى السلطان، فما أفاد ولا استفاد.

منزلته العلمية والأدبية

كان العمري موضع ثناءٍ من كلِّ من ترجم له، فيقول المرادي في ترجمته مثنيًا عليه: "الأديب الشاعر البارع المفنن الناظم النائر، له في الأدب النوادر الغضة، والمحاسن التي هي أنقى وأظرف من الفضة"¹¹².

وقال عنه العلامة مُجَّد أمين صاحب (منهل الأولياء): "كان فاضلاً بارعاً، وشاعراً ماهراً، له مشاركة في كلِّ فنٍّ، شعره رقيق، ومعانيه كلُّها رشيقة، بألفاظ فصيحة، وحسن سبك، وجودة نظم، وإنشاؤه أعلى طبقة من نظمه"¹¹³.

ووصفه الأديب كاظم الدجيلي بقوله: "شاعر مفلق، وناظم ثائر مبدع، كان له في الأدب نوادر ومجالس ومطارحات ومناظرات ومحاضرات"¹¹⁴.

مؤلفاته

ترك العلامة عثمان العمري عدة مؤلفات تدل على علو كعبه في العلم والأدب، منها:

1- الروض النضر، في تراجم أدباء العصر. مصنف في تراجم أدباء عصره، وقد حوى على مائة وثلاثة وعشرين ترجمة، لم ينهج فيها طريقة أهل التراجم في ذكر سني الولادة والوفاة وما يتعلق بحياة المترجم له، وإنما يصف فضلهم وأدبهم بألفاظ مسجوعة، ثم يورد شيئاً من شعرهم ونثرهم. والكتاب مطبوع، حققه الدكتور سليم النعيمي. في ثلاث مجلدات.

2- راحة الروح وسلوة القلب الكئيب المجروح. في الأدب، مخطوط، منه نسخة في مكتبة الدولة ببرلين في ألمانيا تحت الرقم (8436).

3- المقامة العمرية. وهي مقامة نثرية في التصوف وفي المناظرة بين الأزهار، والمفاخرة بين الشموع والأقمار. ونسختها مخطوطة في دار الكتب المصرية¹¹⁵.

وغيرها من المؤلفات النافعة، مع شعر كثير.

¹¹² المرادي، أبو الفضل مُجَّد خليل الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (164/3).

¹¹³ النعيمي، الدكتور سليم، مقدمة الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، (16/1).

¹¹⁴ ينظر: الدجيلي، كاظم، مجلة لغة العرب، (22/3).

¹¹⁵ النعيمي، الدكتور سليم، مقدمة الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، (18/1)، الزركلي، خير الدين، الأعلام، (211/4).

وفاته

أقام في إستانبول مدة، ثم مات فيها بسبب الطاعون سنة (1184هـ - 1770م).

ويرى كاظم الدجيلي وتبعه على ذلك رضا كحالة، أن وفاته كانت في مدينة الموصل، سنة (1193هـ - 1779م).

الرحلة

كتاب الرحلة ما زال مخطوطاً، وقد عرّف به صاحب كتاب الأعلام بقوله: "مخطوط، رأيته في خزانة الليثي (مركز الصف، بمصر) رقم 168 وفي أوله: "رحلة الأمير الكبير والأديب الشهير عثمان بن علي بن مراد بن عثمان العمري الموصلية" وابتداء مقدمته: "الحمد لله الذي أدار أقداح البلاغة على أهل الكمال إلخ" وهو ناقص الآخر، أو لم يتمه، بلغ فيه الكلام على بوغاز القسطنطينية"¹¹⁶.

ويظهر في مقدمتها الأسلوب البلاغي الذي التزمه العمري في مصنفاته.

ثالثاً: رحلة أحمد اللحافي¹¹⁷

عنوان الرحلة: لم يضع المؤلف عنواناً لرحلته، بل لم يكتب لها مقدمة، ونشرها الدكتور عماد عبد السلام بعنوان: "رحلة اللحافي البغدادي من بغداد إلى القسطنطينية".

دواعي الرحلة: لم يفصح الشيخ اللحافي عن الباعث له على الرحلة، ويمكن أن يفهم من ثنايا الرحلة أن الداعي له الضرورة المعيشية، فقد ذكر أنه قصد شيخ الإسلام في الدولة العثمانية وتوسطه في التوصل إلى بعض الوظائف الدينية، وقد حصل على مراده بأن جعله مدرساً في مدرسة إبراهيم باشا¹¹⁸.

ترجمة صاحب الرحلة

¹¹⁶ الزركلي، خير الدين، الأعلام، (211/4).

¹¹⁷ نشرها الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 203 - 215. وأعاد نشرها في كتابه دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات، طبعة دار التفسير - أربيل، سنة الطبع 1440هـ/2019م، (2/ 537-561).

¹¹⁸ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 213. رؤوف، الدكتور عماد عبد السلام، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الناشر: دار الرواق، الطبعة الثانية، ص 281.

هو الشيخ الأديب أحمد أفندي بن خلف اللحافي البغدادي. والد الشيخ عبد الحليم الحافي أو الحافاتي، المدرس في جامع السراي حتى وفاته سنة (1361هـ - 1942م). ويذكر ولده أن نسبهم يرجع إلى الزاهد الصوفي بشر الحافي¹¹⁹.

ويرجح الدكتور عماد عبد السلام أن لقب اللحافي نسبة إلى مهنة صناعة "اللحفان" جمع لحاف بلغة أهل بغداد¹²⁰. ولا نملك أي ترجمة لهذا الفاضل، ولا تتوفر أي معلومات عنه سوى ما تركه في رحلته التي قصد بها دار الخلافة "إستانبول" بغية التوصل إلى بعض الوظائف الشرعية من خلال توسط شيخ الإسلام بالدولة العثمانية.

نشأ في بغداد ونال قسطاً من العلم أهله للتعرف على عدد من الشخصيات البارزة في مدينته، كما أنه شغف بدراسة الإسطرلاب وفنون "علم الهيئة" القديمة، (كما شغف ولده الشيخ عبد الحليم بذلك)، حتى إنه كان يصطحب معه إسطرلاباً في رحلته، ليستخدمه في قياس ارتفاعات الأرض، ومن المرجح أنه عمل مؤقتاً في بعض مساجد بغداد، فقد كان ولده الشيخ عبد الحليم قد عمل مؤقتاً في جامع "السراي" ببغداد.

ويفهم من قصيدة أثبتها أحد معاصريه في آخر كتاب رحلته أنه كانت له معرفة بالأنغام، كما أنه كان ينظم الشعر، ولكن لم يُوقف له على ما نظم.

عمل الشيخ مدرسا في مدارس بغداد كما جاء في مقدمة أحمد شمس الدين الألوسي (1338هـ - 1919م) لرحلته، فيقول: "أحد المدرسين، المشار إليه في بغداد المحمية"، وأثناء إقامته في إستانبول عمل مدرسا في بعض مدارسها. ولم أقف على سنة وفاته.

منزلته العلمية

أننى عليه العلامة أحمد شمس الدين الألوسي الذي كتب مقدمة رحلته، فيقول فيها مثنيا على صاحبها: "فقد رأيت رحلة الفرد الذي ما تنقّى في مرآة الزمان لناظر، والأوحد الذي كلّ لسان عن سرّ مناقبه؛ لما حازه من جم المآثر، ذي الذهن الوقاد المجمع على فضله على رغم أنف الحساد، الذي عزّ عن شبيهه في الظاهر الخفي، حبيبنا وأئيسنا السيد أحمد أفندي

¹¹⁹ ما أثبتناه من ترجمة ولده الشيخ عبد الحليم الحافي. ينظر: الأعظمي، وليد، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مطبوع ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للأستاذ وليد الأعظمي، الناشر: دار القلم، سنة الطبع 2007م، (2508/5).

¹²⁰ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 203.

121 اللحافي، أحد المدرسين المشار إليه في بغداد المحمية، بلغه الله كل أمنية، وذلك فيما جرى له وعليه عند سفره إلى فُروق

فكان الفرق بين رحلته وبين رحلة غيره من الفضلاء كفرق الصبح يروق".

وتظهر لنا منزلته من استقبال الولاة والعلماء له وإكرامه ومعرفة منزلته، كالوالي مدحت باشا والوالي حمدي باشا، والسيد

نقيب الأشراف سلمان الكيلاني، والقاضي مُجَّد سعيد أفندي، والقائم مقام شاكِر أفندي¹²².

وترك الشيخ مؤلفاً دَوَّن فيه رحلته من بغداد إلى دار الخلافة، وقام بنشر هذه الرحلة الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في مجلة

المورد، وكانت رحلته سنة (1297هـ-1879م).

نص الرحلة

سجَّل اللحافي وقائع رحلته إلى القسطنطينية يوم الخميس غرة شعبان، ولم يعيّن سنة خروجه، ومن خلال رحلته ولقائه بالوالي

مدحت باشا في الشام عرفنا أن رحلته كانت في سنة (1297هـ-1879م) متوجهاً من بغداد نحو الشام، فذكر محطات

سفره مع وصف عدد من المدن والقرى التي مرَّ بها في مسيرته من بغداد إلى الشام وصولاً إلى القسطنطينية، وهي على

التوالي:

أبو غريب، الصقلاوية، الرمادي، هيت، جُبَّة، حديثة، الفحيمي، عانة، النهية، القائم، البوكمال، الصالحية، الميادين، الدير،

تدمر، عين قباقيب، صخنة، أبو الفوارس، القريتين، سدوم وعطنة، جرد، دوما، دمشق، زحلة، بيروت، قبرس¹²³، إزمير،

جناق قلعة وكلبي بولي، القسطنطينية.

أما عن منهجيته في كتابة الرحلة، فقد قام بوصف بعض المدن، وذكر من قابله في الرحلة من أشخاص، وما جرى له من

حوادث أثناء الطريق وفي القسطنطينية، وسأورد هنا أمثلة على ما جاء في رحلته:

¹²¹ من أسماء دار الخلافة إستانبول. قال ياقوت الحموي: "والفروق: لقب للقسطنطينية في شعر أبي تمام حيث قال:

وقعدة زعزعت مدينته قسطنطين حنين ارتخت بسور فـروق

إنه أراد بفروق القسطنطينية، وسوق فُروق: موضع بالقسطنطينية". الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م، (4/258).

¹²² مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 208، 209، 210، 211، 212.

¹²³ هكذا كتبت بالسين.

أ- ما جاء في وصف بلدة القريتين¹²⁴، فيقول: "وهي قرية ذات أشجار وأثمار، فيها تفاح وكُمثرى لم أر مثله لا في بغداد ولا في الشام ولا في جميع الدنيا"¹²⁵.

ب- ذكر ما صادفه من منغصات ومتاعب أثناء رحلته، كوصفه لما حصل له عند عبور الفرات ومحاولة بعض أفراد عشيرة الدليم أن يصعدوا معهم بالعبرة ومنع الجنود لهم، وما حصل من المنازعة بينهم، وكان بين أبناء الدليم امرأة كبيرة في السن وصفها الشيخ بـ"شطاء زلاء منطيق" اتهمته بإثارة الفتنة، ثم وصف كيف أطفأ الفتنة بحكمته، وتنازل أبناء الدليم عن القضية¹²⁶.

ج- حرصه على إيراد ما جرى له من مناقشات مع من لقيهم في رحلته، ولعل أطرفها ما ذكره عند خروجه من دمشق وركوب أربعة إخوة معه في العربة كانوا من النصارى، ووصفهم بأن كل واحد منهم إفلاطون زمانه، وذكرهم بأسمائهم، وسرد الحوار الذي جرى معهم¹²⁷.

د- استخدام الشيخ اللحاني في حواراته أسلوب الاقتباس، وهو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، من غير دلالة على أنه منهما¹²⁸. ومن أمثله في الرحلة، أن أحد الإخوة النصارى الذين خرجوا معه من دمشق كان اسمه موسى، وكان يحمل معه عصا، فقال له الشيخ: "ما تلك التي يمينك يا موسى؟ فقال: هي عصاي"¹²⁹. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَكُمُوسَىٰ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ¹³⁰.

وعندما وصل عانة هرع إليه أهلها كل منهم يريد أن يضيفه، فقال لهم وقد وقفت ناقته بباب قائمقام عانة: "يا إخوان خلوها

¹²⁴ قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية، وهي التي تدعى حوَّارين، وبينها وبين تدمر مرحلتان. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، (336/4).

¹²⁵ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 209. وينظر: ص 208 في وصف تدمر.

¹²⁶ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 205. وينظر: ص 206.

¹²⁷ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 205. وينظر: ص 210.

¹²⁸ ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص 338.

¹²⁹ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 205. وينظر: ص 210.

¹³⁰ سورة طه: 17-18.

حبسها حابس الفيل"¹³¹. وهذا مقتبس من قول النبي -ﷺ- في صلح الحديبية عندما حرنت الناقة: "مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِحُلُقِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ"¹³².

ويظهر لنا في كتابة الرحلة حرص الشيخ أحمد اللحافي على أن تكون رحلته طريفة عن طريق شحنها بالكثير من الدقائق التي قد لا يلتفت إلى تدوينها الكثيرون، فهذه التفاصيل تضي على الرحلة خفة الروح والواقعية، وتساعد على رسم صورة لعصرها.

رابعا: رحلة السيد مصطفى نور الدين الواعظ¹³³

عنوان الرحلة: "الروض الخصب في رحلتنا مع السيد النقيب".

دواعي الرحلة: صرح المؤلف بدافع الرحلة، وهو السياحة والتنزه زمن الربيع في منطقة سَفَوَان¹³⁴ -ماء على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة وبه ماء كثير-، واكتنف الرحلة مقاصد دينية بزيارة قبر الزبير -ﷺ-¹³⁵.

ترجمة صاحب الرحلة¹³⁶

هو العلامة أبو إسماعيل مصطفى نور الدين بن مُجَدِّ أمين بن مُجَدِّ بن جعفر بن حسين بن محمود بن عبد الله الحسيني، الحنفي الأدهمي الأعظمي البغدادي. الشهير بالواعظ.

ولد في بغداد في (10 ربيع الأول سنة 1263هـ - 27 شباط 1847م)، وقد أَرَّخ ولادته الشاعر عبد الباقي العمري، شعراً:

¹³¹ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 205. وينظر: ص 207.

¹³² البخاري، أبو عبد الله مُجَدِّ بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م، (974/2) رقم (2581).

¹³³ حققت الرحلة الدكتور طمياء مُجَدِّ عباس ونشرت في مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 196 - 202. معتمدة على نسخة مخطوطة، ونص الرحلة المنشور ضمن كتاب المؤلف "الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر" (302-306).

¹³⁴ ماء على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة وبه ماء كثير. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، (225/2).

¹³⁵ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 198.

¹³⁶ تنظر ترجمته: الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، ص 158-341، الراوي، مُجَدِّ سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 278، السهروردي، مُجَدِّ صالح، لب الأبواب، الناشر: مطبعة المعارف - بغداد، سنة الطبع 1351هـ/1933م، (2/239-233)، الزركلي، خير الدين، الأعلام، (244/7).

1263هـ¹³⁷

ونشأ في بيت فقه وعبادة، فأخذ من حظ العلم والأدب أوفره، واقتبس من أبيه سجاياه وخصاله، فنشأ في طلب العلم من صغره، فما إن بلغ السابعة من عمره شرع في قراءة القرآن الكريم على خال أبيه السيد عبد الرزاق أفندي "إمام الحنفية في الحضرة القادرية" حتى ختمه، وبعد إتمامه هذه النعمة الكبرى طلب العلم على جهابذة علماء بغداد، منهم السيد عبد الرحمن نجل إمام الحنفية الأدهمي (ت 1306هـ - 1888م)، والعلامة عبد الرزاق بن محمد أمين البغدادي (ت 1280هـ - 1863م) وقد أجازته بكافة ما قرأ عليه، كما أجازته العلامة الشيخ عبد السلام أفندي (ت 1320هـ - 1902م) "مدرس الحضرة القادرية"، والعلامة الشيخ بهاء الحق أفندي (ت 1300هـ - 1882م) "مدرس الحضرة الأعظمية"، والعلامة الشيخ داود أفندي النقشبندي (ت 1299هـ - 1882م) وقد أجازته بإجازتين خاصة وعامة في سائر العلوم سنة (1285هـ - 1868م)، وأجازته الشيخ عبد الغني الغنيمي الميواني (ت 1298هـ - 1881م)، والشيخ أحمد مسلم الكزبري (ت 1299هـ - 1882م)، وقد نال الإجازات هذه سنة (1297هـ - 1880م)، فتخرج بمؤلاء الأعلام، وصار مشاراً إليه بالبنان.

بعد تخرجه تولى التدريس والوعظ، فأجاد وأفاد، ونفع الله بعلمه العباد، فعين مدرساً في "الخاتونية" ثم نقل إلى البصرة مدرساً وواعظاً وخطيباً في الجامع المسمى بـ"أبي منارتين" وذلك عام (1279هـ - 1862م)، وأضيفت له عضوية محكمة تمييز الحقوق في ولاية البصرة سنة (1291هـ - 1874م) ثم عين رئيساً لمحكمة الجزاء بالبصرة وذلك سنة (1297هـ - 1880م) ثم استقال من هذه الوظيفة وعاد إلى بغداد، وبعدها عُيِّن مفتياً للحلة وذلك سنة (1300هـ - 1883م) وعين مديراً لأوقاف "الحلة" مع الإفتاء بتاريخ (26 محرم 1301هـ - 6 كانون الأول 1882م) كما عين مديراً لمعارف الحلة في السنة ذاتها، وسعى لتجديد جامع "الحلة الكبير".

ثم صدر له الأمر بتعيينه وكيلاً لقضاء الديوانية، كما عين رئيساً للجنة الذرعة في الشامية¹³⁸ كما صدر له الأمر بتعيينه وكيلاً لقائمقامية السماوة، ثم انتخب نائباً عن "الديوانية" في مجلس (المبعوثان) العثماني، وذلك حين أعلنت المشروطية في

¹³⁷ ينظر: الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، ص 163.

¹³⁸ ينظر عن هذه اللجنة: مجلة لغة العرب، (391/3).

الحكومة العثمانية، وأمرت بانتخاب نواب عن الأمة وذلك سنة (1327هـ-1909م). يقول المحامي عباس العزاوي: "افتتح مجلس المبعوثين (النواب) في (23 ذي القعدة سنة 1326 هـ - 17 كانون الأول سنة 1908م) وهذه هي الدورة الأولى. وانتخب فيها عن العراق، عن الديوانية:

(1) شوكت باشا ابن رفعت بك والد فخامة الأستاذ ناجي. (2) السيد مصطفى نور الدين آل الواعظ والد صديقنا الأستاذ إبراهيم الواعظ"¹³⁹.

فذهب إلى الأستانة وبقي فيها أربع سنوات. وهي آخر سني حياته -رحمه الله-.

ترك السيد مصطفى نور الدين كتباً مفيدة، وصنف رسائل عديدة، تدل على سعة اطلاعه، فمن مصنفاته¹⁴⁰:

1- العنصر الطيب في نسب أبي الطاهر والطيب. وهو شرح لمنظومة والده في نسب النبي -ﷺ- وهو أول مصنفاته، ألفه سنة (1285هـ-1868م).

2- عنوان الهداية في ردع أرباب الغواية. رد على الفلاسفة ممن أنكروا معراج النبي -ﷺ- صنفه سنة (1293هـ-1876م).

3- البرهان الجلي في الفرق بين الرسول والنبي والولي. صنفه سنة (1299هـ-1883م).

4- الدرر النضيد في أحكام الاجتهاد والتقليد. ترجم فيه للأئمة الأربعة، وردَّ على صديق حسن خان (ت 1307هـ-1891م)، صنفه سنة (1300هـ-1884م).

5- الإرشاد لمن أنكر المبدأ والنبوة والمعاد. رسالة صنفها أيام مكثه في دار الخلافة سنة (1327هـ-1909م)

6- المطالب المنيقة في الذب عن الإمام أبي حنيفة. طبع في مطبعة الآداب ببغداد سنة (1329هـ-1911م).

7- بلوغ النبل في الكلام على آية وأتموا الصيام إلى الليل.

8- زهر الربى في تحريم الربا. طبع في مطبعة الآداب ببغداد سنة (1329هـ-1911م).

9- الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر. وهو مجلد ضخيم في تراجم آبائه الغرر. طبع بعناية ولده إبراهيم الواعظ، في مطبعة الاتحاد الموصلية، عام (1367هـ-1948م).

10- التعليمات في آداب المدارس والتدريس. طبعت في جريدة الزوراء سنة (1310هـ)، وترجمت إلى اللغة التركية، فصارت

¹³⁹ العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، الناشر دار الموسوعات العربية، السنة: بدون تاريخ، (8/198).

¹⁴⁰ ينظر: الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، ص 170.

دستور العمل في التدريس.

وغيرها من المؤلفات، وكتب بخطه دروساً في الوعظ والإرشاد، وقد سُمّي تلك المواعظ المحررة أو النصائح المحبرة بـ(الواعظ). وله تعليقات وحواش كثيرة على أكثر كتبه.

أصيب بمرض ألزيمه الفراش، وجعل المرض ينهك قواه إلى أن أجاب داعي الله، وذلك في يوم الثلاثاء الموافق (23 جمادى الآخرة)¹⁴¹ 1331هـ - 1 حزيران 1913م). قبيل المغرب، وفي صبيحة اليوم التالي شيع نعشه، ودفن جنب أخيه السيد جعفر في "التكية البكرية".

منزلته العلمية

كان -رحمه الله- يحظى بتقدير واحترام العلماء والأدباء في عصره، وتظهر لنا منزلته العلمية من جملة التقارير التي كتبها أهل العلم على مصنفاته، أمثال الشيخ عبد الوهاب النائب، والسيد علي علاء الدين الألوسي، والشيخ نعمان الأعظمي، والسيد مُجّد شريف السكوتي (ت 1351هـ) أحد أعضاء مجلس المشايخ في باب المشيخة الإسلامية، والشاعر عبد الرحمن البناء (ت 1375هـ - 1955م)¹⁴².

وأثنى عليه من ترجم له، فقد وصفه السيد مُجّد سعيد الراوي، بأنه: كان حامل لواء الفضل والعلم وناشره¹⁴³. وياراه السهروردي بأنه زبدة المحققين، وعمدة المدققين، ومحط رجال طلاب العلم، جامع لشرفي العلم والفضل¹⁴⁴.

نص الرحلة

تعد رحلة السيد مصطفى الواعظ من الرحلات الطريفة في موضوعها، وأرخ لرحلته هذه في (7 جمادى الأولى 1299هـ - 26 آذار 1882م)، إذ كانت رغبة بالتنزه في منطقة سفوان بصحبة نقيب الأشراف مُجّد سعيد أفندي (ت 1313هـ - 1896م)، وسجل أحداثها وقدمها للسيد أحمد شاکر بن أبي الثناء محمود الألوسي (ت 1330هـ - أيلول 1912م) وكان يومها نائباً في البصرة، وابتدأ رحلته بمقدمة قصيرة لم تخل من براعة استهلال، وأعقبها بذكر محطات سفره وما تضمنت من

¹⁴¹ في تاريخ الأسر العلمية: 4 شعبان. وفي مجلة "لغة العرب" (535/2): 2 نيسان.

¹⁴² تنظر تقاريرهم: الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، ص 328، 333، 336، 337، 339.

¹⁴³ ينظر: الراوي، مُجّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 278.

¹⁴⁴ ينظر: السهروردي، مُجّد صالح، لب الأبواب، (2/ 234).

أحداث، وهي المسجد الجامع المقابل لضريح طلحة - عليه السلام - بعدها نزولهم في وادي النساء، ثم مرورهم بوادي الأبرقين، ومنه إلى وادي النجم، وانتهى بهم المسير في سفوان.

أما عن منهجيته في كتابة الرحلة؛ فقد تنوعت أساليب الكاتب للرحلة، فنراه يتنقل من السرد القصصي إلى الوصف، مؤثرا الأساليب البلاغية المؤدية للغرض في تدوين الرحلة، مع كثرة الاستشهاد بالأبيات الشعرية لكبار شعراء العربية، وسأورد هنا أمثلة على ما جاء في رحلته.

أ- ما جاء في وصفه لمنطقة سفوان، فقد وصف جمال طبيعتها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها وجريانه بأسلوب بلاغي جميل، يُضفي على عباراتها لمسات جمالية¹⁴⁵.

ب- مال الكاتب إلى استخدام الفنون الأدبية في تدوين الرحلة وأبرزها السجع بأنواعه عند أهل البلاغة¹⁴⁶، ك"السجع المطرف" وهو ما اختلفت فاصلته في الوزن، واتفقنا في التقفية، ومثاله: "فتلجلج لسانه، ورجف جنانه، وتزلزلت أركانه"¹⁴⁷. و"السجع المرصع" وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، ومثاله من الرحلة: "فإذا هو وادٍ فيه حياض وغياض، وأزهار ورياض"¹⁴⁸.

ومن فنون البلاغة استخدامه التشبيه حيث شبه رئاسة بلدية البصرة بالعروس ورئيس بلديتها بعريس غير كفء لها، فيقول: "ثم إني أعود فأقول: سائلا عن المخدرة المصونة والدرّة المكنونة رياسة البلدية في البصرة المحمية ... إذ لم ترض أن يكون رئيسها السابق لها بعلاً"¹⁴⁹.

ومن الفنون البديعية التي استعملها الكاتب الاقتباس، ومن أمثلته، قوله: "فاهتزت الأرض وربت، ومن كل شيء بهيج أنبت"¹⁵⁰. مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾¹⁵¹.

¹⁴⁵ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 199.

¹⁴⁶ ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص 330.

¹⁴⁷ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 200.

¹⁴⁸ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 198.

¹⁴⁹ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 200.

¹⁵⁰ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 199.

¹⁵¹ سورة الحج: 5.

ج- شحن الكاتب صفحات رحلته بالعديد من الأبيات الشعرية لكبار الشعراء من غير نسبة إلى قائلها، أمثال أبي نؤاس (ت 198هـ-813م)¹⁵² والشريف الرضي (ت 406هـ-1015م)¹⁵³، ومهيار الديلمي (ت 428هـ-1037م)، وحمدونة بنت المؤدب (ت 600هـ-1204م)¹⁵⁴ وغيرهم، مما يوحي بسعة حفظه واطلاعه وقوة ذاكرته.

د- تكشف الرحلة جانباً من العلاقات الاجتماعية بين الكاتب ومعاصريه وعمق علاقتهم، فنجد في الرحلة أسماء كثيرة لرجال العلم والحكم في صفحات الرحلة.

وتأتي أهمية الرحلة للسيد مصطفى الواعظ أنها تُعد وثيقة مهمة تؤرخ لفترة قصيرة من تاريخ الحكم العثماني للبصرة، بالإضافة إلى أنها تعطي تصوراً عن الأوضاع الاجتماعية والإدارية السائدة في ذلك الحين، كما أنها تفصح عن ثقافة العصر واهتمام مثقفيه من خلال الأسلوب الأدبي الذي كتبت به الرحلة، فنلاحظ فيها المضمون العلمي والمضمون الجغرافي والمضمون الأدبي والمضمون الاجتماعي¹⁵⁵.

القسم الثاني: الرحلات الشعرية

أتناول في هذا القسم أدب الرحلات في الشعر، وهو ميدان رحب ومرتع خصب، فهو أوسع خيالاً وأجمل صوراً من النثر، وقد أسهم شعراء بغداد في التأليف في هذا اللون الأدبي كما كان لأدبائه نصيب فيه، ومن نظم رحلات شعرية من شعراء بغداد الشاعر عبد الباقي العمري (ت 1278هـ-1861م) فقد نظم قصيدة في رحلته من بغداد إلى الكوفة عبر الفرات، وتقع في ثمانية عشر بيتاً¹⁵⁶، كما نظم غيره من الشعراء، وفي هذا القسم سأتناول رحلة الشاعر حبيب بن طالب البغدادي؛ فهي من أوسع الرحلات الشعرية، وقد أوردتها كاملاً السيد محسن الأمين (1371هـ-1952م) في كتابه "أعيان الشيعة"¹⁵⁷.

عنوان الرحلة: لم يعنوا الشاعر لقصيدته بعنوان، وإنما ذكر من ترجم له بأن له أرجوزة يصف فيها رحلته إلى العراق.

¹⁵² ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 199.

¹⁵³ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 198.

¹⁵⁴ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 199.

¹⁵⁵ ينظر: مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م، ص 196.

¹⁵⁶ ينظر: عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي، الناشر دار النعمان - النجف، سنة 1384هـ/1964م، ص 100.

¹⁵⁷ ينظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، الناشر: دار المعارف - بيروت، سنة 1403هـ/1983م، (4/ 547).

دواعي الرحلة: ذكر الشاعر في أول قصيدته الباعث له على الرحلة، وأن الغرض منها ديني، وهو زيارة المشاهد في النجف وكربلاء للأئمة الذين يرى وجوب طاعتهم، يقول في أرجوزته:

والفـوز بازديارهم وقـرهم
قد ضمن الفوز منالا والشرف
من تربة للفضل فيها المنتهى
وغاية المقصد لثم ثم
فلثم ذاك الترب من أرض النجف
ولثم ترب كربلا أكرم بها

ترجمة صاحب الرحلة¹⁵⁸

هو الشيخ حبيب بن طالب بن علي بن أحمد بن جواد البغدادي الكاظمي مسكنا، الشيبني المكي أصلاً، نزيل جبل عامل في لبنان.

ولا نعرف عن حياته شيئاً يذكر، سوى أنه ولد في بغداد في الكاظمية، وهاجر إلى لبنان وسكن جبل عامل، ومدح أمراءها، ثم عاد إلى الكاظمية، وتوفي فيها، ولا تزال بقية من ذريته في جبل عامل. وكان حياً سنة (1296هـ-1853م). والله أعلم كم عاش بعدها.

منزلته الأدبية

تظهر لنا منزلة الشاعر من موروته الشعري الكثير، وإشادة معاصريه بأدبه وشعره، فيقول فيه عصره الشيخ محمد آل مغنية (ت 1273هـ-1856م): "الشاعر المفلق، الذي إذا خطب أعجب، وإذا أنشد أطرب، لم أر في عصري أفكة من هذا الشاعر المجيد، وكان أسرع الناس بديهة وأذكى قريحة ... ينشئ القصيدة الطويلة في الوقت القصير"¹⁵⁹. ويرى السيد محسن الأمين أن شعره يجمع الرقة والانسجام وأنواع الطرائف، إلا أنه كان لا يهذب شعره¹⁶⁰.

نص الرحلة

تتحدث أبيات الرحلة البالغ عددها مئتين وستة وسبعين بيتاً، عن رحلة صاحبها من منطقة جبل عامل في جنوب لبنان متخذاً طريق الشام مسلماً له، ماراً بديار بكر فالموصل فبغداد، ووصولاً إلى النجف وكربلاء.

¹⁵⁸ تنظر ترجمته في: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، (4/ 541)، الخاقاني، علي، شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم، الناشر: مطبعة أسعد- بغداد، سنة 1382هـ/1962م، (419/2).

¹⁵⁹ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، (4/ 541)، الخاقاني، علي، شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم، (419/2-420).

¹⁶⁰ ينظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، (4/ 541).

ونجد الشاعر في رحلته ميالاً إلى التصوير الدقيق، والاحتفال بالجزئيات وترتيبها، وضمّ بعضها إلى جوار بعض دون أن يغيب عنه أنها أجزاء في المشهد الكبير الذي يرسمه.

أما عن منهجيته في نظم الرحلة؛ فقد سلك فيها الشاعر الترتيب المعهود في نظم هذا النوع من الشعر، وظهر اهتمامه في تعيين الأزمان في وصول المدن ومغادرتها، مع وصف لها وما شاهد فيها، ولم يفته ذكر من قابلهم في رحلته، مستخدماً في كلّ هذا الأغراض البلاغية للوصول إلى الغرض المنشود من النظم. وسأوضح هذه المنهجية في هذه النقاط:

أ- بدأ الشاعر حبيب منظومته بما هو متعارف عليه في هذا النمط من التأليف الشعري، وهو ابتداؤها بالحمد لله والصلاة على رسول الله مع بيان الدافع لنظم القصيدة، وجعلها في أحد عشر بيتاً.

ب- الاهتمام بتعيين أوقات الرحلة، فقد عين زمن خروجه من بلدته، فيقول:

فبدء سيري كان من (تبنين) غلب وداع الطرف الأميين
وقد نفضنا عند ضوء الفجر نفري الفلا من مهمه وقفـر

وهذا الأمر رافقه في كل منظومته، فقد ذكر المدن التي مرّ بها ابتداءً من مدن جنوب لبنان: صور وصيدا، مروراً بمدن الشام: دمشق وحمص وحمّاه، وانتهاءً بمدن العراق: الموصل وسامراء وبغداد، فكان يُعَيّن وقت وروده للبلدة وخروجه منها، ومن أمثلته قوله:

وقد وردنا العصور للديماس في منزل خالٍ من الإيناس
وبكر الركـب إلى الشـام ولا تسـل عن ذلك المقام
وقد بقينا في دمشق شهراً مرادفاً لليلةٍ من أخـرى
ونحن في اليوم نسـير أو غداً وكل يوم نستجد موعداً
حتى إذا ما أذن الله لنا في السير سرنا وانتهى ذاك الوقي
وصحبنا تسع وعشرون عدد في السـير سرنا وانتهى ذاك الوقي
وقد سـرنا من دمشق عصراً بـين ذكـور وإنات وولـد
(بـراه ذي الحجة أرخ يسـراً)¹⁶¹

ج- ذكر المدن ومعالم الطريق ومفارقات الرحلة، ووصف الأبنية والجوامع والخانات وموارد المياه، ووسائل النقل التي

¹⁶¹ وهي بحسب الجمل: 263، وهو يقصد بعد الألف.

استخدمها في رحلته، بأساليب بلاغية متنوعة لإبراز الصورة بأبهى حُلّة، فمن أمثلته قوله في وصف أحد جوامع حلب:

وقد رأينا جامعاً عظيماً	مزخرفاً منوعاً قديماً
تتيه فيه العين والألباب	وكم تليه خوخة وباب
ممره في الأرض صفو الماء	يريك شكل الطير في السماء
وكم به من منبع وساقية	وبركة لها سقوف واقية
يجري إليها الماء صاف يلمع	كذاك منها لسواها يسرع
ترى صفاء الماء في الرخام	كأنه الخيال في الأوهام
ولا أزيد وصفه خوف الملل	فاعتبر الجامع في حسن العمل

د- مزج الواقع بالخرافات والأوهام، حيث يدعي أنه رأى في منطقة "سويرك"¹⁶² ستة أجساد ممن صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- ملقاة على الأرض، لم تتغير بمرور السنين، ورائحة الطيب تفوح من أجسادهم وسمى الشيخ منهم علياً، فيقول في هذا المشهد:

وفي سويرك شهدنا آية	ثابتة بالنقل والدراية
أن بها من عصبة المختار	سنة أجسام بلا توارى
أجسامهم على مرور الحجج	باقية تنمو بطيب الأرج
واحدهم شيخ كبير أشيب	يدعى علياً وهو فيهم معطوب
مبضع الصدر طعين الخاصره	باد لعيبي ناظر وناظره
وابن ان في جنبيه وابنتان	وزوجة له على البيان
وهم على مرتفع كالمصطبة	أجسادهم مصفوفة مرتبة
هذا ونحن حين جئنا للمحل	شمناه صدقا مثلما الرائي نقل
سوى الجسم كل جسم جعلاً	خلال تابوت رفيع اعتلى

وهذه الأبيات -كما يرى الأستاذ علي الخاقاني- تدل على أن الشاعر قالها وقد أعياه السفر وضعفت أعصابه، فأخذ

¹⁶² منطقة تابعة لمحافظة أوفكا التركية.

يتخيل أوهاما ويصورها بهذه الصورة¹⁶³. بينما يعلق السيد محسن الأمين على هذه الأبيات بأن ما ذكره ليس من باب

التوهم، وإنما هو نوع من الدجل والتخريف يتصيد به أصحابه ضعاف العقول¹⁶⁴.

هـ- لم تخلُ الرحلة من ألفاظ مرذولة، وتشبيهات بلاغية مبتذلة، أفقدت القصيدة شيئاً من قيمتها الفنية، ومن الأمثلة على ذلك قوله في وصف أهل تكريت:

حتى إذا تمت ليال أربعة	جئنا لتكريت بخفض ودعه
وهي لعمري بلدة سخيـفه	وأهلها كالـدود وسط جيفه
وما بها شئ يسر الناظر	بـه سوى البطيخ وهو وافر
كذا النساء كالظباء في الحـور	والحسن والرجال أمثال البقر

وفي المنظومة ألفاظ أقبح من هذه التي أوردتها¹⁶⁵، كان على الشاعر أن ينزّه عنها قصيدته، لتحافظ على جمال صورتها وروعة بياها.

وتأتي أهمية رحلة حبيب البغدادي كونها من أوسع الرحلات الشعرية، فضلاً عن ذلك فقد تميزت بطرافة أسلوبها، وحسن تصويرها، وكثرة مضامينها وتشعبها، فالشاعر تارة علمي في نقل الأحداث وتارة شعبي على السواء، وهنا تكمن المتعة في الرحلة.

¹⁶³ ينظر: الخاقاني، علي، شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم، (426/2).

¹⁶⁴ ينظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، (549/4).

¹⁶⁵ ينظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، (548/4، 549، 550).



3. الفصل الثاني: التعريف بالإمام الألوسي وكتبه الرحلية

3.1. المبحث الأول: التعريف بالإمام الألوسي

خصصت هذا المبحث للتعريف بالإمام الألوسي، وقد جعلته في مطلبين:

3.1.1. المطلب الأول: ترجمة الإمام الألوسي

حياة الإمام الألوسي مبسوبة لمن أراد أن يتعرف عليها، فقد كتبت في ترجمته الأسفار الكبيرة، ونظمت في تفاصيل حياته القصائد الطويلة، وقد ترجم لنفسه بتفصيل دقيق في مقاماته، وألمح إليها كثيرا في تدوين رحلاته، وكُتبت فيه تراجم مفصلة بأقلام تلامذته وأبنائه وأحفاده¹⁶⁶.

نسبه

يحظى أبو الثناء الألوسي بنسب شريف، حيث ينتهي به إلى الدوحة النبوية، فهو أبو الثناء شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي بن محمود بن درويش بن عاشور بن مُجَّد بن ناصر الألوسي، ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما¹⁶⁷، وأما أمُّه فهي السيدة صالحة بنت الشيخ حسين أفندي بن علي بن حسن العشاري المذحجي

¹⁶⁶ مصادر الترجمة: الشواف، عبد الفتاح بن مُجَّد سَعِيد بن يوسف النجدي، حديقة الورود في ترجمة أبي الثناء شهاب الدين محمود، مخطوط منه نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود (رقم 8/810)، الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمو بن عبد الله، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الناشر: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى 1436هـ/2015م، ص 100-122، الألوسي، نعمان خير الدين بن محمود، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، طبعة مطبعة المدني، سنة النشر: 1401 هـ - 1981م، ص 4345، البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (3/ 1450-1455)، الألوسي، علي علاء الدين بن نعمان، الدر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق جمال الألوسي وعبد الله الجبوري، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد- العراق، سنة الطبع 1387هـ/1967م، ص 15-33، الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 130-154، الراوي، مُجَّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 181-203، الأثري، مُجَّد بهجت، أعلام العراق، ص 21-44، البصير، مُجَّد مهدي، نخضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ص 219-252، العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، الناشر: شركة التجارة والطباعة-بغداد، سنة الطبع 1377هـ/1958م. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسرا. ص 28-143، البخاري، الدكتور عبد الله بوشعيب، جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، الناشر دار ابن عفان، مصر- القاهرة، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م، ص 148-33.

¹⁶⁷ ينظر: الشواف، حديقة الورود، الورقة 6، ونظم الشاعر عبد الباقي العمري نسب الألوسيين، مبتدئاً بالسيد أبي الثناء الألوسي. ينظر: الأثري، مُجَّد بهجت، أعلام العراق، ص 9-10.

(ت 1195هـ-1781م)¹⁶⁸.

والألوسي: نسبة إلى بلدة تقع على الفرات قرب عانة، واختلف في ضبط لفظها، هل هي بالقصر بجمزة القطع "ألوسي" أو بلمد "ألوسي"، وقد ذكر ياقوت الحموي في "معجم البلدان" البلدة باللفظين، فقال: "ألوسَة: بضم اللام وسكون الواو والسين مهملة: بلد على الفرات قرب عانة، وقيل فيه: ألوس بغير مدّ" وجاء في موضع آخر منه: "ألوس: اسم رجل سميت به بلدة على الفرات"¹⁶⁹.

وكان أبو الثناء يرسمها بالقصر والفتح (الألوسي)، أما حفيده محمود شكري فكان يرسمها بالوجهين بالقصر والفتح وبلمد أيضاً¹⁷⁰، ورجح مُجدّ بجمت الأثري (ت 1416هـ-1996م) القصر¹⁷¹، ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي (ت 1422هـ-2001م) أن تكون النسبة بلمد "الألوسي" لشيوعها مع صحة ورودها¹⁷².

ولادته وطلبه للعلم ووظائفه

ولد أبو الثناء شهاب الدين محمود قبيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان سنة (1217هـ) من هجرة النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- الموافق (9 كانون الأول 1802م)، في جانب الكرخ من بغداد. ونشأ في بيت اشتهر بالعلم أفراداً، وأصبح الفضل والأدب يُدخل إليهما من بابه، وعلى سَنَن الأُسَر العلمية في تنشئة أبنائها أُدخل الكتاتيب فأتقن مبادئ القراءة والكتابة، وما إن بلغ الخامسة من عمره حتى ظهرت عليه علامات الذكاء، فبدأ بحفظ المتون في الكتاب قبل أن يختم القرآن الكريم.

ثم شرع في طلب العلم فلَقَّنه أبوه مقدمات العلوم حتى استوفى الغرض من علمي النحو الصرف، وحصل طرفاً جليلاً من الفقه، وأحاط ببعض الرسائل في علم المنطق، والكتب الحديثية، وكان ذلك قبل أن يبلغ العاشرة من عمره.

وبعد أن شدا طرفاً من هاتيك العلوم، أكمل التحصيل للعلوم النقلية والعقلية، وبلغ شغفه في تحصيل العلم حداً كبيراً، فأقبل

¹⁶⁸ تنظر ترجمة الشيخ العشاري في: الراوي، مُجدّ سعيد، تاريخ الأسر العلمية، ص 237-240.

¹⁶⁹ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، (1/56، 246).

¹⁷⁰ ينظر: الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 11.

¹⁷¹ ينظر: الأثري، مُجدّ بجمت، أعلام العراق، ص 7.

¹⁷² ينظر: السامرائي، الدكتور إبراهيم، السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - لبنان، سنة الطبع 1412هـ/1992م، ص 8.

على كبار علماء عصره يأخذ عنهم، ويتنقل بينهم، حتى استقر عند شيخه الأجل علي علاء الدين أفندي الموصلية (ت 1243هـ - 1827م). ولم يزل يقرأ عنده حتى تخرج عليه وتأدب بأدبه، ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره أجازته شيخه في يوم مشهود، حضره طائفة من العلماء والأدباء، وكان ذلك في مدرسة "عائكة خاتون"¹⁷³ القريبة من الحضرة الكيلانية. وكان من جملة من حضر ذلك الاحتفال رئيس التجار الحاج نعمان الباجه جي (ت 1250هـ - 1834م) فأعجب به غاية الإعجاب، فاقترح عليه أن يكون مدرساً في مدرسته "مدرسة مسجد نعمان الباجه جي"¹⁷⁴، فأجاب اقتراحه، وأقبل على مهمته، ثم عزل منها بسبب مغاضبة أخواله وأصحابهم الحيدرية معه، وقد أراد الوالي داود باشا إبقاءه فيها، غير أن مفتي بغداد العلامة أسعد صدر الدين الحيدري (ت 1238هـ - 1822م) أصّر على عزله منها، ولم يقبل فيه شفاعاً من تشفع له؛ فعزل. وتفصيل الحادثة في مقامة الألوسي "الأهوال من الأخوال"¹⁷⁵.

ولما عمّر الحاج محمد أمين الباجه جي بن عثمان (ت 1249هـ - 1833م) في محلة رأس القرية مدرسة في جامعته، والمعروفة بـ "مدرسة جامع رأس القرية"¹⁷⁶ طلب من الوالي داود باشا أن ينصب الألوسي خطيباً وواعظاً ومدرساً في المدرسة؛ لكي يلزم بالأمر من سعى في تجريده من مناصبه أولاً، فأصدر الوالي أمره بذلك، ولم يسمع أقاويل خصومه فيه¹⁷⁷.

وبعد تولي الوزير علي رضا اللاظ لبغداد عام (1246هـ - 1830م) جرت لأبي الثناء من الأهوال ما جعلته حبيساً في دار النقيب في محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني قرابة السنة ونصف السنة، وفي عصر يوم السابع والعشرين من رمضان سنة (1248هـ - 1833م) أجلس النقيب أبا الثناء للوعظ في مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني، ووافق حضور الوالي علي

¹⁷³ تقع هذه المدرسة في محلة باب الشيخ، مما يلي القبلة للحضرة القادرية، شيدتها صاحبة الخيرات والمبرات الصالحة عائكة خاتون بنت السيد علي الكبير نقيب الأشراف، وذلك سنة (1226هـ - 1811م). ينظر حولها: الكيلاني، ميعاد شرف الدين، مدارس بغداد القديمة، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، سنة 2015م، ص 53.

¹⁷⁴ تقع هذه المدرسة في محلة العمار، في جانب الرصافة من بغداد، في شارع الرشيد في آخر شارع المستنصر (شارع النهر)، قرب جسر الأحرار، وقد سبق بناء هذه المدرسة تشييد المسجد، وكان يُدرس فيها العلوم العقلية والنقلية، وقد نظم فيها أهل العلم أشعاراً، ونثروا من لآلئ أوصافها نثراً، كما يقول السيد محمود شكري الألوسي. ينظر: الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ص 80.

¹⁷⁵ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 20. الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، حققه وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة إحياء التراث الإسلامية، بغداد، سنة 1427هـ / 2006م، ص 129. الراوي، محمد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 189.

¹⁷⁶ يقع هذا المسجد في محلة رأس القرية شرقي التكية الخالدية في شارع المستنصر (شارع النهر)، شيدته الحاج محمد أمين سنة (1240هـ - 1824م). ينظر: الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص 123-126.

¹⁷⁷ ينظر تفصيل الحادثة: الراوي، محمد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 184-186.

رضا، فأعجب بوعظه، وقوة حافظته، وسرعة بديهته، فأزال ما في قلب الوالي من الغيظ، وأمر بنصبه خطيباً للحضرة القادرية، وبرّر منصبه بالتدريس الذي فصل منه، وأمره بشرح كتاب "البرهان في طاعة السلطان" وقبل أن يتم أبو الثناء الشرح جعله خطيباً في الحضرة الأعظمية، وأهدى إليه كتاب "الميزان" للشعراني، وعند إتمامه للشرح قدمه للوزير فاستحسن شرحه وكافأه بأن ولّاه أوقاف "مدرسة مرجان"¹⁷⁸، وهي رتبة مشروطة لأعلم أهل البلد، ونُصب مفتياً للحنفية¹⁷⁹، ونال (نيشان) السلطان لما أجاب على أسئلة صعبة وردت من إيران¹⁸⁰. ووردت إليه من دار الخلافة رتبة "رئيس المدرسين" مكافأة له على كتابه "شرح البرهان" الذي قدمه الوالي علي رضا إلى باب المشيخة في الأستانة¹⁸¹، وتلك المناصب والوظائف جلبت له حسد الحاسدين، ووشاية الواشين.

وبقي في مناصبه حتى سنة (1263هـ-1847م) حيث عزل الوالي علي رضا عن ولاية بغداد ليحل محله الوالي مُحمّد نجيب (ت 1267هـ-1851م) وأثناء توليه ثار التجار وسائر الناس على المظالم والتعدي الذي يحصل من الجند والأمراء، وذهبوا إلى قصر الوالي، فقَهّم الوالي أنَّ ما جرى كان بتحريض المفتي أبي الثناء وأمين فتواه مُحمّد أمين أفندي (ت 1273هـ-1856م) ليثبتا صلاح حكم من سلفه وفساد حكمه، فقام بعزل أبي الثناء عن منصب الإفتاء، ورفع يده عن الأوقاف، فتغير حال أبي الثناء وافقر، وعكف على التدريس في بيته والاشتغال بإكمال تفسيره "روح المعاني" الذي أتمّه في (4 ربيع الآخر 1267هـ-7 شباط 1851م).

بقي الألوسي معزولاً عن مناصبه مدة ولاية مُحمّد نجيب (1263-1265هـ)، وعيّن من بعده الوزير عبد الكريم باشا (ت 1301هـ-1883م) ودامت ولايته سنتين، ليتوجه نحو ديار بكر والياً، ووافق انفصاله عن بغداد تاريخ إكمال الألوسي تفسيره، فلم يجد بداً من الذهاب صحبة هذا الوالي إلى إسطنبول لعرض أمره على رجال السلطنة هنالك، وأخذ معه تفسيره ليعرضه على علماء دار الخلافة.

¹⁷⁸ جامع مرجان من مساجد العراق الأثرية القديمة، يقع في شارع الرشيد، في الشورجة ببغداد، وأصل هذا الجامع مدرسة تسمى المدرسة المرجانية، شيدها أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجاني من موالى السلطان أويس بن حسن الأيلخاني التتري أحد أمراء الجلائريين. وتم إنشاؤها عام (758هـ - 1356م). ينظر: الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ص 65-72، الراوي، مُحمّد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص 206-225.

¹⁷⁹ ينظر: الراوي، مُحمّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 184-186، الغزوي، عباس، العراق بين احتلالين، (21/7-22).

¹⁸⁰ ينظر: الألوسي، محمود شكري، المسك الأدفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 139. الأثري، مُحمّد بجمت، أعلام العراق، ص 24.

¹⁸¹ ينظر: الراوي، مُحمّد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 196.

التقى في إسطنبول شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي (ت 1275هـ-1858م)، فأعرض عنه شيخ الإسلام لأول وهلة؛ بسبب ما وصله عنه من الأقوال المكذوبة، ومن وشاية الوالي الأمر بعزله، ثم صلح ما بينهما بعد أن تحقق لديه كذب الأخبار الواردة فيه، ودارت بينهما مناقشات علمية أظهرت فضل كلٍّ منهما لدى الآخر، وقدم الألويسي إليه التفسير، وأوصاه شيخ الإسلام بمقابلة الصدر الأعظم¹⁸².

عمل الألويسي بما أرشده إليه شيخ الإسلام وعرض أمره على الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا (ت 1274هـ-1858م)، فتوصل إلى أن يُنعم عليه السلطان عبد المجيد (ت 1277هـ-1861م) بخمسة وعشرين ألف قرش إسطنبولي، وله مثلها كل عام، وأعطاه شيخ الإسلام خمسين ألف قرش.

وعاد إلى وطنه بعد أن غاب عنه قرابة سنتين، وكتب رحلته هذه في كتاب "غرائب الاغتراب"، وفي كتابين آخرين سجل فيهما رحلة الذهاب والإياب.

شيوخه

الناظر في ترجمة الألويسي يلحظ سمو منزلته بين علماء عصره، ويدرك من اطلع على عناوين مصنفاته تعدد موارد ثقافته، ومن أسباب هذا التميز في الإبداع العلمي والأدبي العلماء الذين أخذ عنهم وعملوا على تكوين شخصيته العلمية، وقد ذكر أبو الثناء جملة من شيوخه في أول كتابه "غرائب الاغتراب"، وسأورد هنا أبرز من تلقى عنهم والتعريف بهم، فمنهم:

1- والده السيد عبد الله بن محمود الألويسي (ت 1246هـ-1830م) شغل وظيفة التدريس في الحضرة الأعظمية مدة أربعين سنة¹⁸³. قرأ عليه النحو والصرف وحفظ "ألفية ابن مالك"، وقرأ علم الفرائض وحفظ "الرحبية"، وقرأ عليه في فقه الشافعية متن "غاية الاختصار" للإمام أبي شجاع الحسين بن أحمد الأصفهاني (ت 488هـ-1095م).

2- ابن عمه السيد علي بن أحمد¹⁸⁴. قرأ عليه "شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية". والعضدية رسالة في علم

¹⁸² ينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 209-210. الألويسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 142، عبد الحميد، الدكتور محسن، الألويسي مفسراً، ص 47-48.

¹⁸³ ينظر في ترجمته: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 101. الألويسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 125-129.

¹⁸⁴ ينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 101. وزاد محمد سعيد الراوي في نسبته فقال: العاشور. ينظر: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 183. ولم أقف له على ترجمة مفردة. وأثنى عليه أبو الثناء عند ذكره.

الوضع¹⁸⁵ من تأليف عضد الدين عبد الرحمن بن ركن الإيجي (ت 756هـ-1355م)، والقوشجي علي بن مُجَد السمرقندي (ت 879هـ-1474م) وضع حاشية على شرح أبي القاسم السمرقندي¹⁸⁶.

3- ملا درويش بن عرب خضر¹⁸⁷، أمين الفتوى والمدرس في مدرسة جامع الأحمدية¹⁸⁸، يقول الألوسي: "وقرأت شرح آداب البحث المسمى بالحنفية"¹⁸⁹. وهذا الكتاب عنوانه "ميزان الأدب" من تصنيف محيي الدين مُجَد بن مُجَد البردعي التبريزي ثم الرومي الحنفي (ت 927هـ-1521م) وهو شرح آداب البحث للإيجي¹⁹⁰.

4- العلامة عبد العزيز بن مُجَد الشواف (ت 1246-1830م)¹⁹¹، قرأ عليه علم الوضع والبحث والمناظرة والفرائض، وغيرها من الكتب والرسائل العلمية.

5- السيد مُجَد أمين بن علي الحنفي الحلبي (ت 1246-1830م)¹⁹²، قرأ عليه "شرح العصام على الرسالة الوضعية". في علم الوضع. وهذا الكتاب هو شرح عصام الدين إبراهيم بن مُجَد بن عرب شاه الإسفراييني (ت 945هـ-1538م) على "الرسالة الوضعية" لعضد الدين الإيجي¹⁹³.

¹⁸⁵ عرفه الشيخ يوسف الدجوي، بأنه: "علمٌ يبحثُ عن أحوالِ اللفظِ العربيِّ من حيثُ ما يُعرفُ بهِ شخصيَّةُ الوضع، ونوعيَّتهُ، وخصوصُهُ، وعمومُهُ؛ إلى غيرِ ذلك. وفائدتهُ هي تلكَ المعرفة". الدجوي، يوسف، خلاصة علم الوضع، طبعة مكتبة القاهرة - مصر، ص 3.

¹⁸⁶ ينظر: سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة، الناشر: مطبعة سركيس بمصر، سنة النشر 1346 هـ - 1928 م، (1531/2).

¹⁸⁷ ورد اسمه في تمليك له على مخطوط في المكتبة القادرية على النحو الآتي: درويش بن مُجَد بن خضر البغدادي، ووصفه صاحب حديقة الورود بأنه ممن تشد إليه الرحال. ومن قرأ عليه العلامة صفاء الدين البندنجي. تنظر ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 101. حديقة الورود، الورقة 7، مقال صفاء الدين البندنجي في مجلة (المورد) المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، سنة 1984، للدكتور عماد عبد السلام رؤوف، ص 6. ولم أقف له على ترجمة مفردة.

¹⁸⁸ يقع الجامع في جانب الرصافة شرق ساحة الميدان قرب جامع المرادية، سُمِّي بجامع الميدان نسبة إلى الساحة، وسمي بجامع الأحمدية نسبة إلى مشيده أحمد باشا الكتبخدا نائب سليمان باشا الكبير، وذلك سنة (1210 هـ - 1795م). ينظر: الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ص 73-75، الراوي، مُجَد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص 53-59.

¹⁸⁹ في حديقة الورود أنه قرأ عليه شرح القوشجي، وهو وَهْمٌ، وتابعه عليه المؤرخ عباس العزاوي في ذكرى أبي الثناء ص 13. وما أثبتته من كلام الألوسي.

¹⁹⁰ ينظر: سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (1566/2).

¹⁹¹ ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 102. الحيدري، إبراهيم فصيح، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص 149. الراوي، مُجَد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 241-244.

¹⁹² ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 103. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 449-450. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (69/9). وذكر وفاته سنة (1231هـ-1816م).

¹⁹³ ينظر: سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (1330/2).

6- العلامة علاء الدين علي بن صلاح الدين يوسف الرمضاني الموصلبي (ت 1243هـ - 1827م)¹⁹⁴. وهو أجل مشايخه في نفسه، عكف على الدرس عنده وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فقرأ عليه جملة من العلوم النقلية والعقلية حتى أجازته وهو في الحادية والعشرين من عمره. وأجازته إجازة عامة في يوم مشهود في مدرسة "عائكة خاتون". والإجازة مثبتة بتمامها في كتاب "حديقة الورود"¹⁹⁵.

7- العلامة علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي (ت 1237هـ - 1821م)¹⁹⁶، قرأ عليه في علم مصطلح الحديث "شرح نخبه الفكر في مصطلحات أهل الأثر" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ - 1448م). وأجازته بجميع مروياته.

8- الشيخ أبو البهاء ضياء الدين خالد بن أحمد بن حسين الشافعي الأشعري المعروف بالنقشبندی (ت 1242هـ - 1827م)¹⁹⁷ قرأ عليه مسألة الصفات من حاشية شمس الدين أحمد بن موسى الشهير بالخيالي الرومي الحنفي (ت 870هـ - 1465م)، على شرح العقائد النسفية.

9- العلامة الشيخ عبد الله باشعالم¹⁹⁸ بن محمد بن عبد الله العمري (ت 1297هـ - 1879م)¹⁹⁹، يقول أبو الثناء في الأخذ عنه في كتاب "غرائب الاغتراب": "قرأت عليه بعض القراءات، فهو أحد مشايخي في القرآن وأنا أفتخر به على سائر الأقران"²⁰⁰. وفي رحلته "نشوة الشمول" بين هذه القراءات التي تلقاها عنه فيقول: "وقد كنت قرأت عليه وأنا يافع، قراءة أبي وقراءة ابن كثير ونافع"²⁰¹.

أما شيوخه بالإجازة فقد ذكر عددا من العلماء الذين أجازوه بمروياتهم وكتبهم، ومن جملة هؤلاء الأعلام:

¹⁹⁴ ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 104. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر

مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 311-315

¹⁹⁵ ينظر: حديقة الورود، الورقة 88-89.

¹⁹⁶ ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 111. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر

مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 225-233. مجلة لغة العرب، (2/ 383-385).

¹⁹⁷ ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 113. المدرس، عبد الكريم، علماؤنا في خدمة العلم

والدين، عني بنشره الشيخ محمد علي القرداغي، الطبعة الأولى - بغداد، ص 185-188.

¹⁹⁸ لمنزله العلمية وسمو أدبه أنعم عليه الخليفة العثماني بلقب (باشعالم) أي: رئيس العلماء.

¹⁹⁹ ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 153. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر في نشر

مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 543-551. الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، (2/ 246-247).

²⁰⁰ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 113.

²⁰¹ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، حققها أ. د هيثم سرحان، الناشر: دار الفارس -

الأردن، ص 113.

1- العلامة يحيى بن حسين المزوري العمادي²⁰² الشافعي، النقشبندي (ت 1252هـ - 1836م)²⁰³ فقد أجازته بكل ما تصح له روايته²⁰⁴. وهي مثبتة في كتاب "حديقة الورود"²⁰⁵.

2- محدث الشام عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي (ت 1263هـ - 1846م)²⁰⁶ أجازته بثبته الحديثي، وهي إجازة نفيسة أثبتتها بتمامها صاحب "حديقة الورود"²⁰⁷.

3- المحدث عبد اللطيف بن الشيخ علي فتح الله المفتي البيروني (ت 1260هـ - 1844م)²⁰⁸، وهي إجازة نفيسة طويلة الذيل، مثبتة بتمامها في "حديقة الورود"²⁰⁹.

4- الشيخ المعمر حسين ناظم بن عبد الله الداغستاني (ت 1272هـ - 1855م)²¹⁰، أجازته في القسطنطينية بجميع مروياته، وذيلها بأبيات من إنشائه غير أنها فقدت منه²¹¹.

5- شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم عصمت بن إسماعيل رائف باشا الحسيني الحنفي (ت 1275هـ - 1858م)²¹². فقد أجازته بجميع ما أجازته مشايخه رواية ودراية. كما أجاز أبو الثناء الألوسي شيخ الإسلام عارف

²⁰²نسبة إلى مدينة في شمال الموصل.

²⁰³ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 114. البيطار، عبد الرزاق بن حسن، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (1587/3)، العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، (48/7). المدرس، عبد الكريم، علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص 621.

²⁰⁴ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 114.

²⁰⁵ينظر: حديقة الورود، الورقة 80.

²⁰⁶ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 115. البيطار، عبد الرزاق بن حسن، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (833-836/2). الزركلي، خير الدين، الأعلام، (333/3).

²⁰⁷ينظر: حديقة الورود، الورقة 81-84.

²⁰⁸ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 115. الزركلي، خير الدين، الأعلام، (4/60).

²⁰⁹ينظر: حديقة الورود، الورقة 84-88.

²¹⁰ينظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 259. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: 1339هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، الناشئ: دار إحياء التراث العربي - بيروت، أوفسيت، (4/381)، الباباني، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (1/331) وفيه أن وفاته (1277هـ - 1860م).

²¹¹ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 386.

²¹²ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 148، 209، 358. البيطار، عبد الرزاق بن حسن، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (1/141 - 146) الزركلي، خير الدين، الأعلام، (1/141). وأفرد أبو الثناء الألوسي ترجمته في كتاب سماه "شهي النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم" طبع الكتاب بتحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي، ونشرته مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ.

حكمت²¹³. ولكل منهما رواية واسعة.

6- مفتي الشام الشمس مُجَّد بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقيّ (ت 1252هـ-1836م)²¹⁴، أخذ عنه الإجازة بالمكاتبة²¹⁵.

7- الشيخ الشمس مُجَّد بن علي التميمي المغربي التونسي ثم المصري الحنفي (1287هـ-1870م)²¹⁶، سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازه، كما أجازه الألوسي وحَدَّثه، فحديثهما - كما يطلق عليه أهل الحديث - "مدبج"²¹⁷.

8- فهؤلاء أشهر من تلقى الألوسي عنهم العلم، وبعض الباحثين ذكر من شيوخه علماء آخرين، أمثال مُجَّد بن أحمد الحافظ، ورسول الشوكي، وقد نص الألوسي على أنه أراد القراءة عليهم غير أنه لم يرَ فيهم ما يروي ضمأه، أو امتنع الشيخ عن تدريسه²¹⁸.

9- وذكر الأستاذ عباس العزاوي جملة من العلماء وعدَّهم من شيوخه، والظاهر من تراجعهم أنهم من أقرانه، فيكون ما بينه وبينهم من باب العلاقة العلمية والمذاكرة في بعض المسائل، وإن ذكرهم الألوسي بلفظ يوحى بالمشيخة فهو من باب الأدب²¹⁹.

آثاره العلمية

ظهرت موهبة التأليف عند الألوسي مبكراً، فنراه يضع حاشية على كتاب "قطر الندى" وهو في الثالثة عشرة من عمره، ولهذا ترك ثروة علمية كبيرة من المصنفات، توزعت على أنواع العلوم، تعانق فيها العلم والأدب، وتمازج فيها دقيق الفكر مع سحر

²¹³ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 374-375. الكتاني، مُجَّد عَبْدَ الْحَيِّ بن عبد الكبير ابن مُجَّد الحسني الإدريسي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: 2، 1982، (140/1).

²¹⁴ ينظر: البيطار، عبد الرزاق بن حسن، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (1230/3-1239). الزركلي، خير الدين، الأعلام، (42/6).

²¹⁵ ينظر: الكتاني، مُجَّد عَبْدَ الْحَيِّ الإدريسي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (140/1).

²¹⁶ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 386. الزركلي، خير الدين، الأعلام، (6/299).

²¹⁷ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 386، الكتاني، مُجَّد عَبْدَ الْحَيِّ الإدريسي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (140/1). والمدبج: وهو أن يروي القرينان كل واحد منهما عن الآخر.

²¹⁸ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 101. العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 13.

²¹⁹ ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 14-15.

البيان²²⁰، وقد صنفها حسب موضوعاتها العلمية والأدبية أستاذنا الدكتور محسن عبد الحميد في رسالته عن الألوسي²²¹،

وسأوردها متسلسلة على حروف المعجم، مع التعريف بها، وذكر ما فاته منها، وبيان ما استجد فيها بشأن طباعتها.

1- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية. يحتوي الكتاب على جواب ثلاثين سؤالاً وردت من إيران في مسائل مهمة في اللغة وعلوم القرآن وعلم الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف والفلك، وغيرها، فعرضها الوزير علي رضا اللاظ على عدة علماء فأجابوا عنها، غير أنه لم يرتض جوابهم، فأعطاهما للألوسي فأجاب عنها واستحسن إجابته. وفي الأسئلة والأجوبة يعقد الشاعر عبد الباقي العمري مقارنة بينهما فيقول:

إنَّ السُّؤالَ والجوابَ مثلُما
قد قيل في التمثيل أنثى وذكر²²²

وقد طبع الكتاب أولاً في مطبعة الصنائع بالقسطنطينية سنة (1307هـ). على نفقة الملا عثمان الموصلية، وطبع طبعة ثانية على هامش كتاب "خواتم الحكم" في مصر بالمطبعة الشرفية، سنة (1314هـ)²²³.

2- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهوتية. هذا الكتاب في الذبِّ عن أصحاب رسول الله - ﷺ - أجاب فيه عن سؤال ورد من لاهور حول جماعة في تلك البلاد ينسبون أنفسهم لأهل السنة وينالون من الصحابة. وحين عرض الجواب على السلطان محمود خان سجد لله شكرًا، وأرسل له جائزة عظيمة²²⁴.

وقد طبع الكتاب بعناية ابنه أحمد شاکر في بغداد في المطبعة الحميدية، وطبع حديثاً برسالة علمية بتحقيق الدكتور عبد الله البخاري، نشره في دار ابن القيم، ودار ابن عفان، سنة (1428هـ - 2007م)²²⁵.

3- بلوغ المرام من حلِّ كلام ابن عصام. وهذا الكتاب حاشية كتبها أبو الثناء على كتاب "بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب" لعبد الملك بن عصام الأسفرايني (ت 1037هـ - 1627م). وهذه الحاشية من أوائل مصنفاته كتبها حين

²²⁰ ينظر: الأثري، مُجَدِّدُ بَحْجَت، أعلام العراق، ص 33.

²²¹ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 86-143.

²²² ينظر القصيدة كاملة في: حديقة الورود، الورقة 237.

²²³ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 119-122. الأثري، مُجَدِّدُ بَحْجَت، أعلام العراق، ص 29. وتحرفت سنة الطبعة الأولى فيهما إلى 1317هـ. وما أثبتته من الصفحة الأولى للكتاب.

²²⁴ ينظر حديقة الورود، الورقة 249.

²²⁵ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 114-117. الأثري، مُجَدِّدُ بَحْجَت، أعلام العراق، ص 30. العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 91.

ذهابه إلى أُلوس، ومن مزايا هذه الحاشية أنها مفيدة في تسهيل التدريس لهذا الكتاب²²⁶.

4- التبيان²²⁷ شرح البرهان في إطاعة السلطان. كتاب البرهان من تأليف مفتي الإسلام عبد الوهاب بن عثمان الرومي الحنفي الشهير بياسيني زاده المتوفى سنة (1249هـ - 1833م). وكان شرحه له بإشارة من الوالي علي رضا اللاظ. والكتاب مشحون بالمباحث الفقهية والردود العقائدية في مسألة الإمامة. منه نسختان خطيتان: الأولى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، والنسخة الثانية منقولة عنها في مكتبة هاشم الألوسي.

وهذا الكتاب أثار جدلاً حول سبب تأليفه، فاتهم بعض الباحثين المؤلف بأنه ألّف هذا الكتاب تقية ومجارة للدولة العثمانية وليس عن عقيدة وقناعة. وردّ هذا الرأي الدكتور محسن عبد الحميد من خلال دراسته للكتاب واستقراء شخصية الألوسي²²⁸.

5- حاشية على القطر. في النحو. وهي حاشية على كتاب "شرح قطر الندى" لابن هشام الأنصاري (761هـ - 1359م). والكتاب من كتب المجادة التي كان على طالب العلم إتقانها، كتبها في صباه ولم يتمها، وجاء بعده ابنه نعمان الألوسي (1317هـ - 1899م) فأتمها وعَنَوَهَا "الطارف والتالذ في إكمال حاشية الوالد". وطبعت في القدس سنة (1320هـ - 1902م). وطبعت طبعة حديثة بتحقيق فؤاد ناصر، ونشرتها دار نور الصباح في تركيا سنة (2011م).

6- حواشي على حاشية عبد الحكيم السيلالكوتي على شرح الشمسية. في علم المنطق²²⁹.

7- دقائق التفسير. مجموعة رسائل وبحوث في تفسير آيات من القرآن الكريم، ذكرها في كتابيه "نشوة المدام" و "غرائب الاغتراب"، وذكر الشيخ مُجَدِّدٌ بهجت الأثري أنه اطلع عليها عند شيخه محمود شكري الألوسي²³⁰. ويرى الدكتور محسن عبد الحميد أن نسبة الكتاب إلى الألوسي غير صحيحة، وإنما المجموعة لرجل من أهل العلم يدعى مصطفى، كان يعمل كاتباً

²²⁶ ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي التناء الألوسي، ص 85. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 107-108.

²²⁷ ذكره الدكتور محسن عبد الحميد بلفظ "البيان"، وقال المؤرخ عباس العزاوي: "ويقال غاية البيان".

²²⁸ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 109-113. العزاوي، عباس، ذكرى أبي التناء الألوسي، ص 91. الوردي، الدكتور علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الناشر: دار الراشد - بيروت، (112/2-114).

²²⁹ ينظر: الأثري، العزاوي، عباس، ذكرى أبي التناء الألوسي، ص 92. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 142.

²³⁰ ينظر: الألوسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، طبعة الدكتور هيثم السرحان، ص 217، غرائب الاغتراب، ص 502. الأثري، مُجَدِّدٌ بهجت، أعلام العراق، ص 31.

في محكمة سالانيك، جمعها سنة (1085هـ)، فقام الألوسي بالتعليق على مواضع منها²³¹.

8- رحلة إلى النجف. مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، ضمن مجموع برقم (24272)²³².

9- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أعظم مؤلفاته شأنًا، وأجلها قدرًا. استغرق تأليفه خمس عشرة سنة (1252-1267هـ)، جمع فيه خلاصة ما قال أهل التفسير، وبذل له مجهوده وأفراغ فيه وسعه؛ ليخرجه تفسيراً جامعاً رواية ودراية. وطبع التفسير طبعات كثيرة كان أولها في مصر في مطبعة بولاق سنة (1301هـ)، وكمل طباعة سنة (1310هـ).

وطبع بعدها طبعات عديدة. وأثنى على هذا التفسير وقرظه علماء أجلاء، أثبتت كتاباتهم في نهاية التفسير²³³.

10- سرح الخريدة²³⁴ الغيبية في شرح القصيدة العينية. القصيدة العينية²³⁵ للشاعر عبد الباقي العمري في مدح رابع

الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب - عليه السلام. وهذا الشرح يغلب عليه الطابع اللغوي في شرح المفردات والتفصيلات النحوية،

أما النواحي البلاغية فلا يتطرق إليها إلا عرضاً. ولا يخلو الشرح من مناقشات كلامية وفلسفية وبحوث تاريخية²³⁶. وهذا

الشرح من أواخر مصنفاته، إذ انتهى من تصنيفه عصر يوم الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الثاني سنة (1270هـ-1854م)²³⁷.

وقد طبع هذا الشرح بمصر سنة (1270هـ-1854م) طبعة حجرية. وطبع طبعة جديدة في بيروت بتحقيق عبد الله الحمر،

ونشرته مؤسسة البلاغ سنة (1440هـ-2019م).

11- سفرة الزاد لسفرة الجهاد. (رسالة الجهاد). ألّف هذه الرسالة زمن السلطان عبد المجيد خان (ت 1277هـ-1861م) دعاه إلى تأليفها أن الدولة المسقوفة -روسيا اليوم- حشدت قواتها وأخذت تحدد الدولة العثمانية، فأعلن

²³¹ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 142-143.

²³² ينظر: الجبوري، الدكتور عبد الله، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة 1974م، (4/449).

²³³ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 158-165.

²³⁴ الخريدة: فتاة عذراء لم تُمسّ، واللؤلؤة لم تتقب. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (خرد) (2/176).

²³⁵ ينظر: العمري، عبد الباقي، ديوان الباقيات الصالحات، عني بإخراجه أبو مصعب البصري، الناشر: انتشارات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ، ص 56-64.

²³⁶ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 104-106. العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، (2/49).

²³⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، طبعة حجرية بمصر، ص 156.

وقد طبعت هذه الرسالة في مطبعة دار السلام ببغداد سنة (1333هـ-1915م)، ونشرتها حديثاً دار النور المبين في الأردن بتحقيق ذاكر الحنفي. ونشرتها دار العبيكان في السعودية بتحقيق عبد العزيز الجليل، وعنون تحقيقه بـ "نيل المراد في تحقيق سفرة الزاد لسفرة الجهاد".

12- شجرة الأنوار ونُور الأزهار. جمع فيه طائفة من تراجم ذرية فاطمة الزهراء -عليها السلام- ألفه زمن إقامته في استانبول. ومنه نسخة خطية كتبها ولده نعمان، محفوظة في مكتبة أوقاف بغداد، تقع في عشر ورقات، تحت الرقم (24207)²³⁹.

13- شرح سلم العروج. في علم المنطق. كتبه وهو ابن تسع عشرة سنة. وقد فُقد الكتاب أثناء عودته من ألس²⁴⁰.

14- شهى النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم. ووضع له عنواناً آخر هو "الصادح بشهى النعم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم". وهذا الكتاب في ترجمة شيخ الإسلام عارف حكمت، والكتاب يعد من المصادر المهمة في تراجم علماء الترك العثمانيين. وقد طبع بتحقيق الدكتور مُجدد العيد الخطراوي، ونشرته مؤسسة علوم القرآن في دمشق سنة (1402هـ-1982م). ونشره بعنوانه الثاني ذاكر الحنفي، وطبع في دار النور المبين في الأردن سنة (1436هـ-2015م).

15- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب. القصيدة للشاعر عبد الباقي العمري (ت 1278هـ-1861م) في مدح الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 561هـ-1166م)، والباذ الأشهب لقب للكيلاني، ومعناه عند الصوفية المتمكن في الأحوال، وهو مع الناس بجسده ومع الله بسائره²⁴¹.

وهذا الشرح للقصيدة تظهر فيه براعة الألوسي العلمية والأدبية، فهو مجموعة أدبية ولغوية، ومما يميزه -كما يرى الدكتور محسن عبد الحميد- أن الشرح يعد مرجعاً لمؤلفي البلاغة المدرسية؛ لكثرة الشواهد الشعرية التي استشهد بها، لاسيما في أنواع

²³⁸ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 117-119. العزاوي، عباس، ذكرى أبي التناء الألوسي، ص 86.

²³⁹ ينظر: الألوسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 118. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 146، الأثري، مُجدد بهجت، أعلام العراق، ص 32.

²⁴⁰ ينظر: الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 145، الأثري، مُجدد بهجت، أعلام العراق، ص 32. العزاوي، عباس، ذكرى أبي التناء الألوسي، ص 85.

²⁴¹ ينظر: الكيلاني، جمال الدين، جغرافية الباز الأشهب، الناشر: دار الإسلام - لاهور، الطبعة الخامسة، سنة 2015م، ص 118.

وقد طبع هذا الكتاب في مصر سنة (1313هـ) بمطبعة جريدة الفلاح، على نفقة الملا عثمان الموصلبي (ت 1341هـ -

1923م)²⁴³. وأعيد طبعه بالأوفسيت بدار أضواء السلف، سنة (2010م).

16- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب. وسياقي الحديث عنه مفصلاً.

17- الفوائد السننية من الحواشي الكلبوية. في آداب البحث والمناظرة. وهو مختصر حاشية الكلبوي على حاشية مير أبي

الفتح على الحنفية في الآداب. كتبها على هامش النسخة أثناء تدريسه ولده عبد الباقي، وقام ابنه نعمان خير الدين بنسخها

من الأصل وحفظها بنسخة منفردة. منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحت الرقم (6504)²⁴⁴.

18- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد. وهذا الكتاب شرح لقصيدة مُجَّد الجواد السباه بوشي الشاعر البغدادي

(ت 1247هـ - 1831م)²⁴⁵ في رثاء أستاذ الألوسي الشيخ خالد النقشبندي، وهي قصيدة يصفها أبو الثناء بأنها حوت

دقائق علم التصوف ومختلف العلوم، وفاققت قصائد من سبق من الشعراء أمثال امرئ القيس وعمرو بن كلثوم؛ لما جمعت من

الفصاحة والبيان²⁴⁶.

وتظهر براعة الألوسي في الكتاب في تمكنه من علوم مختلفة، فهو عروضي ولغوي ومتكلم ومتصوف ومؤرخ وفقه وفلكي.

فما من مناسبة تأتي للكلام في واحد من هذه العلوم إلا أفاض فيها بكلام العارف المتمكن الذي يظن القارئ أنه لا يحسن

غيره؛ لاستيعابه لدقائقه²⁴⁷.

19- كشف الطرة عن الغرة²⁴⁸. وهو شرح لكتابه "الغرة"²⁴⁹ الذي لخص فيه كتاب "درة الغواص في أوهام الخواص"

²⁴² ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 100-103. العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، (50/2).

²⁴³ ينظر في ترجمته: مجلة لغة العرب، (4/ 259-264، 4/ 354-355).

²⁴⁴ ينظر: الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 146، الأثري، مُجَّد بهجت، أعلام العراق، ص 31. العزاوي، عباس، ذكرى أبي

الثناء الألوسي، ص 91.

²⁴⁵ ينظر في ترجمته: العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، (2/ 272-274).

²⁴⁶ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، المطبعة الكستلية - مصر، 1278هـ، ص 3.

²⁴⁷ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 95-99.

²⁴⁸ ذكر عباس العزاوي لهذا الكتاب اسماً آخر، هو "غاية الإخلاص بتهذيب نظم درة الغواص". ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء

الألوسي، ص 14-15.

²⁴⁹ وذكر العزاوي هذا المختصر بعنوان "نظم درة الغواص في قلائد عرائس المناص"، وقال "وسماه الغرة أيضاً". ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي

وشرحه، وهذا الكتاب من أشهر ما ألف في التصحيقات اللغوية، لمصنفه أبي مُجَدِّ القاسم الحريري البصري (ت 516هـ-1122م)، ولشارحه شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ-1659م). وقد ألفه أيام رحلته، ووَشَّحه باسم شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت²⁵⁰. وأتمَّه في القسطنطينية سنة (1268هـ-1852م).

وهذا الكتاب يعد أول تصنيف خاص بالمفردات من معانيها الأصلية في عصر النهضة اللغوية الحديثة، حيث رتَّب الكتاب على حروف المعجم لشرح الخفاجي على الدرّة، وفيه زيادات ونقد لغوي تدل على سعة علم الألوسي وطول بابه في اللغة. كما حوى الكتاب على مباحث نحوية ومسائل صرفية²⁵¹.

20- مقامات الألوسي. خمس مقامات حقيقية وخيالية، وهي: إنباء الأبناء بأطيب الأبناء، الأهل من الأخوال،

قطف الزهر من روض الصبر، زجر المغرور عن رجز الغرور، سجع القمرية في ربع العمرة.

وطبعت هذه المقامات طبعة حجرية في كربلاء سنة (1273هـ-1856م)، وهي طبعة رديئة؛ لما حوته من تصحيقات وتحريفات²⁵². وأعدت نشرها دار النور المبين في الأردن سنة (2020م) بتحقيق ذاكر الحنفي.

21- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول. وسيأتي الحديث عنه مفصلاً.

22- نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام. وسيأتي الحديث عنه مفصلاً.

23- النفحات القدسية في الرد على الإمامية. الكتاب ردٌّ على الشيعة في مسألة الإمامة، لم تسعفه ظروفه على إكماله.

ونشر بتحقيق الدكتور عبد الله البخاري في دار ابن القيم، ودار ابن عفان، سنة (1432هـ-2011م)²⁵³.

24- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة. اختصر به كتاب "التحفة الاثني عشرية" لعبد العزيز الدهلوي (ت 1239هـ-

1824م)، وكتب منه عشرين كراساً، ووافته المنية قبل أن يتمّه. وهو رد بليغ على الشيعة²⁵⁴، نشر الكتاب في مصر في

الثناء الألوسي، ص 14-15. الشواف، حديقة الورود، الورقة 248.

²⁵⁰ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، كشف الطرة عن الغرة، الناشر: المطبعة الحنفية - دمشق، سنة 1301هـ، ص 4، 6.

²⁵¹ ينظر: جواد، الدكتور مصطفى، المباحث اللغوية في العراق، الناشر: معهد الدراسات العربية العالية، سنة الطبع 1955م، ص 51-52. الغزوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، (51/2).

²⁵² ينظر: الأثري، مُجَدِّ بمجت، أعلام العراق، ص 32. الغزوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 85. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 139-141.

²⁵³ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 122-125. الغزوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 92.

²⁵⁴ ينظر: الأثري، مُجَدِّ بمجت، أعلام العراق، ص 30، عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 125-127، الغزوي، عباس،

مطبعة الديار سنة (2013م)، ونشر بتحقيق الدكتور عبد الله البخاري في دار ابن القيم، ودار ابن عفان، سنة (1439هـ-2018م).

وله زيادة على ما ذكر رسائل ومكاتبات مع علماء وأدباء عصره، جمع طائفة منها حفيده السيد محمود شكري (1342هـ-1924م) في كتابه "اللؤلؤ المنثور وحلي الصدور"²⁵⁵، وله تعليقات وحواش على بعض المصنفات التي كان يباشر تدريسها، تتضمن تحقیقات نفیسة وتحریرات سدیة تدل على سعة علمه، منها، "تعلیقات على شرح السيوطي لألفية ابن مالك"²⁵⁶، و"فوائد هامة وتعلیقات في النحو" منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة تحت الرقم (6514) ولم تطبع. و"رسالة في الجمرات" منها نسخة في المكتبة القادرية رقم (6/ 1442) ورقة (22 - 25) ولم تطبع، و"رسالة في الإجابة عن أسئلة فرسئل بيك" رسالة لطيفة ردّ فيها على (فرسئل) أحد علماء النصارى، منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة (5/ 1442) ورقة (20 - 22)²⁵⁷، و"تعلیقات في ردود الشيعة" منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة رقم (5/ 13785) ورقة (2)، وله تعلیقات على كتب في المعقول والمنقول والأصول والفروع²⁵⁸.

وفاته

في طريق عودته من إسطنبول إلى بغداد، صادف شدة برد وغزارة مطر في الطريق المؤدي إلى قرية بُرطلة، فمشى الركب تحت المطر حتى ابتلت ثيابهم، ولازمهم البرد والمطر أثناء مسيرهم، وبوصولهم قرية تازة خرماتي اشتدت عليه الحمى النافضة، فبات بشرّ ليلة، ثم شفي منها، وما زالت تعاوده أثناء رحلته، حتى وصل بغداد في شهر ربيع الأول سنة (1269هـ)²⁵⁹، وبعد وصوله لم تبارحه، وأخذت تعاوده بين الحين والحين حتى وهت قوى جسمه، واشتد عليه المرض قبيل رمضان، فلم يقدر على

ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 92.

²⁵⁵ للكتاب نسخة بخط مؤلفه بمكتبة المتحف العراقي تحت الرقم (8654) ويقع في 225 صفحة.
²⁵⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، (6/ 358، 13/ 215)، عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 142.
²⁵⁷ طبعت في مجلة الحكمة، العدد 18، (صفر 1420، [مايو / يونيو 1999])، ص 457-474، حققه أبو عبد الله محمد بن سعيد اليوسف.

²⁵⁸ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 142.
²⁵⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، تحقيق أ. د هيثم سرحان، الناشر: دار السويدية - أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2019م، ص 284، 287، 288، 297، 300. الشواف، حديقة الورود، الورقة 247.

التكلم إلا بالسنة الألفاظ، فلزم البيت، ولازم الدعاء، ودخل رمضان فصامه وهو على هذه الحال، حتى دخل شوال فزادت آلامه ولم يعد قادراً على القيام والقعود والركوع والسجود، وازداد عليه ضعف عصب الرجلين والصداع، وهو لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ولم يزل كذلك حتى حضرته الوفاة صباح السبت، وعرجت روحه في (25 ذي القعدة 1270هـ - 18 آب 1854م). وله من العمر ثلاث وخمسون سنة هجرية، ودُفن في جانب الكرخ في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، وقبره بارز معلوم مشهور عند المدخل على الجانب الأيسر، ودفن معه حفيده محمد درويش (ت 8 جمادى الآخرة 1367هـ - 17 نيسان 1948م).

وكان يوم موته عظيماً، اشترك في جنازته خلق كثير، وصلت عليه جماعات عظيمة من المسلمين، وصلوا عليه صلاة الغائب في أغلب المدن الإسلامية²⁶⁰.

وما إن انتشر خبر موته أخذ أهل البيان يتسابقون إلى ذكر مآثره، وينظمون في رثائه القصائد الطويلة. ونعاه أهل الفضل والعلماء في شتى البلاد الإسلامية، وتكفل صاحب كتاب "حديقة الورود" بجمع تلك القصائد والرسائل والكلمات²⁶¹.

3.1.2. المطلب الثاني: المكانة الأدبية للإمام الألوسي في عصره

تتجلى مكانة أبي النناء الألوسي بين علماء عصره كونه مفسراً عظيماً؛ فهو صاحب أوسع التفاسير في العصر الحديث، وكونه فقيهاً تولى منصب الإفتاء لسنوات طويلة في مدينة السلام، وكونه محدثاً يحمل إجازات حديثة ويروي أثبات العلماء بالسند المتصل إلى رسول الله - ﷺ - وكونه متكلماً ولغويًا وفلكياً، لمشاركته في تدريس هذه العلوم والتصنيف فيها.

ومع هذه الأوصاف العلمية الجليلة التي اجتمعت في شخصية الألوسي فقد كان أحد كتاب العربية وأدائها، ولّد حركة أدبية في عصره سعت إلى الخروج بالأدب مما وسم به من "الانحطاط"، والنهوض به من رقدته التي أصابته في نهاية الدولة العباسية وبعد احتلال التتار، حيث أصبح الأدب يدور في حلقة ضيقة ذات موضوعات فردية ذاتية، حتى غرق الشعراء في نظم لا صلة له بالشعر إلا من حيث الوزن والقافية، كشعر المناسبات والتاريخ الشعري ونظم الألغاز، فهو شعر تضعف فيه العاطفة،

²⁶⁰ ينظر تفاصيل مرضه ووفاته: الشواف، حديقة الورود، الورقة 244-248. الألوسي، محمود شكري، المسلك الأفر، ص 148-149.

²⁶¹ ينظر: حديقة الورود، الورقة 252-257.

ويضعف فيه الخيال والصدق الفني²⁶².

ويمكن أن نوضح منزلته الأدبية بثلاثة أقسام:

الأول: الألوسي رائد التجديد الأدبي

سلك الألوسي في طريقة إحيائه للأدب في عصره عدة اتجاهات أكسبته رونقاً وجمالاً، وجعلته يعلو ويخرج من خموله، ويكون نسخة مغايرة للعصور التي سبقتها، وهذا التجديد والإحياء يظهر في مؤلفاته الأدبية التي صنفها، بل وتظهر النزعة الأدبية في جميع مؤلفاته التي اتسمت بعدم الجفاف والجمود، فهو نموذج للعلماء الأوائل في كونهم كتاباً وأدباء وشعراء، وتظهر هذه النزعة عنده في تكوين طالب العلم فهو يرى قبل أن يشرع بالعلوم أن يلحق الأدب، وبعد تكامله لديه يختار لنفسه الوجهة العلمية التي يرى نفسه فيها²⁶³.

ومن وسائل النهضة الأدبية التي قام بها تنظيم الحركة الأدبية وتوجيهها وجمع شتاتها، فكان أبو الثناء حلقة الوصل بين الأدباء، وبهذا أزال عنها عثرة التفرق بينهم، وتمكن من جمعهم لإيجاد سوق رائجة للأدب، وخير ما يمثل هذا التنظيم للحركة الأدبية كتاب "حديقة الورود"²⁶⁴.

ومن مظاهر التجديد التي سعى إليها أن يكون "الأدب للأدب" وأن يكون بمعزل عن السياسة والسلطة، فكان يعمل على أساس هذه المقولة ويؤكد في نتاجه الأدبي، ويحذر من الاتصال بالسياسة؛ خشية أن تفسد أمر الأدب، ولذا كان تراثه الأدبي -نثراً ونظماً- ثروة أدبية تمثل أدب عصره، وغذاء للأدباء الذين تلوه²⁶⁵.

إن تراث أبي الثناء الألوسي الأدبي يُعد تراثاً برزخياً من حيث إنه يمثل الأدب العربي الموروث بأساليبه الكتابية وصناعته الأدبية، وهو الأقرب زمنياً من الأدب الحديث، ولذا فإن مشروع أبي الثناء الأدبي يعد الأساس في بنیان عصر النهضة الأدبية، الذي كان ممهداً لظهور الأدب الحديث²⁶⁶.

²⁶² ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 59. تاريخ الأدب العربي في العراق، (202/2).

²⁶³ ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 59.

²⁶⁴ ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 61. تاريخ الأدب العربي في العراق، (202/2).

²⁶⁵ ينظر: العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 61-62. تاريخ الأدب العربي في العراق، (202/2).

²⁶⁶ ينظر: سرحان، الدكتور هيثم، مقدمة نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 51-52.

الثاني: نشره وإنشاؤه

ينزع أبو الثناء الألوسي في مؤلفاته كلها نزعة أدبية، تجعله في مصاف كبار كتاب العربية، وتشهد له بتمكنه من أصول البيان، وامتلاك ناصية اللغة، فجاءت آثاره أنيقة البناء، صحيحة الصياغة، غزيرة المعاني، تمكن بها من رفع مستوى الإنشاء، وحمايته من العامة وركافة العجمة، غير أنه ظل متمسكاً بأهداب التكلف البديعي من سجع وجناس وطباق، ولم يطرح الأسلوب المنمق مرة واحدة؛ ذلك أنه مقيد بروح عصره التي فرضت نفسها عليه، وحالت بينه وبين الترسل في الكلام على سجيته، إذ الاهتمام باللفظ على حساب المعنى كان من أبرز سمات هذا العصر، لم ينفك عنها شاعر ولا أديب²⁶⁷.

حاول أبو الثناء أحياناً الخروج من سلطان السجع الذي كان شائعاً ومسيطرًا على أقلام الكتاب، غير أن متطلبات عصره أخضعته للسجع والاهتمام بالمحسنات البديعية، وكما يقال: مراعاة مقتضى الحال ضرورة. على أن سجعه كما يراه بعض الباحثين خفيفاً على السمع، بعيداً عن الإغراب والتصنع، منسجماً عذباً لا يكاد يجد فيه سامعه شيئاً من التكلف والتعسف، قريباً إلى الروح الشاعرية²⁶⁸.

ومع حرص الألوسي على الالتزام بالروح الأدبية في عصره فقد شهد له الكتاب والباحثون ببراعته الكتابية ومقدرته الإنشائية، وأنه يضارع أئمة البيان على مر عصور العربية، فيرى الأستاذ محمد بهجت الأثري أن الألوسي يفوق أئمة الإنشاء في العصور الإسلامية فيفصله على الحريري (ت 516هـ - 1122م)²⁶⁹ في مقاماته، وعلى صاحب (ت 385هـ - 995م)²⁷⁰ في سجعاته، وعلى ابن العميد (ت 360هـ - 970م)²⁷¹ في ترسلاته، وعلى الموفق عبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ -

²⁶⁷ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 148.

²⁶⁸ ينظر: الأثري، محمد بهجت، أعلام العراق، ص 33-34. العزاوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 63-64. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 148.

²⁶⁹ هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، صاحب المقامات، كان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، وكفاه شاهداً على ذلك مقاماته. تنظر ترجمته في: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ/1993م، (5/ 2202)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، (460/19).

²⁷⁰ هو الوزير أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني، الأديب الكاتب، الملقب بالصاحب كافي الكفاة. كان كلفاً بالسجع في كلامه وقلمه، وله من المصنفات (المحيط) في اللغة، و(الكافي) في الترسل. تنظر ترجمته في: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، (2/ 662)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، (512/16).

²⁷¹ هو الوزير الكبير، أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب، ويقال له: الجاحظ الثاني، كان عجباً في الترسل والإنشاء والبلاغة. تنظر

1231م²⁷² في وصفاته. ووجه تفضيله عليهم أن كل واحد منهم عرف بلون أدبي خاص وأسلوب يميزه عن غيره، فإذا حاد عن أسلوبه التوى عليه القصد وخانه التعبير في غير فنه، بينما نجد أبا الثناء يجول في ميادين الفصاحة وحلائب البراعة، يصرف أناة الكتابة ويجريها في ميدانها كيف شاء فيما كتب في علوم الدين والأدب²⁷³.

ويرى الدكتور محمد مهدي البصير أن أبا الثناء كان كاتباً كبيراً على نمط بديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ-1008م)²⁷⁴ والحريري، وأن نثره في مقاماته وكتب رحلاته هو شعر لا ينقصه سوى الوزن. وينقل عن بعض أدباء عصره أنهم كانوا يعجبون من سعة خيال الألوسي وعظيم قدرته على استنباط التشابيه والاستعارات في أحاديث رحلاته، فقد عبّر عن انسلاخ الليل وإقبال الفجر بأكثر من صورة، لكل صورة منها جمالها وروعته. مما يدل على سعة الخيال وخصب القريحة وعظيم المقدرة على التفنن في التعبير²⁷⁵.

وذهب الدكتور محسن عبد الحميد إلى أن أبا الثناء لا يقل عن الطبقة الأولى من كتاب العربية على مآل العصور الأدبية، ويراها أشبه الكتاب بأبي حيان التوحيدي (ت 414هـ-1023م) من حيث الطريقة في الوصف، وإتيانه بالجمل القصيرة المتنوعة فيه، وأتى للتدليل على صحة ما ذهب إليه برسالة وصفية لكل منهما يظهر فيها التشابه الكبير في طول النَّقْس في الوصف²⁷⁶.

ومن مزايا النثر عند أبي الثناء -لا سيما في مقاماته- أنه خرج بمضمونها الخيالي في حكاية لا أصل لها موسومة بطابع الهزل والسخف إلى مضمون واقعي اجتماعي أدبي، وفي صنيعه هذا قرب المسافة بين الأدب وموضوعاته من العلاقة الحياتية، بل قد جعل من الحكاية الخيالية موضوعاً أدبياً إصلاحياً ذا مساس بالحياة بما قدّم فيها من نصائح وأقوال، فهو يسعى إلى

ترجمته في: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، (512/16).

²⁷² هو الفقيه اللغوي الأديب الموفق عبد اللطيف بن يوسف بن محمد الموصلية البغدادي، ويعرف بابن اللبان، له كتاب "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر" المطبوع باسم رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر. وكان يصف ما شاهد من الآثار وصفاً متناهِياً في الدقة والأمانة. تنظر ترجمته في: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، (320/22).

²⁷³ ينظر: الأثري، محمد بهجت، أعلام العراق، ص 32-33. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 146.

²⁷⁴ البديع الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى. صاحب كتاب (المقامات) التي على منوالها نسج الحريري، وله ترسل فائق، ونظم رائع تنظر. ترجمته في: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، (1/ 234)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، (68/17).

²⁷⁵ ينظر: البصير، محمد مهدي، نخبة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ص 242-243.

²⁷⁶ ينظر: عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، ص 147.

إصلاح الحالة الاجتماعية والتنبيه على بعض الأمراض والمفاسد الإخلاقية²⁷⁷.

الثالث: شعره

قرض أبو الثناء الألويسي الشعر غير أنه لم يكن فيه مطبوعاً، ولم يكن مكثراً منه ولم يتفرغ له، بل لم يكن يدعيه، فقد صرح في نظمه لإحدى القصائد التي نظمها لأولاده بأن الأبيات أكثرها من شعر جدّه لأمه حسين العشاري؛ وذلك لقلّة تدرّبه بالنظم²⁷⁸، فعلاقته بالشعر علاقة الفقهاء بالنظم، وهي علاقة في الغالب تكون بعدم اهتمامهم بقرض الشعر وتعاطيه؛ كونه ليس غاية لذاته، وإنما يكرسون حياتهم للعلوم الدينية واللغوية الصرفة، فإذا بدر من أحدهم شعر فإنما يكون استجابة لباعث أدبي أو مادي²⁷⁹.

والملاحظ في غالب شعر الفقهاء أنه يدعو إلى الزهد، والأخذ بالموعظة، ونبذ الدنيا وذكر الموت ولقاء الآخرة، والشعور بالتقصير في العبادة تجاه رب العباد، ولذا جاءت صياغتهم الشعرية سهلة الألفاظ بعيدة عن التعقيد، لا تخلو من العبارات الفقهية، يسبق الفكر فيه الانفعال والقدرة التصويرية، وأغلب شعرهم إنما يكون مقطعات شعرية أو أبياتاً قليلة في موضوع واحد، وليست قصائد طوال.

ويذهب الدكتور مُجّد مهدي البصير إلى أن أبا الثناء شاعر بليغ غير أنه مقل من الشعر، ويستدل على ما ذهب إليه أن نثر أبي الثناء في كتبه الأدبية هو شعر لا ينقصه إلا الوزن، ويورد شواهد من كتب رحلاته، ويقرر أن الألويسي شاعر كبير من شعراء عصره، إن لم نجد ذلك في نظمه ففي منشوره.

واستدل من خلال تتبعه لكتب الألويسي، أن هناك أبياتاً من الشعر هي لأبي الثناء غير أنه لا ينسبها إلى نفسه، زهداً فيها أو في الشعر؛ لأن فقهاء عصره كانوا يزهّدون بالشعر ويترفعون عنه؛ لإسفاف الشعراء في طَرَقهم لمواضيع لا يرضاهم الشرع لأهلها، وكونه قد أخذ وسيلة للتكسب بصورة خاصة²⁸⁰، واستنتج ما قرره من خلال ما وقف عليه من الأشعار التي نسبها إليه، ولم يتحقق من قائلها، ومن صحة هذه النسبة.

²⁷⁷ ينظر: الغزوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألويسي، ص 67. عبد الحميد، الدكتور محسن، الألويسي مفسراً، ص 153-154.

²⁷⁸ ينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 102، الأثري، مُجّد بمجت، أعلام العراق، ص 40. الألويسي، علي

علاء الدين بن نعمان، الدر المنثور في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، ص 24.

²⁷⁹ ينظر: البصير، مُجّد مهدي، مُهضة العراق الأدبية، ص 242.

²⁸⁰ ينظر: البصير، مُجّد مهدي، مُهضة العراق الأدبية، ص 244.

أما عباس العزاوي فيذهب إلى أن الألوسي هو ناثر أعظم من كونه شاعراً، فقد تحدث عن أدباء عصر الألوسي من شعراء وناثرين، وعدَّ الألوسي منهم، وختمها بقوله: "اشتهر هؤلاء بالشعر. ومن الأدباء الناثرين أبو النشاء"²⁸¹.

وإذا ذهبنا بجولة بين ما صحَّ له من أشعار لتحقق صحة ما ذهبنا إليه أولاً، فمن شعره ما افتتح به مقاماته، مسترحماً الله تعالى مستغفراً مما بدر منه في حياته:

أنا مـذنب أنا مخطئ أنا عاصي هو غافر هو راحم هو عافي
قـابلتهن ثلاثـة بثلاثـة وسـتغلبن أوصافه أوصافي²⁸²
ومن نظمه قصيدة بعث بها إلى أولاده، يث فيها شوقه إليهم وإلى بغداد، وقد قدّم لها بأن أكثر ما حوته من أبيات إنما هي من شعر جده لأمه، وقليل منها من عنده، فيقول: "فكتبت لصبيتي. مما فيه شرح صبوتي. أبياتاً أكثرها من شعر جدي.

وقليل منها من عندي. وذلك لقلة تدري بالنظم. وأنه لا يعد سارقاً من يأكل من طعام الأب والجدة والعم. هي هذه:

أبيت ولي وجد حرارته تـلـو ودمع له في عارضي عارض هطل
وأطوي على جمرٍ وأغضي على قذى وأشغل أعضائي وقلبي له شغل²⁸³
ومن نظمه ما ينتمي إلى ما يسمّى بالشعر التعليمي، وهو شعر بارد لا علاقة له بالشعر سوى النظم، ومن ذلك قوله في كروية الأرض أثناء مباحثاته مع شيخ الإسلام عارف حكمت:

"مولاي إن كروية صحت فلا جزء هنالك أرفع الأجزاء
بل كلها رفعاً وخفضاً مستو في نفسه يا أرفع العلماء
هذا الذي حكمت به كروية الـ أجسام عند القادة الحكماء"²⁸⁴

ومن نظمه في الشعر المؤرخ، قوله عند إتمامه لكتاب رحلته "غرائب الاغتراب":

مـذ تم مـا قـد رمتـه نثـراً وراق نظامـه

²⁸¹ العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، (329/7).

²⁸² الألوسي، محمود بن عبد الله، مقامات ابن الألوسي، طبعة حجرية في كربلاء سنة (1273هـ-1856م)، ص 6. وينظر: الأثري، محمد بججت، أعلام العراق، ص 41.

²⁸³ الألوسي، محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 285-286.

²⁸⁴ الألوسي، أبو النشاء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 482. وله سبعة أبيات آخر مع شيخ الإسلام أثناء مباحثاته معه، ينظر: ص 495.

بالخـير قـد أـرختـه (مسك يـفـوح خـتامـه)²⁸⁵
وآخر ما نظمه ما قاله في مرض موته شاكياً:

ولو أن ما بي من صداع يـذبل
لأصبح مصدوع الحشاشة يـذبل²⁸⁶
إلى الله أشـكو إن روض سـلامتي
لفرط سموم السقم يـذوي ويـذبل²⁸⁷
وعلى هذا المنوال نظم غالب أبياته، وتولّى الأستاذ بهجت الأثري ذكر ما تُسب إليه من الأشعار وهي لغيره ممن سبقه من الشعراء²⁸⁸.

وزاد الدكتور البصير بعض الأبيات التي نسبها إلى أبي الثناء، وعند التحقيق نجد لها لشعراء آخرين ممن سبقوه، منها قوله في تقرير كتاب شيخه علاء الدين الموصلي:

عباراته في النظم والنثر كلها
غرائب تصطاد القلوب بدائع
فهن لأجساد المعاني قلائد
وهن لأجساد المعاني طلائع²⁸⁹
وهذان البيتان ليسا من نظم أبي الثناء، ولم أقف على قائل البيتين، وقد ذكر البيت الأول منهما أحمد بن عبد الله، فريدون بك، التوقيعي الإسماعيلي (ت 991هـ-1583م) في كتابه "منشآت السلاطين"²⁹⁰.

ومما ذكره الدكتور البصير وظن أنه من نظم أبي الثناء، قول الشاعر:

خلت الديار فسدت غير مُسود
ومن الشقاء تفرّدي بالسود
وهذا البيت للشاعر التابعي -ويقال له صحبة- حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني (ت 64-683م)²⁹¹.

ومما نسب إليه وعدّه من شعره غير المعروف الأبيات الثلاثة في التواضع العلمي التي مطلعها:

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن
أجيز ولكن الحقائق قد تخفى
وهذه الأبيات لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربي المالكي (1041هـ-1631م) في قصيدة يجب فيها

²⁸⁵ الألويسي، محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 512. وحساب الشطر الثاني الذي بين القوسين بحساب الجمل (1270هـ).

²⁸⁶ (يذبل) جبل في طريق الإمامة من أرض نجد، معدود في نواحي الإمامة. معجم البلدان، (128/1).

²⁸⁷ حديقة الورود، الورقة 247، الأثري، مُجد بهجت، أعلام العراق، ص 41.

²⁸⁸ ينظر: الأثري، مُجد بهجت، أعلام العراق، ص 41-42.

²⁸⁹ ينظر: البصير، مُجد مهدي، نهضة العراق الأدبية، ص 244. الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 146.

²⁹⁰ ينظر: فريدون، أحمد بن عبد الله، مجموعة منشآت السلاطين، طبع سنة 1264هـ، (127/1).

²⁹¹ ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ، (149/3).

تلميذه مُجَّد بن يوسف المراكشي (توفي في القرن الحادي عشر الهجري) وقد طلب منه الإجازة²⁹².

ويُختم الدكتور مُجَّد مهدي البصير بحثه في شعر أبي التناء بأن من ترجم لأبي التناء وكتب عنه لم يعرفوا له إلا ستة عشر بيتاً²⁹³، أبرز الأبيات فيها البيتان اللذان يصف فيهما قصراً لفؤاد باشا (ت 1285هـ-1869م) مستشار الصدر الأعظم، يقول فيهما:

لقد وصف الرحمن للناس جنة فشوَّق من كل العباد نفوساً
وما كنت أدري أن في الأرض نحوها إلى أن رأينا منزلاً فيك مأنوساً²⁹⁴
ويوردون له بيتين لتمثال امرأة من الرخام دقيق الصنع، يقول فيهما:

هذه الدار يحياكي حسنها دار السـلام
غير أن الحـور فيها قد تجلست من رخام²⁹⁵

3.2. المبحث الثاني: التعريف بكتب الرحلة للإمام الألوسي

تعد رحلات أبي التناء الألوسي إلى دار الخلافة إسلامبول من أوسع الرحلات الثرية في القرن الثالث عشر الهجري، وأمتعها وأحسنها، فقد سجل أحداث رحلته في ثلاثة كتب، جعل الأول منها في رحلة الذهاب، والثاني في رحلة الإياب إلى دار السلام، ورصد فيهما مشاهداته على وجه السرعة خشية أن تغيب عن ذهنه بعد ذلك²⁹⁶، وجعل تفصيل أحداث الرحلة في الكتاب الثالث الذي جمع بين الرحلتين²⁹⁷، كتبه بعد أن استقر به المقام في دار السلام، فجاء أسلوبه مختلفاً عن سابقه من حيث الاعتناء بالعبارات، واختيار الأفكار وبسط المعاني، ففصل ما أجمله، وأفاض في شرح ما أجمه في الرحلتين. وله رحلة رابعة تقع في خمس صفحات وهي رحلته إلى النجف. وسأتناول كل رحلة منها بالوصف والتحليل في مطلب.

²⁹² ينظر: الحبي، مُجَّد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن مُجَّد الحموي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الناشر: دار صادر - بيروت، (272/4). الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن بن عمر، ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الناشر: عيسى البابي الحلبي-مصر، ط 1، سنة 1386هـ/1967م، (177/2).

²⁹³ والتحقيق العلمي يُثبت لأبي التناء أكثر من هذا العدد المذكور.

²⁹⁴ ينظر: البصير، مُجَّد مهدي، نضرة العراق الأدبية، ص 250. الأثري، مُجَّد بهجت، أعلام العراق، ص 41.

²⁹⁵ ينظر: البصير، مُجَّد مهدي، نضرة العراق الأدبية، ص 251. الأثري، مُجَّد بهجت، أعلام العراق، ص 41.

²⁹⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، تحقيق الدكتور هيثم سرحان، ص 55.

²⁹⁷ ينظر على سبيل المثال: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 69.

3.2.1. المطلب الأول: وصف وتعريف برحلة الذهاب

عنوان الرحلة: "نشوة الشمول"²⁹⁸ في السفر إلى إسلامبول". اتفقت النسخ الخطية والمطبوعة وكتب التراجم والفهارس على إيراد اسم الرحلة بهذا العنوان ونسبتها إلى أبي الثناء الألويسي.

طبعت الكتاب: لقي هذا الكتاب عناية مبكرة بالاهتمام في نشره وتيسيره لأهل العلم، وهذه طبعاته:

1- الطبعة الأولى، طبع لأول مرة بعد وفاة مؤلفه بإحدى وعشرين سنة بعناية ولده السيد نعمان خير الدين الألويسي (ت 1317هـ-1298م)، وقد طبعت هذه النسخة في مطبعة الولاية في مدينة بغداد في منتصف شهر ربيع الثاني سنة (1291هـ-1874م) كما جاء في نهاية الصفحة الأخيرة من الكتاب، وتقع هذه الرحلة في أربع وخمسين صفحة من القطع الطويل.

وقد عمل السيد نعمان الألويسي في تعديل بعض العبارات أو الزيادة فيها أو حذفها، مع وضع بعض العناوين والحواشي على النسخة المطبوعة²⁹⁹. وقد نبه على جميع هذه المواضع محقق الكتاب الدكتور هيثم السرحان، في النسخة التي سيأتي وصفها.

2- الطبعة الثانية نشرها الدكتور هيثم السرحان. حقق هذه الرحلة مع رحلة "نشوة المدام في العود إلى دار السلام" ونشرهما في كتاب واحد، وقد نال على تحقيقه للرحلتين جائزة ابن بطوطة لتحقيق المخطوطات سنة (2019م). وهذه الطبعة تُعد أتمن الطبعات وأجودها من حيث الضبط ومراعاة قواعد التحقيق والإملاء. غير أنها ينقصها تخريج النصوص في كثير من مواضعها، والتعريف بأعلامها، وعدم الدقة في فهرسها. وتولى نشر هذه الطبعة دار السويدي للنشر في دولة الإمارات بالاشتراك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان، سنة (2019م).

تقع هذه الطبعة في ثلاثمائة وسبع وثمانين صفحة، وتشمل المقدمات للطبعة والدراسة عن المصنف والكتابين والفهارس العلمية. كان نصيب نص رحلة "نشوة الشمول" اثنتين وتسعين صفحة من مجموع الكتاب (53-145).

3- الطبعة الثالثة نشرها المحقق الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي. حقق هذه الرحلة ضمن مشروع الرحلات في المركز

²⁹⁸ الشمول (الحمر): سميت بذلك لأن لها عصفه كعصفه الشمال، وقيل: لأنها تشمل القوم يريحها، وقيل: لأنها تشمل العقل. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (شمل) (216/3)، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (المتوفى: 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1412 هـ - 1992، (1/ 449).

²⁹⁹ ينظر على سبيل المثال: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 55، 56، 66، 69، 70، 73، 124.

الثقافي الآسيوي، وصدرت عن مركز التاريخ العربي للنشر في مصر، سنة (2019م). وهذا الطبعة أقل إتقاناً من سابقتها لورود الأخطاء الطباعية فيها، غير أنها تفضل الأولى بكثرة فوائدها في شرح الألفاظ والتعريف بالمصطلحات العثمانية والأعلام والمدن، وبلغت الفهارس العلمية التي وضعها ثمانية فهارس. وألحق في آخرها ترجمة للألوسي بعد الانتهاء من نص الرحلة.

أما عدد صفحات الكتاب فبلغت ثلاثمائة وستين صفحة، ضمت المقدمات والتعريف بالمؤلف ومنهج التحقيق ونص الرحلة والملحق بترجمة الألوسي لنفسه، والفهارس العلمية. وبلغ نص الرحلة من مجموع الكتاب مئتين وتسع صفحات (57-248).

4- الطبعة الرابعة للكتاب نشرها المحقق محمد سالم هاشم، وصدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت، سنة (2017م)، وهذه الطبعة أقل النسخ إتقاناً وضبطاً، لورود التصحيف والتحريف فيها في مواضع عديدة، ولم يجهد المحقق نفسه في التعريف بما يُشكل من الكلمات أو التعريف بالأعلام أو وضع الفهارس العلمية. وقد اعتمد في تحقيقه للكتاب على طبعته الأولى، وأثبتها بنصها وهوامشها. وبلغت صفحات الكتاب ثمانين صفحة، اشتملت على تقديم المحقق وترجمة المصنف، ونص الرحلة، وفهرس الموضوعات، أما نص الرحلة فبلغ سبعين صفحة (7-77).

المحتوى العام للرحلة

أ- **دواعي الرحلة:** صرح الألوسي في أول كتابه عن بواعث الرحلة وأهدافها، فكان الباعث الأول له على ذلك غرض تفسيره "روح المعاني" على علماء إسلامبول وعلى رأسهم شيخ الإسلام عارف حكمت، والباعث الثاني إمالة الضرر الذي لحقه من الوالي محمد نجيب، بسبب وشايات أهل الحسد والزور، فرغب في عرض حاله على أولي الأمر في دار الخلافة³⁰⁰.

ب- **الباعث على كتابة الرحلة:** ذكر أبو الثناء الألوسي المقصود من تحرير هذه الرحلة، أنه كتبها لولده السيد بماء الدين عبد الله الألوسي (1291هـ-1874م)، خشية أن يتكدر بعدم معرفة أخبار والده، وأرسل له ما حرّره حال وصوله دار الخلافة. وختم رحلته بعدد من الوصايا لولده بدأها بوصيته له بالتقوى وملازمة العلم، وأوصاه بأهل بيته أن يحنّو عليهم وأن يرفق بهم³⁰¹.

³⁰⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 56.

³⁰¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 55-56، 143-144.

ج-رفقاء رحلته: حرص أبو الثناء على ذكر أهم الأحداث في رحلته، ومن خلال السرد للرحلة تعرفنا على من صاحبه في هذه الرحلة من بغداد إلى دار الخلافة، وهم:

1-الوالي عبد الكريم نادر باشا، ويعرف بـ"عبدى باشا" (ت 1301هـ-1883م)³⁰². ويبيّن أن سبب صحبته له هو طيب أصله، ودمائة خلقه³⁰³.

2-مصطفى بن علي بن عبد الله بن مُحمّد أفندي دفتر دار الربيعي (ت 1269هـ-1853م)³⁰⁴. من أعيان بغداد وأشرافها، تولى منصب كتبخدا³⁰⁵ للوزير عبدى باشا³⁰⁶. ويذكر الألوسي أنه كان خير معين له في رحلته، غير أنهما افترقا في مدينة آمد.

3-المؤرخ سليمان فائق ابن الحاج طالب آغا الكهية، الكرجي البغدادي (ت 1314هـ-1896م)³⁰⁷. ذكر الألوسي أن مصاحبة هذا الفاضل كانت من أعظم الأسباب التي هونت عليه رحلته، وأثنى عليه بجميل الصفات من أدب جم، وتحرير رصين، وأوصاف شخصية³⁰⁸.

4-ولده عبد الباقي بن محمود الألوسي (ت 1298هـ-1881م)³⁰⁹. رافق والده في هذه الرحلة وقرأ عليه أثناء سفره، وجاء ذكره في مواضع من الرحلة³¹⁰.

5-خدامه صالح ونصيف. وجاء ذكرهما عرضاً في الشكاية من غفلتهما وعدم تيقظهما، وأنهما كانا سبباً في منغصات

³⁰²تنظر في ترجمته: العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، (7/101-102).

³⁰³ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 56.

³⁰⁴تنظر في ترجمته: العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، (7/101-102).

³⁰⁵كتبخدا (الكهية): هو نائب الوالي، وكذلك تعني الوزير الأول في حكومة الولاية، وهي لفظة فارسية (كد خدا) وتعني: المعتمد أو المعاون. ينظر: صابان، د. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، سنة النشر 1421هـ/2000م، ص 188.

³⁰⁶تنظر في ترجمته: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 143-146. الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 377-379.

³⁰⁷تنظر في ترجمته: الدروني، إبراهيم عبد الغني، البغداديون مجالسهم وأخبارهم، ص 70-71، الألوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، ص 272-275.

³⁰⁸ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 78-79.

³⁰⁹تنظر في ترجمته: الأثري، مُحمّد بهجت، أعلام العراق، (ص 53-55).

³¹⁰ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 91، 104، 191.

السفر، ومن هذه المنغصات سرقة سيف أبي الثناء أثناء السفر³¹¹.

د- **مدة الرحلة ومسارها:** استغرقت رحلة أبي الثناء في الذهاب من بغداد إلى إستانبول أربعة أشهر، فبدأت رحلته في الساعة الرابعة يوم الخميس أول شهر جمادى الآخرة³¹² سنة (1267هـ - 3 نيسان 1851م)، وانتهت في الثامن والعشرين من رمضان من السنة نفسها (1267هـ - 26 تموز 1851م)³¹³.

أما مسار الرحلة فبعد خروجه من بغداد اتخذ طريق كركوك، إربل، الموصل³¹⁴، جزيرة ابن عمر، دير الزعفران، ماردين، آمد (ديار بكر)، علي برداغ، طوزله، يخكيك، جبججول، برخين، أغنوت، خُمران، قرّة شيخ، داشخور، أرزن الروم، إبلجة، جنس، طويال جاوش، بكريج، قرّة قلاق، لوري، بُلور، جفليك، شيران، تكية زخار، الشير، قرّة حصار الشرقي، أندروس، كجه ردو، زاره، وادي قزل أرماق، قرچ حصار، سيواس، قارخين، أوزمش تكيه سي، توقاد، ترخال، أزيّنة بازاري، دربند، أماسيه، فرحات قابه سي، خان سليمان أفندي، فوق، صمصوم (سامسون)، سيناب، مرسى إسلامبول، قصر الصدر الأعظم، الباب العالي³¹⁵.

هـ- **تدوين الرحلة:** افتتح الألوسي الرحلة بمقدمة تناسب أسلوب عصره؛ مسجوعة مع براعة استهلال، وأعقبها بذكر بواعث الرحلة، وذيّلها باستشهادات شعرية تحت على التغرب وتحمل مشاقه، نال أصحابها ما أصاب أبا الثناء من الأذى

³¹¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، **نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول**، ص 99، 104.

³¹² عيّن أبو الثناء هنا الشهر جمادى بتسلسله من الشهور، فقال "جمادى ستة"، وصرح به في "غرائب الاغتراب" ص 141، وعرف بالشهر، من حيث اللغة، وما أطلق عليه قبل هذه التسمية، وسبب اختياره للرحلة في أول الشهر.

وعيّنه الدكتور هيثم السرحان بجمادى الأولى، اجتهداً منه. **نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول**، ص 38.

³¹³ لم يعبّر أبو الثناء وقت وصوله في الرحلة، وعيّنّها في كتابه، غرائب الاغتراب، ص 98.

³¹⁴ عين المحققان للرحلة الدكتور هيثم السرحان، والأستاذ أحمد الشرفاوي مسار الرحلة: الموصل، كركوك، إربل. اعتماداً منهما على ذكر الموصل في أول محطة ذكرها أبو الثناء.

وأرى مسار الرحلة كما ذكرت بدليل ما ذكره الألوسي نفسه في رحلته، فيقول بعد ذكره الوصول إلى الموصل: "وقد اجتمعت قبل ذلك بأفراد علماء كركوك وإربل". **نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول**، ص 67.

ودليل آخر أن الموقع الجغرافي لهاتين المدينتين يحتم عليه دخولهما قبل الموصل.

³¹⁵ ينظر في مسار الرحلة: الألوسي، محمود بن عبد الله، **نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول**، ص 67، 64، 68، 70، 71، 80، 81، 82، 83، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 102، 103، 104، 105، 108، 109، 112، 113، 114، 119، 120، 121، 128، 130، 131.

تناهى إلى سمع أبي الثناء أن الوزير عبدي باشا عازم على السفر إلى دار الخلافة فأثار هذا الأمر رغبته في السفر بصحبته؛ لعرض أمره على أصحاب الإرادة، فخرجوا من بغداد سالكين الطريق المعتاد الذي يسلكه البغداديون في سفرهم إلى الحاضرة العثمانية، فكانت الموصل أولى المحطات التي ذكرها وما لقي فيها من إكرام وتوقير، وظل بهذا الأسلوب في تحديد محطات الرحلة وتحديد مراحل الطريق.

على الرغم من حرص الألوسي في أول رحلته على تحديد موعد انطلاق الرحلة بالساعة واليوم والشهر والسنة³¹⁷ إلا أننا نجده يهمل ذكر تواريخ النزول في المدن والقرى والوصول إلى إسلامبول، خلا بعض المواضع³¹⁸.

أما عن الرحلة، فقد تضمنت فوائد جمة، أبرزها المناظرات التي جرت للمؤلف أثناء لقاءه علماء المسلمين، وما جرى له من تحافت المشايخ وطلبة العلم عليه حيثما حلّ؛ فقد سبقت شهرة أبي الثناء الألوسي شخصه³¹⁹، وطلب الكثيرين منه أن يقرأوا عليه شيئاً من دروس العلم - لا سيما التفسير - وأن يمنحهم الإجازة العلمية³²⁰.

ومن فوائد الرحلة ما تضمنته من وصف أبي الثناء للمدن والقرى التي يمر بها والجبال والزروع، بأساليب بلاغية متنوعة، تدل على تمكن الألوسي من ناصية اللغة، ومن الأمثلة على ذلك:

1- وصف من قابلهم وأحوال الناس، لم يعتنِ الألوسي بوصف من قابل من الشخصيات من حيث الشكل والهيئة، وإنما كانت عنايته بذكر ما عليه الناس من الأخلاق والطباع والعلم والفضل، وجاء في بعض المواضع بإشارات سريعة في وصف بعض من قابلهم³²¹، كوصفه للملا حسين الفاري بأنه كالسِنْتُور، ووصف أحد علماء جزيرة ابن عمر بأنه ذو لحية عظيمة بل وصف عنفوقته³²² بأنها أعظم من لحية شيخ أسماء قادر الشوّان، وكأنه كان عظيم اللحية³²³.

³¹⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 56-64.

³¹⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 56.

³¹⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 108.

³¹⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 78، 81، 100.

³²⁰ ينظر على سبيل المثال: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 85-91.

³²¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 76، 84.

³²² العَفْقَةُ: شعيرات بين الشَّفَةِ السفلى والذَّقْنِ حَقَّةً شعرها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عفق) (10/ 277).

³²³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ص 69، 72.

2- وصف المدن والقرى، فقد تناول الألويسي وصفها بعبارات وإشارات تدل على نباهة ظاهرة، فَبَلَدُهُ "أماسيه" وصفها وصفاً وافياً، فذكر أن نهر "قزل أورماق" يشقها، وقد بنيت عليه ست قناطر، ثلاث منها من الخشب والأخريات أحكمت من الصخر، ووضع على جانبي النهر عدة نواعير، وفيها من شوامخ الجبال، وما تضمنه هذه الجبال من غيران -يقال أنها معابد للربهان- ووصف ارتفاع القلعة التي بنيت على هذه الجبال وأنها يقصر العقاب أن يصلها لعلوها، وذكر ما اشتملت عليه من البيوت التي يقدرها بستة آلاف بيت، وما بينها هذه البيوت من حسن التنسيق والجمال، ولم يغب عنه ذكر المساجد التي بلغت خمسين مسجداً، وذكر حمامات البلد والخانات، ووصف بساكنيها وما تنتج من الثمار الطيبة، لا سيما الكمثرى التي رأى فيها طعماً مميزاً مع رخص ثمنها الذي لا يعادل ثمن البصل في بغداد³²⁴.

وكما وصف جمال المدن وبهاؤها وصف ما عاناه في بعض محطات رحلته، ومن طريف ما ذكره ما حصل له في قرية "فواق"، ووقعه بين مطرقة البراغيث وسندان البعوض، فيقول: "لما جنحت الشمس للغروب، وشافهت درج الوجوب، قامت البراغيث ترقص تحت ثيابي على غناء البعوض، حتى إذا هدأت العيون شرعت تتهجد على إهابي كأَنَّ التهجّد عليها أمر مفروض، وكان ذكرها في الركوع سبحان من حرّم عليّ الماء، وفي السجود من أحلّ لي شرب الدماء"³²⁵.

3- وصف المساجد والمدارس وذكر المراقّد، رجل بمنزلة الألويسي الدينية يحرص على معرفة الحالة الدينية والعلمية للمدن والقرى التي يمر عليها، ولذا نجده لا يهمل ذكر عدد المساجد التي تضمها تلك المدن ويقارن بينها وبين أعداد الكنائس في المناطق التي تضم الديانتين، فمما جاء في رحلته ما قاله في ذكر مساجد قرية "قرة حصار" أن عددها ثلاثة عشر مسجداً، وأن أغلبها واسع³²⁶. ومما جاء في رحلته وصفه لقرية "زاره" أن معظم أهلها من المسلمين والبقية نصارى، وفيها للجمعة جامعان، وفي أحدهما منارة كأنها الشمعدان، ويضم هذا الجامع مدرسة قد استوعبت نحو خمسين من طلبة العلم، هم كالنجوم لأهالي القرية في الهداية.

وأما ما ذكره في رحلته من الأضرحة والمقامات فأول ما يطالعنا برحلته أنه قد كحل عينه بترية نبي الله يونس -عليه السلام-

³²⁴ ينظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 114. وينظر وصف الطريق إلى أرزن ص 83، ووصف توقاد ص 109.

³²⁵ ينظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 121.

³²⁶ ينظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 99.

في الموصل الحدياء³²⁷، ومنها ما ذكره من تشرفه بزيارة مرقد الشيخ شمس السيواسي (ت 1006هـ-597م)³²⁸.

4- لم تخلُ الرحلة من وصف لمعالم أخرى شاهدها أبو الثناء أثناء رحلته كوصف الجبال والبساتين والثمار المتنوعة والخانات التي نزلها، مثال ذلك إشارته إلى جبال "أرزن الروم" بأنها شامخة، ومن شدة ارتفاعها وصفها بأنها تكاد تعانق بيت العزة، وبأنها عظيمة تمتنع عليها الهزة، ويصف جبلاً شاهده في قرية "بكريج" وعلى قمته ثلج شبهه بالطيلسان، ووصف جبلاً أخرى تماثلها بأن لها عرقية³²⁹ تحاكي عرقية الشيخ قادر الشوان³³⁰. ومن أمثلة وصفه للبساتين والثمار ما جاء في ذكره لقرية "أندروس"، فقد ذكر أنَّ فيها مياهاً كثيرة، وبساتينها نفيسة، إذا شمَّ القلب نسيمها غفاً، وحوث أنواع الثمار اللذيذة، وكان مما استلذه الثوت الأبيض فقد وجد دبسه لذيذاً يستغى به عن العسل³³¹.

5- ومن سمات وخصائص رحلة أبي الثناء الألوسي حبه الكبير لبغداد، وتعلقه بها، وقد برز هذا الجانب من خلال ما يشاهده في محطات الرحلة ويذكره بدار السلام، والأمثلة على هذا في رحلته عديدة، منها ما وصف به ثلوج قرية "تكية زخار" وارتفاعه عن الأرض فيسبب حبس الناس في بيوتهم، وبقاء البرودة القريبة من الاعتدال في الجوّ حتى حزيران، فذكره هذا بحرّ العراق في هذا الشهر، وما يعاني أهله من حرّه³³². ويرى جسراً خشبياً في قرية "زاره" فيعقد في ذهنه مباشرة مقارنة في طوله مع جسر بغداد، وأنه يزيد على جسر بغداد في الطول³³³.

6- ومما تميزت به رحلة أبي الثناء اهتمامه بضبط أسماء أعلام المدن والقرى، فقد أولى هذا الجانب نصيباً من رحلته، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "فبتنا في قرية "جنس" بكسر الجيم والنون"، وقوله في ضبط اسم قرية "لوري": "وأخبرني أهل القرية أنها بضم اللام وسكون الواو وكسر الراء المهملة، وأن يقال فيها أيضاً لورية"³³⁴.

هذه أبرز معالم الرحلة التي سطرها يراع أبي الثناء، وستنال حظها من الدراسة الأدبية في الفصل الثالث من الرسالة.

³²⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 67.

³²⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 107.

³²⁹ ما يلبس على الرأس تحت العمامة، ليمتصَّ العرق (مولد). ينظر: المعجم الوسيط، مادة (عرق) (596/2).

³³⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 83، 93.

³³¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 102.

³³² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 98. وينظر: 95، 97، 134.

³³³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 104.

³³⁴ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 92، 94. وينظر: 96، 98.

3.2.2. المطلب الثاني: وصف وتعريف برحلة الإياب

عنوان الرحلة: "نشوة المدام"³³⁵ في العود إلى دار السلام". اتفقت النسخ الخطية والمطبوعة وكتب التراجم والفهارس على إيراد اسم الرحلة بهذا العنوان ونسبتها إلى أبي الثناء الألوسي.

طباعات الكتاب: حاز كتاب الإياب الاهتمام بطبعه ونشره كما لقي أخوه كتاب الذهاب ذلك، وهذه طبعاته:

1- طبعت الرحلة لأول مرة بعد طباعة رحلة الذهاب بسنتين بعناية ولده السيد نعمان خير الدين الألوسي (ت 1317هـ-1298م)، في مطبعة الولاية في مدينة بغداد في (27 جمادى الآخرة 1293هـ-19 تموز 1876م) كما جاء في نهاية

الصفحة الأخيرة من الكتاب، وتقع هذه الرحلة في مائة وست وثلاثين صفحة من القطع الطويل.

وقد عني ولده نعمان الألوسي بطبعها وأجرى فيها تعديلاً لبعض العبارات، وزاد فيها وحذف منها، ووضع عناوين مهمة لبعض فقراتها، وحواشي في ضبط الألفاظ والتعريف بالمدن والأعلام³³⁶. وقد نبّه على جميع هذه المواضع محقق الكتاب الدكتور هيثم السرحان، في النسخة التي نشرها مع رحلته الأولى، وسيأتي وصفها.

2- الطبعة الثانية نشرها الدكتور هيثم السرحان. حقق هذه الرحلة مع رحلة الذهاب، ونشرهما في كتاب واحد، ومَرَّ التعريف بهذه الطبعة في التعريف برحلة "نشوة الشمول"، وشغل نص الرحلة من المطبوع مائة وخمسة وخمسين صفحة (149-304). وختمت الرحلة بقصائد التهئة برجوع الألوسي إلى بغداد، وخاتمة كتبها مؤلفها مع تقاريط العلماء للرحلة، وشغلت هذه من صفحات الكتاب أربعاً وأربعين صفحة (305-349).

3- الطبعة الثالثة نشرها المحقق الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي. حقق هذه الرحلة ضمن مشروع الرحلات في المركز الثقافي الآسيوي، وصدرت عن مركز التاريخ العربي للنشر في مصر، سنة (1440هـ/2019م). وهذا الطبعة أقل إتقاناً من سابقتها، غير أنها تفضّل الأولى بحواشيها التي أثرت الرحلة بالتعريف بأعلامها ومصطلحاتها وتخرج نصوصها، وبلغت الفهارس التي وضعها سبعة فهارس. وألحق في آخرها ترجمة للألوسي مقتبسة من كتابه "غرائب الاغتراب" بعد الانتهاء من

³³⁵ المدام (الخمير): سميت بذلك لأنها أديمت في ظرفها. ينظر: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، كتاب الألفاظ، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، 1998م، ص 266.

³³⁶ ينظر على سبيل المثال: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، طبعة مطبعة الولاية، ص 26، 29، 55، 103، 104.

نص الرحلة، مع أنه ترجم له في أول الكتاب!

أما عدد صفحات الكتاب فبلغت ستمائة وستين صفحة، ضمت المقدمات والتعريف بالمؤلف ومنهج التحقيق ونص الرحلة، وقصائد التهاني بعودة الألوسي إلى بغداد، والملحق بترجمة الألوسي لنفسه، والفهارس المتنوعة التي لم تتسم بالعلمية حيث دُكرت مفرداتها دون العزو إلى صفحاتها. وبلغ نص الرحلة من مجموع الكتاب أربعمئة وإحدى عشرة صفحة (59-470).

المحتوى العام للرحلة

أ- **دواعي الرحلة:** نال الألوسي في دار الخلافة ما كان سبباً في رحلته إليها، وهو رفع الظلم الذي وقع عليه من قبل والي بغداد، وعرض تفسيره "روح المعاني" على شيخ الإسلام عارف حكمت وعلماء الدولة العلية، ولم يبق له إلا الرجوع إلى منبت عُوده بغداد، ولقاء الأهل والأحبة فيها³³⁷.

ب- **الباعث على كتابة الرحلة:** ذكر الألوسي في مقدمة رحلته عن الباعث على كتابة الرحلة، أنه أحب أن يشفع ما دونه في رحلة الذهاب، تدوين رحلة الإياب إلى بغداد، وأن من عادة أمثاله من العلماء تحرير ما يقع لهم أثناء السفر³³⁸.

ج- **رفقاء رحلته:** حرص أبو الثناء في سرده لأحداث رحلته على ذكر تفاصيلها، ومن خلال السرد للرحلة تعرفنا على من صاحبه في هذه الرحلة من دار الخلافة إلى بغداد، فممن رافقه طوال الرحلة خادمه صالح. وفي هذه الرحلة أيضاً كان سبب ذكره غفلته وعدم تيقظه، ووصفه بأنه قطب القبائح، حيث كان سبباً في ضياع شمسية أبي الثناء وغيرها أثناء السفر³³⁹. وهناك رفقاء فارقه أثناء الرحلة، ومنهم من صادفهم أثناء رحلته، وصحبوه مسافات متقطعة، وقد ذكرهم بأسمائهم وأوصافهم، منهم:

1- ولده عبد الباقي الألوسي، فقد بدأ رحلته معه من دار الخلافة وفارقه في آمد "ديار بكر" بسبب مكوث أبي الثناء مع المشير رشيد باشا الكوزلكلي (ت 1273هـ - 1857م)³⁴⁰.

³³⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 149-150. غرائب الاغتراب، ص 509.

³³⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 149-150.

³³⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 158-159.

³⁴⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 182، 199، 224.

2- ومن أوائل الرفقاء الذين جاء ذكرهم في الرحلة مُحمَّد أمين بك ابن المفتي عبد الرحمن باشا، كان والياً على "أرزن الروم" قبل اجتماعه بأبي الثناء، وقد جمعهم غرفة واحدة في السفينة التي انطلقت من اسلامبول، ووصفه بما شاهده فيه من عفة وصلاح وتدين، وذكر شيئاً من ترجمته. وفارقه من مدينة صمصوم متوجهاً بحراً إلى طرابزون³⁴¹.

3- الوالي المشير مُحمَّد رشيد باشا الكوزلكلي³⁴²، حيث صحبه من آمد إلى مدينة بغداد، وذلك بإشارة من الوزير عبدي باشا³⁴³.

4- الملا موسى الكردي. وقد صحبه من "أماسيه" وتخلّف عن ركب الرحلة قبل الوصول إلى قرية "قارقين"، وأوقعهم في حيرة لعدم معرفتهم سبب تخلّفه³⁴⁴.

5- أحمد آغا بينباشي، صحب أبا الثناء من قرية "قارقين" وكان نعم الرفيق والعوض عن الملا موسى الكردي، وقد أثنى عليه أبو الثناء بجميل الصفات³⁴⁵.

6- المكاري أوانيس وولده كركوت. وهو رجل نصراني استأجره أبو الثناء من مدينة "صمصوم"، وهرب منه وسرق متاعه في مدينة "خربوت". وقد لقي منهما أذى كثيراً أثناء المسير، ولم يكونا ناصحين له في الطريق³⁴⁶.

د- مدة الرحلة ومسارها

استغرقت رحلة أبي الثناء في الإياب من إستانبول إلى بغداد أربعة أشهر وتسعة أيام، فبدأت رحلته في الساعة الرابعة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر شوال سنة (1268هـ - 10 آب 1852م)، وانتهت في يوم الخميس في الخامس من شهر ربيع الأول سنة (1269هـ - 16 كانون الأول 1852م)³⁴⁷.

أما مسار الرحلة فيبدأ من إسلامبول بحراً، نزولاً في سيناب يوم الاثنين³⁴⁸، ثم الإبحار نحو صمصوم في ليلة الاثنين والوصول

³⁴¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 151-152.

³⁴² تنظر ترجمته: الأعظمي، وليد، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، (5/ 2440-2443).

³⁴³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 266. غرائب الاغتراب، ص 510.

³⁴⁴ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 168، 178.

³⁴⁵ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 158-159.

³⁴⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 157، 205.

³⁴⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 149، 304.

³⁴⁸ جعل محقق الرحلة منازل الرحلة 59 موضعاً ابتداء من سيناب وانتهاءً ببغداد، ينظر: نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 40،

ذلك:

1- وصف الآخر، زحرت رحلة أبي الثناء بالعديد من الشخصيات التي أحاطت برحلته، وهؤلاء قد توزعوا في الرحلة على أصنافهم المختلفة، فهناك المرافقون في الرحلة، وهناك العلماء وطلبة العلم³⁵⁷، ومنهم رجال دولة وحكم³⁵⁸، ومنهم المغمورون الذين جاء ذكرهم في الرحلة عرضاً³⁵⁹. وكان اهتمام أبي الثناء في ذكر هؤلاء على السواء، مع ذكر لأوصافهم المعنوية غالباً والحسية تارة أخرى، ومن الأمثلة على ذلك وصفه لرجال الدولة العثمانية بالتواضع ولين الجانب³⁶⁰، ومن الأمثلة الحسية ما جاء في وصفه لوالي بغداد رشيد الكوزلكلي الذي قابله في مدينة "آمد" فيقول: "وهو رجل مجتمع الأعضاء، تكاد تلتهم يديه أفواه الغبراء، أنزع بطين، ذو وقار وتمكين"³⁶¹. ولم تخل الرحلة من وصف ما كانت عليه أحوال الناس، فعند دخوله قرية "خان الحكيم" وجد معظم أهلها يتعاطون الحشيشة³⁶²، ويتذمر من أهالي "آلتون كبري" فيصف معظم أهلها بالنذالة وعدم اشتغالهم على كريم الخصال³⁶³.

1- وصف البيئة الطبيعية والمدن والقرى، أولى أبو الثناء في رحلة الإياب جانب وصف البيئة والطبيعة اهتماماً كبيراً، فوصف البساتين والجبال والأنهار، وما كانت تنبت تلك البيئة من ألوان الثمار، فمن ذلك وصف مسيره إلى وادي "قردره" بأن الطريق إليه كان بين جبال ضخمة وأودية واسعة، وأن الوادي تميّز بكثرة المياه وكثافة الأشجار وتدلي أغصانها³⁶⁴، ويعود إلى وصف "أماسيه" وجبالها³⁶⁵، ووصف مزارع البطيخ في "آمد" على ساحلي نهر دجلة، ووصف ثمارها بحجمها الكبير، وطعمها اللذيذ الذي يفوق في حلاوته حلاوة السكر³⁶⁶، ووصف صحراءها بامتلائها كلاً وأزهارها، وازدحام سمائها بكثرة

³⁵⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 152، 161، 166، 175، 220، 256، 302.
³⁵⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 180، 210، 212، 220، 256، 290.
³⁵⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 178، 194، 267.
³⁶⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 151.
³⁶¹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 245.
³⁶² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 192.
³⁶³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 289.
³⁶⁴ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 161.
³⁶⁵ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 168.
³⁶⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 232. وينظر وصفه لبطيخ "طورخال" ص 170، ووصفه لطيب مذاق مشمش واجاص قرية دلكلي طاش، ص 184.

طيورها، غير أن هواءها ممرض للأبدان، باعث للحمى في الأجسام³⁶⁷، ووصف نصيبين ونهرها الأسود والأبيض ورداءة الماء فيهما وفساد هوائها، فكانا سبب حمى البلدة التي تتساقط فيها العاصفير ميتة من أعالي أشجارها³⁶⁸. ويستطرد أحيانا في وصف المدن استطرادات نافعة، كذكر أحوال الطقس، والموقع الجغرافي للمدن على دوائر العرض وخطوط الطول³⁶⁹.

2- وصف العمارة الدينية، حظيت العمارة الدينية بحيز كبير من الوصف في رحلة الألوسي، والمراد بها المساجد والمدارس والقبور والمشاهد، أما المساجد فكان لها النصيب الأكبر الذي يناسب مكانة المساجد في نفوس المسلمين، فمن أجل ما ورد في الرحلة وصفه لمساجد "آمد" بأنها جامعة لمتفرقات الحسن، بأشكالها وألوان حجارتها، ومنايرها التي تحاكي السحاب³⁷⁰، ومن جملة ما جاء في وصفه لـ "أماسيه" أن فيها من المساجد ما يقرب من الخمسين، وأن مدارسها قد جاوزت الثلاثين، وأن فيها نشاطاً علمياً يقوده أجلة علماء البلدة³⁷¹، وفي نزوله في قرية "الآجه خان" وصف مسجدها بأنه قد أهملت عمارته حتى هوت مئذنته بعدما كانت تناطح السحاب³⁷²، ويصف "كمش معدن" بأن فيها مسجدين، وأنه صلى في الكبير منهما ورأى المدرسة التي ألحقت به، غير أنها مهجورة من العلم وطلابه، ومن جملة أوصافه لـ "آلتون كيري" أن فيها جامعاً وصفه بالنفيس، وأنها تخلو من المدرسة وتدرّس العلوم الشرعية³⁷³.

وأما المشاهد والقبور التي صادفها في رحلته، فقد ذكرها وبين حقيقة القبور المزيفة التي تنسب إلى الصحابة الأخيار والتابعين الكرام، فجاء في وصفه لـ "طورخال" أنه زار قبر الحاج مصطفى أفندي النقشبندي وأولاده الكرام في التكية، وذكر أنه سمع الناس يقولون: إن فيها قبراً لصحابي يدعى كيسك باش، وبين أن هذا القبر حاله كحال القبور المزورة في أكثر البلدان قد وضعه أهل الحيلة لاصطياد الجهلة³⁷⁴، وكذا الحال في القبور المزورة في نصيبين المنسوبة إلى زين العابدين وآخرين³⁷⁵.

³⁶⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 232. وينظر وصفه لبطبخ "طورخال" ص 170، ووصفه لطيب مذاق مشمش واجاص قرية دلكلي طاش، ص 234.

³⁶⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 272.

³⁶⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 168، 180، 194، 234.

³⁷⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 233.

³⁷¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 289.

³⁷² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 166-167.

³⁷³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 289.

³⁷⁴ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 171، 185.

³⁷⁵ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 273.

3- وصف أماكن الاستراحة والحمامات، امتدت رحلة أبي الثناء أربعة أشهر، وهي مدة طويلة تكفي للتطواف حول العالم في أيامنا هذه، فاحتاج في نزوله في البلدان إلى أماكن يريح فيها جسده ويزيل درنه. وكانت الخانات تقوم مقام الفنادق اليوم، وقد لقي منها الأمرين؛ لرداءتها وانعدام نظافتها، وكثرة القمل والبراغيث فيها، فلم يهمل وصف هذه الأماكن ومعاناته فيها على مدى رحلته، فيصف الخان الذي نزل فيه بمدينة "صمصوم" بأن براغيثه وقملته قد نادى منادياها إلى دعوتها للسهر وترك النوم، وجعل جسده مائدة طعامهم ودمه شرايهم، ولم ينبج منها حتى أسفر الصباح³⁷⁶.

أما الحمامات فقد جاء وصفه لها يحمل طابع التعجب والاستغراب، وهو يرى فيها مخالفات شرعية من جهة، ويقارنها بحمامات بغداد من جهة أخرى، فهو يرى الدلاكين في حمامات "صمصوم" مُرداً كأنهم أوانس، حلاوةً ومنطقاً وحركات، فأخذ يستعبد بالله من هذا المنظر الذي يجره إلى مقارنتهم بدلاكي بغداد في أشكالهم ونظافتهم. ولا يخلو سرده هنا من بيان الحكم الشرعي في جعل المرد في مثل هذه المواضع، وما الواجب الشرعي على المرء في اختيار الدلاك له³⁷⁷. ويعقد مقارنة بين حمامات آمد وبغداد واسلامبول، فيصف حمامات آمد بالحسن وأنها لا تقارن بحمامات بغداد، غير أنه يعود إلى وصفها بالقمامة أو المرحاض مقارنة لها بحمامات اسلامبول. ويختتم كلامه أن سبب هذا التفاوت بينها لا ينقص من شرف البلد³⁷⁸.

4- وصف البيئة الدينية للمدن، إذا تذكرنا أن الألوسي ممن تولى مناصب دينية وعلمية رفيعة أدركنا ما يلفت انتباهه أثناء رحلته، لذا نجده حريصا كل الحرص على ذكر المعتقدات الدينية لكل مدينة حلَّ فيها، وما نسبة كلِّ واحدة منها إن كانت مجتمعات مختلطة، فيصف سكان قرية "الاش" بأنهم من الأرمن وغالبهم من الأوباش³⁷⁹، وفي جملة وصفه لقرية "حسن جلبي" ذكر أنهم من الطائفة العلوية، وأنهم لا يمارسون التقية في أفعالهم ومعتقداتهم مع الآخرين³⁸⁰، وعند دخوله قرية "باقر معدن" أشار إلى زيادة عدد بيوت الأرمن على بيوت المسلمين، ويقول عن سكان قرية "برطلة" أنه وجد معظم أهلها من

³⁷⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 156-157. وينظر في وصف الخانات التي نزل فيها: 160، 164، 191، 203، 268.

³⁷⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 154-156.

³⁷⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 236-237.

³⁷⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 183.

³⁸⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 189.

النصارى الأرمين³⁸¹، ويحل في قرية "كلك" ولا يفوته أن ينبه على أن أهلها من الطائفة اليزيدية³⁸²، وعند قدومه على قرية "طوز خرماي" وصفها وذكر عدد بيوتها وأنهم موسومون بمذهب الرفض، وذلك بسبب الجهل، وانعدام الدعاة الذين يؤوبون بهم إلى جادة الصواب، وينبه أن هذا التقصير يتحمل وزره أهل الحكم والعلم³⁸³.

5- **كثرة الوقف**، والمراد به عرض بعض المواقف التي جاءت عرضاً في رحلته، وعرض المسائل العلمية والفقهية واللغوية التي جرت له مع العلماء أثناء حلوله في البلدان، وهذا كثير في رحلة أبي الثناء، فمن أمثلة ما عرض له الاشتباه به في قرية "مزرى" وهو جالس في المقهى، فظنه بعضهم طبيباً من العجم، فأخذوا يسألونه عن طب أمراضهم، وظنه بعضهم ممن له تسلط على الجان، فما كان منه إلا أن تحول إلى قهوة أخرى³⁸⁴، ويكتب صفحات في وصف حفاوة أهل الموصل بقدومه ونظم القصائد بالتهنئة بوصوله³⁸⁵.

أما المسائل العلمية فقد نثرها على صفحات رحلته؛ لكثرتها بسبب منزلته وانتشار ضوء علمه في البلاد، فما حلّ في بلدة إلا وتقاطر عليه علماءها وطلاب العلم، فمن المباحث القرآنية التي سطرها، ما سأله طلاب العلم في "توقات" عن تفسير بعض الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾³⁸⁶، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾³⁸⁷، ومنها تقريره لكتاب قاضي عساكر الروم عارف أفندي في ديار بكر، وما جرى من المناقشات والمباحث العلمية في حضرة الوزيرين راغب باشا ورشيد الكوزلكلي في ديار بكر في الفقه والتصوف والفلسفة³⁸⁸. ومن المباحث التي ذكرها مبحث لعن الخليفة يزيد بن معاوية (ت 64 هـ - 647م)³⁸⁹.

³⁸¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 208، 284.

³⁸² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 285.

³⁸³ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 300.

³⁸⁴ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 201-200.

³⁸⁵ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 284-278.

³⁸⁶ سورة الإسراء: 70.

³⁸⁷ سورة مريم: 19.

³⁸⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 246، 249-255.

³⁸⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 187-188.

وأما المسائل اللغوية وضبط الأعلام فهي مما تميزت به رحلة أبي التناء، فمن ذلك ضبطه للفظ قرية "ألاش" فيقول: "وهي بضم الهمزة وتفتح اللام"³⁹⁰. ويُتَّفر في بعض المواضع عن أصل اللفظ، فمثلاً يقول في أصل لفظ قرية "مزرى": "وأظن أن لفظ مزرى غلط عن مزرعة ومزارع، وقد ترك الصواب اليوم فلا يقبل ولا يسمع، وأما خربوت فغلط عن "خِزْت بِزْت" ساكِنِي الراء المهملة مفتوحى التاء، وأول الجزأين مكسور الخاء المعجمة وثانيها مكسور الباء"³⁹¹.

هذه أبرز معالم رحلة أبي التناء في الإياب، وقد طُبعت بطابع الظرف والتلقائية وعدم التكلف، وإن الصراحة التي سرد بها أبو التناء أحداث رحلته قلما تتوفر عند كثير من مدوني الرحلات، وكان لجوئه إلى ذكر التفاصيل الدقيقة سبباً في زيادة القيمة الأدبية لرحلته، وساعده على إيصال المتعة لدى القارئ ذائقته الأدبية، وأسلوبه المنقح.

3.2.3. المطلب الثالث: وصف وتعريف بكتاب رحلة الذهاب والإقامة والإياب

عنوان الرحلة: أُطلق على الكتاب عدة أسماء، منهما اسمان أطلقتهما المؤلف، الأول "نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب"³⁹²، والآخر الذي رضىه عنواناً لمصنفه هو "غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب"³⁹³، وأطلق عليه ولده نعمان الألوسي اسم "النزهة" فقال في كتابه "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين": "وقال الوالد -عليه الرحمة- في كتابه النزهة"³⁹⁴. وللاختلاف في هذه التسمية وهَمَّ عبد الحي الكتاني (ت 1362هـ - 1962م) في ترجمته لأبي التناء فعدهما كتابين منفصلين، أطلق على الأول "نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب"، والثاني اكتفى بتسميته "غرائب الاغتراب"³⁹⁵. وهَمَّ حنا الفاخوري في ترجمته لأبي التناء، لا من حيث العنوان وإنما من جانب المحتوى، إذا جعل مضمون الكتاب هو تفصيل لرحلته إلى الإسكندرية³⁹⁶.

طباعات الكتاب: نالت الرحلة نصيبها في النشر مبكراً كسابقتها، فكانت طبعاته على هذا الترتيب:

³⁹⁰ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 183.
³⁹¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 200. وينظر: 194.
³⁹² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 69، 75.
³⁹³ ينظر: الألوسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 99.
³⁹⁴ الألوسي، خير الدين نعمان بن محمود، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ص 432.
³⁹⁵ ينظر: الكتاني، مُجَدَّ عَبدُ الحَيِّ الإدريسي، فهرس الفهارس والأنبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، (140/1).
³⁹⁶ ينظر: الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، دار الجيل - بيروت، ط 1 - سنة الطبع 1986م، ص 91.

1- الطبعة الأولى، نشرت بعد وفاة أبي الثناء بسبع وخمسين سنة (1227هـ-1909م) في مطبعة الشايبندر، وعلى نفقة صاحبها السري محمود الشايبندر (ت 1354هـ- 1935م)³⁹⁷ وقام بتصحيحها حفيده الذي لم يفصح عن اسمه³⁹⁸. وكتب على غلافها أن حقوق طباعتها لنجله أحمد شاکر (1330هـ- 1912م)³⁹⁹، ويبلغ عدد صفحات الكتاب أربعمئة وإحدى وخمسين صفحة (451). عدد صفحات الرحلة أربعمئة وأربعون صفحة (2-442)، وينتهي الكتاب بخاتمة التصحيح وتقاريط العلماء على الكتاب. ولا توجد أي فهراس للكتاب. وأعاد نشره بطريقة الأوفسيت دار أضواء السلف بالرياض عام (1431هـ).

2- الطبعة الثانية للكتاب، صدرت عن الدار العربية للموسوعات في بيروت، كتب على صفحة عنوانه: تقديم المؤرخ الكبير عباس العزاوي. وحقيقة هذا التقديم الذي أطلقوه إنما هو كتاب "ذكرى أبي الثناء"، وقام بشرحه ووضع حواشيه وفهارسه الأستاذ إبراهيم شمس الدين.

صدر الكتاب بجلته هذه سنة (1436هـ/2015م)، ويبلغ عدد صفحاته خمسمئة وأربعاً وثمانين صفحة (584)، بالحجم الكبير (28 × 20 سم)، تضم أوراق الكتاب مقدمة الناشر، ومقدمة المحقق، والتعريف بالمؤلف، وكتاب "ذكرى أبي الثناء الألوسي"، ونص الرحلة، والفهارس العلمية. وقد بلغت صفحات الرحلة أربعمئة وإحدى وخمسين صفحة (451).

3- الطبعة الثالثة للكتاب، صدرت بتحقيق الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، حقق هذه الرحلة ضمن مشروع الرحلات في المركز الثقافي الآسيوي، وصدرت عن مركز التاريخ العربي للنشر في مصر، سنة (1442هـ/2020م). وهذه الطبعة تعد من أحسن طبعات الكتاب وأوثقها؛ حيث يظهر جهد المحقق جلياً في مقابلة النسخ وبيان الاختلاف بينها، وقد أثنى المحقق الحواشي بالتعريف بأعلامها ومصطلحاتها الفارسية والعثمانية، وتخريج نصوصها القرآنية والنبوية والشعرية.

ويبلغ عدد صفحات هذه الطبعة (896) ثمانئة وستاً وتسعين صفحة، توزعت على مقدمة المحقق ونص الرحلة والفهارس العلمية، أما مقدمة المحقق فشغلت الصفحات (7-48) بين فيها أهمية رحلات الألوسي وترجمة للمصنف وبيان أسلوبه في الكتابة، ووصف النسخ الخطية التي اعتمد عليها في التحقيق.

³⁹⁷. تنظر ترجمته: الأعظمي، وليد، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، (5/ 2485)

³⁹⁸ الألوسي، محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، مطبعة الشايبندر، سنة الطبع 1327هـ، ص 443. وأرجح أن يكون المصحح هو علي علاء الدين بن نعمان الألوسي، فإحدى النسخ الخطية المحفوظة في دار المخطوطات العراقية كتبت بخط يده تحت الرقم (6324).

³⁹⁹ تنظر ترجمته: الراوي، محمد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، ص 226-228. الأثري، محمد مجت، أعلام العراق، ص 83-84.

أما نص الرحلة فقد بلغ عدد صفحاته (734) صفحة (49-783)، وأما الفهارس العلمية فقد بلغت صفحاتها (109) صفحة (787-896) شملت فهرس الآيات والأحاديث والأشعار العربية والفارسية والتركية وفهرس الأمثال والأقوال المأثورة، وفهرس البلدان وفهرس المواضيع ليختم الكتاب بذلك.

الباعث على كتابة الرحلة

دَوَّن أبو الثناء رحلتي الذهاب والإياب، وذكر فيهما الأسباب التي ألبأتني إلى الرحلة فيهما، وأوضح في مقدمة كتابه هنا أن أحداث الرحلتين التي سجلهما قد كتبت على وجه الاختصار، ومداداة النفس بالكتابة لما أصابها من الكآبة، وبقي جزء من الرحلة لم يدوّن وهو الإقامة في دار الخلافة، فرغب أن يستوفي ما كان له فيها من المشاهدات والأخبار والأحداث والمباحثات وتراجع من لقي من أهل العلم⁴⁰⁰.

مدة الرحلة

استغرقت رحلة أبي الثناء ذهاباً وإقامة وإياباً واحداً وعشرين شهراً وخمسة أيام⁴⁰¹، توزعت على رحلة الذهاب التي استغرقت أربعة أشهر، ورحلة الإياب أربعة أشهر وتسعة أيام، ومكث في دار الخلافة اثنا عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً.

المضمون العام للرحلة

أ- تدوين الرحلة

بعد عودة أبي الثناء من رحلته واستقرار المقام به في داره دار السلام، وفرار آلام الاكتئاب عنه، ونيله نصيباً من الراحة، رغب في أن يدوّن رحلته أجمعها، لا سيما الفترة التي قضاها في دار الخلافة. بأسلوب مترسل طريف، وأن يوشيه بألوان البديع، وأن يتفنن في تمييزه وتنميته بأزهار البيان والمعاني. فهو حريص على إبراز المضمون في ثوب فني جميل وحلية لفظية.

ب- منهجه في تدوين الرحلة

أما عن منهجية أبي الثناء في رحلته هذه، فيمكن القول: إنها رحلة عقلية، يتنقل فيها القارئ بين رياض المباحث الفقهية⁴⁰²

⁴⁰⁰ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 98-99.

⁴⁰¹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 200. وينظر: 341.

⁴⁰² ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 395-508.

والأجوبة الكلامية⁴⁰³، والإجازات العلمية⁴⁰⁴، والرسائل الإخوانية⁴⁰⁵، فما نزل أبو الثناء في بلد إلا وتخلق به علماؤه،

وأوردوا المسائل المشكلة التي كان هو قطب الرchy في حلها، وتقريبها إلى الأذهان.

ومما حرص عليه أبو الثناء في رحلته التعريف بالعلماء ورجال الدولة العثمانية، فهو بحق يعد مرجعا مهما في تراجم تلك

الحقبة⁴⁰⁶.

ج- ظاهرة الوصف في الرحلة

مما تحفل به رحلة أبي الثناء ظاهرة الوصف لما شاهده أو نُقل إليه، فنجد في الكتاب قد عاد في وصف ما فاته ذكره في

كتابه السابقين، كوصفه للموصل أم الربيعين التي وصل إليها في شهر نيسان، وقد طاب هواؤها، وعذب شراها واكتست

أرضها بالحلة الخضراء، فبدت له كأنها عروس قد لبست حليها⁴⁰⁷.

ويعود إلى وصف جزيرة ابن عمر، وأرزن الروم، وسيواس، وتوقات، وصمصوم (سامسون)، بأسلوب الأديب العالم، فيقدم

أولاً ضبط ألفاظها، وسبب تسميتها، وحدودها وموقعها الجغرافي ضمن خطوط الطول ودوائر العرض. ولا يهمل ذكر طقسها

وما تضمه من مظاهر طبيعة، وأبنية عمرانية. ويختتم وصفه لهذه المدن بلمحة تاريخية عن نشأتها ومن دخلها من المسلمين

الأوائل ومن تولى الحكم فيها⁴⁰⁸.

ولعل أبرز وصف يعيننا في هذه الرحلة ما سطره في وصف إسلامبول، حيث نلمح في وصفه هنا طابع التعجب والاندعاش

مما شاهد من عمران أخذ بلّته، فكان يعقد المقارنة في ذهنه بين صورة بغداد وما تركها عليه، وبين معالم القسطنطينية التي

أسرته بجمالها، فبعد وصف طرقها ومساجدها وسورها وبيوتها والمادة الأساسية في بنائها وهي الخشب، وما تسببه من الحرائق

وكثرة القمل الذي عانى منه، يراها نموذجاً للجنة، حوت على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين⁴⁰⁹.

ويستطرق إلى وصف ثغر القسطنطينية (البوسفور أو مضيق إسطنبول)، وكيف يصل بين بحر مرمر والبحر الأسود، وينبهر

⁴⁰³ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 170-187.

⁴⁰⁴ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 232، 344-394.

⁴⁰⁵ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 285، 343.

⁴⁰⁶ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 221-284.

⁴⁰⁷ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 165-166.

⁴⁰⁸ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 166، 192، 195، 196، 198، 201.

⁴⁰⁹ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 203-206.

من كثرة الزوارق فيه التي نافت على اثني عشر ألف زورق، منها الزوارق السلطانية التي تشبه في جمالها الطواويس، كما ضم على جانبه عدة من السفن النارية كما أسماها⁴¹⁰.

وكما أفاض أبو الثناء في الحديث عن الوصف العمراني لدار الخلافة فقد وصف سكانها ببلغ العبارات، وخلع عليهم أجمل الصفات وأفخرها، فينعتهم بكرم الأخلاق وجلالة الأعراق، ويرى أطفالهم رجالاً، وشبابهم أبطالاً، ولما نقب شيوخهم وفضائلهم يراهم أبدالاً⁴¹¹.

ومنزلة الألوسي العلمية ومناصبه الدينية لم تمنعه من الخوض بالحديث عن نساء القسطنطينية وجمالهن وأزيائهن وعاداتهن - سواء مما شاهده أو نقل إليه - وقد حمل وصفه شيئاً من الدهشة والجرأة حيث وصفهن يُحور الجنان، غير أنه عجب أن رأى أكثرهن سافرات الوجوه، واعتذر لهذا الفعل بأنهن قد شابهن نساء الأعراب؛ بخروجهن بلا نقاب، ويصف عفافهن وطهرن بأن من نساء القسطنطينية من لا تخرج من بيتها حتى إلى الحمام إلى أن يدركها الحِمام⁴¹².

د- الاستطرد في كتابة الرحلة

إن أبرز ما تتسم به رحلة أبي الثناء هذه سمة الاستطرد وكثرة الوقف التي تعمدتها في كثير من صفحات الكتاب بقصد النفع، فقد شحن رحلته هذه بالمباحث الفقهية واللغوية والتاريخية والجغرافية، ومن سمات هذه الرحلة كثرة الشواهد الشعرية وإيرادها في مناسبات متوافقة عليها أو يفتعلها افتعالاً لا ينبغي لمثلها إيرادها⁴¹³، ويعد استشهاده القرآني والحديثي قليلاً بالنسبة إليها.

3.2.4. المطلب الرابع: وصف وتعريف برحلة النجف

عنوان الرحلة: لم يضع أبو الثناء عنواناً لهذه الرحلة؛ لأنه لم يتم تأليفه فيها، إذ أدركه الموت دون تمامها. وقد وضع لها الدكتور عبد الله الجبوري في فهرسه لمكتبة الأوقاف ببغداد، عنواناً هو "رحلة إلى النجف"⁴¹⁴. وجاء على طرة المخطوط "هذه وريقات من رحلة خاتمة المفسرين صاحب روح المعاني الإمام أبي الثناء شهاب الدين محمود أفندي الألوسي البغدادي

⁴¹⁰ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 207-208.

⁴¹¹ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 206.

⁴¹² ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 208.

⁴¹³ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 151.

⁴¹⁴ ينظر: الجبوري، الدكتور عبد الله، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة 1974م، (4/ 449).

حينما سافر إلى النجف عندما كان مريضاً، وقد توفي -رحمه الله تعالى- في ذلك، تغمدته الله تعالى برحمته آمين" ⁴¹⁵.

النسخة الخطية للرحلة: هذه الرحلة تقع ضمن مجموع مخطوط في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد، تحت الرقم (24272)، من الورقة 46 إلى الورقة 49. وناسخها غير معروف.

المضمون العام للرحلة

أ- **دواعي الرحلة:** يندرج داعي الرحلة ضمن الدوافع الاضطرارية التي يلجأ إليها الإنسان بسبب يعرض لحياته، ولا يكون له خيار إلا الرحلة مما أحاط به، ومنها المرض، فقد اشتدَّ بأبي الثناء المرض بعد عودته من دار السلطنة، وأتته قواه وأنحل جسمه، فوقع في قلبه أن يسافر إلى النجف لزيارة جدِّه علي بن أبي طالب -عليه السلام- ويتخذ بلدتها سبباً للتداوي بهوائها؛ لأنه أنقى من هواء بغداد، وسأل أهل الطب فرغبه في هذا السفر، لأنه قد يتعين للمريض تغيير الهواء ⁴¹⁶.

ب- **رفاق الرحلة:** ذكر أبو الثناء من صحبه في هذه الرحلة، وهم أولاده عبد الله وعبد الباقي ونعمان، وذكر سبب اصطحابه لهم أن يضمن خدمتهم جميعاً؛ لشدة احتياجه للمساعدة في الحِلِّ والترحال، وأن صحبتهم له فيها اتصال دروسهم وعدم انقطاعها ⁴¹⁷.

ج- **زمن الرحلة:** ذكر أبو الثناء زمن رحلته هذه أنها كانت في شهر (شوال 1270 هـ - تموز 1854 م) ⁴¹⁸.

د- **نص الرحلة:** كتب أبو الثناء الألوسي ورفقات من الرحلة ولم يتمها لاشتداد المرض عليه، وقد ذكر أنه جعلها في مقدمة وفصلين، أما المقدمة فقد بيَّن فيها دواعي الرحلة وذكر من صحبه فيها، وكتب من الفصلين فصلاً واحداً ولم يتمه، جعله في حُكم شدِّ الرحال إلى القبور والخلاف فيه، ولم يتمَّ بحثه، وكان آخر ما كتب فيه البيت الشعري:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشعر الأمور المحدثات البديع
وجاء في آخر المخطوط بخط ناسخه: "انتهى كلامه الشريف وتحريره المنيف، ولم يكتب بعد هذا البيت في هذا الكتاب حتى

⁴¹⁵ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **رحلة إلى النجف**، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، ضمن مجموع برقم (24272)، الورقة 46.

⁴¹⁶ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **رحلة إلى النجف**، الورقة 47.

⁴¹⁷ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **رحلة إلى النجف**، الورقة 47.

⁴¹⁸ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **رحلة إلى النجف**، الورقة 47.

جاور ربه في أهني عيش وأكرم بيت" ⁴¹⁹.



⁴¹⁹ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، رحلة إلى النجف، الورقة 47.

4. الفصل الثالث: الأساليب الفنية في كتب الألوسي الرحلية

4.1. المبحث الأول: البناء السردى في رحلات الألوسي، وفيه مطلبان:

4.1.1. المطلب الأول: السرد القصصى الواقعي المشوق.

يعد مصطلح السرد من أكثر المصطلحات الأدبية دوراً عند الحديث عن مضمون الأعمال الأدبية الثرية كالرواية والمقالة والمسرحية والسيرة والملاحم؛ لأنه يُشكّل العنصر الأساس في بنية النص الأدبي، وقبل الدخول إلى بيان ارتباط هذا المصطلح الأدبي بأدب الرحلات يتوجّب عليّ التعريف به لغة واصطلاحاً.

السرد لغة، هو التسلسل والتتابع وإحكام الربط بين الأشياء، ومنه سرد الجلد، إذا ثقبه ثقباً متتابعاً، وسرد الدرع نسجها، وربط كل حلقتين منه بإحكام، وسرد الصوم إذا تابعه ووالاه، وسرد الكلام إذا جاء به متتابعاً مع جودة سياق⁴²⁰. فال محور الدلالي للسرد هو التتابع والترابط والاتساق.

أما في الاصطلاح، فقد تعددت التعاريف في تحديد مدلول هذا المصطلح، ويعود هذا الاختلاف لتعدد الفهوم للمنهج السردى عند النقاد، فيراه الناقد المغربي سعيد يقطين، أنه فعل لا حدود له، فهو بذلك يشمل مختلف أنواع الخطاب، سواء أكانت أدبية أم غير أدبية، يبدعه الإنسان في أي مكان وزمان⁴²¹. فهو يرى أن السرد هو نقل الفعل القابل للحديث عنه من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلاً للتداول.

ويرى الناقد الدكتور عبد الحميد الحمداني في تعريفه للسرد، أنه الطريقة التي تروى بها القصة التي تمر عن طريق قناة الرواي ثم القصة ووصولاً إلى المروي له، وهذه الكيفية لا بد لها من أن تخضع لمؤثرات، بعضها يتعلق بالرواي والمروي له، والآخر يتعلق بالقصة نفسها⁴²². إذن فالقصة عنده لا تتحدد بمضمونها فقط، وإنما السرد الذي يقدم ذلك المضمون.

⁴²⁰ ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ)، العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، مادة (باب السين والداد والراء) (266/7). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سرد) (157/3)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرد) (3/211).

⁴²¹ ينظر: فيزي، دلال، تقنيات السرد في مقامات بديع الزمان الهمداني، رسالة جامعية في كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، سنة 2010/2011، ص 27.

⁴²² ينظر: الحمداني، الدكتور حميد، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى - سنة الطبع

ويرى الدكتور عبد الملك المرتاض أن السرد، هو الطريقة التي يختارها الراوي في تقديمه للحدث إلى المروي له، فهو نسج للكلام في صورة حكي، فهو بهذا المفهوم يعود إلى معناه القديم، الذي قدمته المعاجم العربية بمعنى النسج⁴²³.

ويرى الناقد عز الدين إسماعيل أن السرد يعتمد على عملية نقل الأحداث من صورة حقيقية إلى صورة لغوية⁴²⁴، وتلخص الباحثة مرزقان فطيمة بعد استعراضها لتعاريف السرد وتحديد مدلوله، بأن السرد بمعناه الشامل هو منظومة من المفاهيم المختلفة التي تتضمنها النصوص دون النظر عن جنس النص ونوعه، فالسارد حاضر في الحكاية كما هو حاضر في الحكيم وأدب الرحلات والملاحم الأسطورية⁴²⁵.

فأدب الرحلة بناء لغوي أساسه السرد، له سماته وخصائصه الأسلوبية التي تميزه من غيره من الأجناس الأدبية، ومضمونها ما هو إلا نتيجة هذا البناء اللغوي بتقنياته في الخطاب، فالرحلة حكاية يسردها راوٍ محدد بصيغة محددة وأسلوب مخصص، لها زمنها وأشخاصها وأحداثها وأماكنها المتعددة المتنوعة.

وأدب الرحلات من هذه الوجهة يجانس القصة من حيث اعتمادها على السرد بما يحمل من حوار ووصف وحوادث ومواقف، وما ينطوي عليه من تأثرٍ تُغذيه الأحداث، فكلاهما يُعنى بالوسط الذي تقع فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، مع الاعتماد على الوصف الذي تُحدد له المساحة الواسعة في كلا النصين، فهناك الوصف للطبيعة بجبالها وأنهارها وصحاريها وغاباتها، كما يقف إلى جانبها وصف المدن والطرق والمسكن بما يرافقه من وصف البيئة الاجتماعية وما تحتج من عادات وتقاليد وأعراف، وتقدم الأحداث بطريقة متتابعة مقنعة.

وتبقى هذه الأحداث والشخصيات والفضاء المكاني صورة جامدة ما لم ييث فيها الراوي الحياة عن طريق استدعائه لمختلف الأساليب الفنية والصيغ والخطابات المشوقة.

أجزاء الخطاب السردية

تعمل عدة عناصر في تكوين الخطاب السردية، اختلف في تحديدها أربابُ النقد الأدبي، غير أن أغلبهم اتفقوا على تحديدها

1991م، ص 45.

⁴²³ ينظر: مرتاض، الدكتور عبد الملك، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، سنة الطبع 1993م، 84.

⁴²⁴ ينظر: إسماعيل، الدكتور عز الدين، الأدب وفنونه، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة 6، سنة الطبع 1976م، ص 187.

⁴²⁵ ينظر: فطيمة، مرزقان، بنية القصة في مقامات بدیع الزمان الهمداني دراسة فنية، الناشر: كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، السنة 2012هـ - 2012، ص 26.

بخمسة عناصر، هي: الحدث، والراوي، والفضاء المكاني والزمني، والوصف، والحوار. وسأتناول هذه العناصر بالتعريف وتطبيقها على رحلات أبي الثناء.

أولاً: الحدث، يعد الحدث في العمل السردى من أهم العناصر فيه، بل هو العمود الفقري الذي يقوم به العمل الأدبي؛ ففيه تنمو المواقف وتتحرك فيه الشخصيات، وهو المحور الأساس الذي ترتبط به عناصر السرد⁴²⁶.

والحدث في الرحلة يُستمد من مجريات الحياة اليومية التي يمر بها الرحالة، فيختار من أحداثها ما يراه مناسباً لكتابة رحلته، فيحذف من النص الرحلي ما يراه غير جدير بالذكر، ويضيف إليه من مخزونه الثقافي ما يراه ملائماً في مناسبات الأحداث التي تجري له. وهذا ما نجده في رحلة أبي الثناء فقد صرح في تدوينه لأحداث الرحلة بهذا، فيقول: "أحببت أن أفرد كتاباً أجمع فيه مجمل ما كان ذهاباً وإياباً، وربما أحلّ في رحابه مشكلاً، وأفصل في بعض أبوابه مجملاً، وأستوفي حسب الإمكان ما كان لي في الإقامة، معرضاً عن أشياء لم يمكنني ذكرها إلى يوم القيامة"⁴²⁷.

ثانياً: الراوي، يمثل الراوي عنصراً مهماً في مكونات النص السردى للرحلة، فهو الأداة التي تكفلت بالربط بين أجزاء العناصر الأخرى، ودارت الأحداث في فلكها، فهو الذي يمسك بخيوط الرحلة من أولها إلى منتهاها، فيعمل على حبك هذه الخيوط ليقدمها في نسيج فيجعل المتلقي يتفاعل مع أحداث رحلته.

والراوي في أدب الرحلات يؤدي حكاية رحلته بصيغ الضمير المتصل بالأفعال، مثل: سافرت، ورأيت، وبخنت، ونزلنا، ومررنا، ... الخ من صيغ الأفعال المتصلة بالضمير الظاهر والمستتر، التي تدل في بعض الأحيان على مركزية الراوي، وتعطي - إلى جانب آخر - للرحلة صورة الحركة التي تعبر عن وظيفة سردية تهدف إلى الإقناع⁴²⁸.

ومن الأمثلة في رحلة أبي الثناء ما جاء فيها الإخبار بالفعل المتصل بضمير المتكلم: "سافرت من الزوراء ... فكحلت العين ... ورأيت فيها شاباً، ونزلت في بيت مفتيها ... ودعاني يوماً"⁴²⁹.

⁴²⁶ ينظر: العايب، وهيبة، وقريشي، نورة، أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات، ص 14. محيداتو، جهاد، وعماري، كلثوم، بنية السرد وجماليات التفاصيل (الحدث-المكان-الشخصية) في رواية طيور أيلول لإمللي نصر الله، الناشر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، سنة 2018، ص 29.

⁴²⁷ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 99.

⁴²⁸ ينظر: الشوابكة، الدكتور نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الناشر: دار المأمون - الأردن، سنة الطبع 1428هـ - 2008م، ص 304.

⁴²⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 56، 64، 66، 71، 73. وينظر: 74، 84، 122.

ومن الأمثلة ما جاءت بالضمير المعبر عن الجمع، منها: "وسرنا متوجهين ... وبتنا عند رجل ... قمنا جيعاً، وسرنا سراعاً ... فحططنا الرجل، ولم نزل نسير"⁴³⁰.

ثالثاً: **فضاء الزمان وفضاء المكان**، ونعني بهما زمان الحدث ومكانه؛ لأنَّ أيَّ حدث يكون خارج هذين الفضاءين لا يُعد معقولاً، ولا يتفق مع الواقع الحقيقي للرحلة. وهما فضاءان منغلقتان يشكّلان الإطار الخارجي للرحلة، حيث تظهر الرحلة نصاً قد تحقق في زمن محدد، يصاحبه مكان الانطلاق لتتعلق الدائرة في ذات مكان العودة⁴³¹. فالزمن يرتبط في البناء الفني للرحلة ارتباطاً وثيقاً، حيث ترتبط به الرحلة من بدايتها إلى انتهائها، كما أن الزمن هو الخيط الذي يربط بين الأحداث التي تجري في فضاءه، وفق نظام زمني متسلسل تسلسلاً منطقيّاً، ذي بداية ووسط ونهاية.

وقد نسج أبو الثناء الألويسي رحلتي الذهاب والإياب وفق النظام الزمني التقليدي، فبدأت الرحلة بزمن معين متسلسلاً بصورة تصاعدية إلى أن يبلغ منتهاها. غير أن هذا النظام الزمني التقليدي تطرأ عليه مفارقة سردية في الزمن، وهذه التقنية في المفارقة تأتي على قسمين أساسيين، هما:

1- **الاسترجاع**: وهو من أهم تقنيات العمل السردية، إذ من خلاله يقوم الراوي بقطع الزمن الحاضر، ليرحل إلى أحداث وقعت في الزمن الماضي، ولكن سرعان ما يأخذ هذا الزمن بأحداثه طريقه إلى الزمن الحاضر؛ فيكون جزءاً أساسياً من نسيج النص الرحلي؛ لأن هذا الاسترجاع لا يأتي اعتباطاً، وإنما يأتي لتأدية وظائف في النص، فقد يأتي بوظيفة تفسيرية بأن يسلط الضوء على شخصية سبق وأن ظهرت في الرحلة؛ لما في هذا الاسترجاع من دور في فهم الشخصية، ومن ثمّ التوصل إلى إعطاء صورة الحاضر بمعطيات الماضي⁴³². ويقسم هذا الاسترجاع على قسمين، هما:

أ- **الاسترجاع الخارجي**، ويقوم هذا الاسترجاع "باستعادة أحداث تعود إلى ما قبل الحكي"⁴³³. وهذا النوع من الاسترجاع يلجأ إليه الراوي لإثراء زمن النص بأحداث سابقة تساهم في فهم مسار الأحداث. وقد لجأ أبو الثناء إلى هذا السرد في أول

⁴³⁰ ينظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 68، 82، 95، 102. وينظر: 96، 99، 108.

⁴³¹ ينظر: الشوابكة، الدكتور نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 299.

⁴³² ينظر: فطيمة، مرزقان، بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة فنية، ص 65، مرابط، وردة، تقنية السرد في المجموعة القصصية "كانتا رتقا"، كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، سنة 2011، ص 26.

⁴³³ ينظر: المصدر السابق ص 65.

رحلته "غرائب الاغتراب" إذ قدّم رحلته بسيرة ذاتية رجع فيها إلى زمن قبل زمن بداية الرحلة؛ ليتوصل منها إلى الزمن الحاضر الذي أُلجأ إلى قيامه بالرحلة⁴³⁴.

ب- **الاسترجاع الداخلي**، وهو أن يعتمد الراوي للحكاية إلى استرجاع أحداث قريبة من زمن السرد، وتقع في محيطه، فيستعيد أحداثاً وقعت ضمن الحكاية⁴³⁵. ومن الأمثلة على هذا الاسترجاع ما أعاد ذكره في رحلة الإياب⁴³⁶ مما حصل له في "توقات" في رحلة الذهاب مع مفتيها أحمد أفندي يوز زاده من عدم الإكرام، واعتذار الحاج عمر أفندي الآقشهري مما حصل له معه، فيقول: "واعتذر لي عما كان معي في العام السابق من برودة المفتي"⁴³⁷.

2- **الاستباق**، وهو من الأنماط السردية، يلجأ إليه الراوي لكسر الترتيب الخطي للزمن، فيشير سلفاً إلى وقوع أحداث، استشرافاً منه للمستقبل، والتطلع إلى ما سيحدث من مستجدات في النص⁴³⁸. ولم أقف على هذا النوع في السرد الزمني عند أبي الثناء.

وأما **الفضاء المكاني**، فهو يمثل البعد المادي للرحلة، فهو الفضاء الذي تجري فيه الأحداث، فمن هذه الوجهة يُعد في مقدمة عناصر السرد؛ إذ هو الرقعة الجغرافية التي يقوم عليها البناء السردى⁴³⁹، والرحالة يوزع برنامجه السردى حسب حركة انتقاله في محطات رحلته (الانطلاق، والذهاب والإياب، والوصول).

ويرتبط بهذا العنصر عنصر الوصف الذي هو أحد مكونات الخطاب السردى، إذ يسعى الرحالة إلى إضفاء صفة الجمالية على المكان من خلال اللغة في وصف الأمكنة التي يقف عليها راوي الرحلة، مثل الطبيعة والعمران والأماكن المقدسة.

رابعا: الوصف، يُعرف الوصف في المصطلح الأدبي على أنه لون من ألوان التصوير للمحيط الخارجي، من خلال الألفاظ والتراكيب البلاغية، بحيث يقوم التشبيه والاستعارة مقام الألوان لدى الرسام واللحن لدى الموسيقي⁴⁴⁰. ووظيفة الوصف في

⁴³⁴ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 100-122.

⁴³⁵ ينظر: فطيمة، مرزقان، بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة فنية، ص 65.

⁴³⁶ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 109-110.

⁴³⁷ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 175.

⁴³⁸ ينظر: فطيمة، مرزقان، بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة فنية، ص 66.

⁴³⁹ ينظر: فطيمة، مرزقان، بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة فنية، ص 74.

⁴⁴⁰ ينظر: عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1984م، ص 292-293.

العمل الروائي يتحدد في وظيفتين أساسيتين⁴⁴¹:

الأولى: جمالية، فيكون في هذه الحالة عمل تزييني، يستعين فيها الراوي على توشية القول بالمحسنات اللفظية وأساليب البيان. مثلما تُزين المباني بالنقوش واللوحات، وسيأتي هذا في الصور البلاغية التي أتى بها الألويسي في وصف إقبال الليل وإدبار النهار.

الثانية: توضيحية أو تفسيرية، فيؤدي الوصف في هذه الحالة وظيفة الكشف عن معنى مُعين أراده الراوي في إطار السياق. كوصف أبي الثناء لمدينة "آمد" أنها تشتمل على جوامع نفيسة، ومدارس عديدة⁴⁴². وأراد بهذا الوصف التوصل إلى أنها موحشة لأمثاله؛ لأن مساجدها ومدارسها خالية من التدريس.

وعلاقة الوصف بالسرد علاقة ثنائية، فالنص الأدبي الروائي في معظمه ينقسم إلى تراكيب وصفية وتراكيب سردية، فالسرد يتناول الأحداث وسريان الزمن ويتوقف عند ابتداء الوصف، والوصف فعل مكاني يعمل على إبراز الأشياء الساكنة في صور بارعة موحية⁴⁴³.

وقد شغل الوصف في رحلات أبي الثناء الألويسي مساحة واسعة، فجاء وصفاً تصويرياً منتظماً بحركة السرد، مبتعداً عن التقريرية الصارمة في نقل المعارف والمعلومات الخالية من الإيجاء والتصوير الفني، فقد رسم بريشة كلماته ملامح الشخصيات في تبايناتها، وأسقط على الطبيعة إحساس المغترب عنها ليتوصل إلى وصف خباياها، ويقارن بين اختلافها بتراكيب تفضيلية باستخدام صيغ أجمل وأفضل وأحسن وأعظم وأكبر. كوصفه لبلدة "توقاد": "هي أنفُس بلدة أتينها، وأطيب تربة رأيناها ... قد فازت من محاسن البلاد بأجلّها"⁴⁴⁴.

وقد سعى أبو الثناء في رحلته إلى رصد كلِّ ما يشاهده ويسمعه، فوصف الأماكن ووصف المياه ووصف المناخ ووصف الزروع ووصف العادات والتقاليد⁴⁴⁵.

خامساً: الحوار، يعد الحوار من أنماط التعبير التي يشترك فيها مع باقي الأجزاء في بناء العمل الروائي، ويُعرف الحوار على أنه

⁴⁴¹ ينظر: الحمداني، الدكتور حميد، **بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي**، ص 79.

⁴⁴² ينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **غرائب الاغتراب**، ص 188.

⁴⁴³ ينظر: قاسم، د. سيزا، **بناء الرواية**، الناشر: سلسلة إبداع المرأة - القاهرة، سنة النشر 2004م، ص 116.

⁴⁴⁴ الألويسي، محمود بن عبد الله، **نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول**، ص 109.

⁴⁴⁵ ينظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني من الرسالة، فقد حفل بإيراد شواهد ظاهرة الوصف عند الألويسي.

تبادل الحديث بين اثنين على الأقل في النص الروائي، لإبداء رأي أو مناقشة أفكار تجاه موضوع معين، أو كلام يقع بين الراوي ونفسه، ومن شروطه أن يكون مناسباً للشخصية التي يصدر عنها⁴⁴⁶.

وعنصر الحوار في تقنيات السرد يقف إلى جانب عنصر الوصف من حيث العمل، فكلاهما يعملان على قطع النص السردى وإيقاف تتابع حركته، أو إبطاء هذه الحركة.

وتحتل رحلات أبي الثناء بالعديد من النصوص الحوارية المتنوعة التي جاءت منسجمة ضمن حركة السرد، فشخصية دينية علمية بحجم الألوسي لا تعد المناقشات أينما حلّت، فمن أول محطة يذكرها في رحلة الذهاب يطالعنا نصّ حوارى جرى له مع علماء الموصل، وتتابع حواراته العلمية حيثما حلّ ونزل.

غير أن سمة الحوار تبرز في "غرائب الاغتراب"؛ فقد خصص خاتمتها لما جرى له مع شيخ الإسلام من أبحاث علمية، يقول عنها: "جرت سواقيها في رياض المحاورة مع شيخ الإسلام"⁴⁴⁷.

ومن الحوارات في غير الأبحاث العلمية التي جاءت وقطعت السرد في تتابعه، أن أبا الثناء أثناء نزوله في منطقة "خان الحكيم" وبعد وصفه لها وما جرى له مع أهلها، أورد حواراً جرى له مع شخص اسمه يوسف أخبره عن تعاطي أهل الخان للحشيشة، بزعمهم أنها حلال، وسأله عن دليل حرمتها، فأجابه بأدلة العلماء على تحريمها، فقال له: أليست هي الميسر قرين الخمر؟ فأجابه: بالنفي، مع إظهار الدهشة من هذا الاعتقاد. فقال يوسف: أستغفر الله تعالى، فقد كنت أعتقد ذلك⁴⁴⁸.

ومن الحوارات التي أجراها أبو الثناء مع نفسه، ما جرى له عند وصوله "أماسيه" وقد شبّت فيه نيران الحنين، وجادت عيناه بسحائب الدموع، واضطربت النيران في جنانه، وتذكر ما قاسى في بلده، فلامه على حاله صحبه ومن كان معه، فأخذ يحاور قلبه منشداً:

دعاني من نجد، فإن سنينه
لعين بنا شيبا وشييننا مردا⁴⁴⁹
فيجييه القلب: إن بقي على هذه الحالة ليفرّ من صدره ويعود إلى بلده، ثم هوّن عليه بأن الحال سيؤول إلى أحسن مآل،

⁴⁴⁶ ينظر: عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ص 100، شريط، أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، الناشر: اتحاد كتاب العرب، سنة 1998م، ص 30.

⁴⁴⁷ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 395.

⁴⁴⁸ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 192.

⁴⁴⁹ البيت للصمة بن عبد الله القشيري (ت 95هـ-713م). ينظر: يعقوب، د. إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، (2/188).

وأن المرء يعودُ حلواً بعد العود من اسلامبول إلى دار السلام⁴⁵⁰.

وقد اعتمد أبو الثناء الألوسي في تدوين رحلاته مكونات العملية السردية، وجعلها وسيلة طيبة في إبراز جمالية رحلاته المتنوعة، ومن هنا بدت رحلاته ذات نكهة مميزة عن سواها، وبهذا يمكن أن نقول: إن نص رحلات أبي الثناء هو نوع من الفن القصصي؛ لاعتماده على عناصر القصة الأساسية، فضلاً عن عامل التشويق الذي حملته تراكيب النص وعباراته.

4.1.2. المطلب الثاني: توظيف الموروث الشعبي في السرد القصصي.

حرص كُتاب الرحلات على أن تكون مادة الرحلة غزيرة بنقل كلِّ ما يصادفهم في تنقلاتهم، فتناولوا فيها وصف الطبيعة بجبالها وأنهارها وبحارها وزروعها، ووصفوا حياة الشعوب بعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وفنونهم ومأثوراتهم الشعبية، ولم ينسوا أن يسجلوا معتقدات الشعوب، وأن يُدونوا ما سمعوا من أساطيرهم وحكاياتهم التي تبعث على التعجب؛ لأنَّ القصص الشعبي له علاقة وثيقة بحياة الشعوب ومعتقداتهم.

وفي هذا المطلب سأتناول ما دونه الألوسي من المورثات الشعبية التي شاهدها، أو الحكايات التي سمعها، مما بعث في نفسه التعجب والاندعاش لغرابته.

1- الموروث في الأضرحة

سَرت في المجتمعات الإسلامية العديد من المعتقدات الخاطئة المتوارثة، ومنها بناء المقامات والتُّرب والأضرحة فوق القبور، وأكثرها من إنشائها، ولا تكاد قرية أو بلدة تخلو من ضريح، ولذا عُدت المناطق التي تضم الأضرحة أماكن مباركة، ومنها ما اكتسب قدسية بإجابة طلب معين حسب المورث الشعبي.

ويطلق الضريح على البناء المشيد فوق القبر، ولا يرقى في بنيانه إلى عمارة المساجد، ولا يرقى إلى العمارة المدنية كالقصور والمنازل. وقد تعلو بناء الضريح قبة وتسمَّى باسم صاحب القبر، وهذه القبة بدورها تمثل قداسة رمزية لأصحاب تلك المنطقة. وقد لا يقتصر الضريح على احتواء قبر واحد، إذ قد يضم المكان الواحد عدة أضرحة. وقد تكون هذه الأضرحة غير حقيقية بل شيدت تبعاً لرؤيا أحد الصالحين وأطلق عليها أسماء كبيرة لأعلام مشهورين لهم مكانتهم الدينية العالية في نفوس الناس.

⁴⁵⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 115.

وتمثل هذه الأضرحة في الموروثات الشعبية رموزاً للصالح والزهّد والتقوى، وأمّكنة لالتماس الخير والبركة واستجابة الدعاء.

كما يلمس فيها الزائر خروجاً من العالم المادي إلى العالم الروحي، المتمثل برمزية صاحب الضريح⁴⁵¹.

ومن الأضرحة التي صادفها أبو الثناء في رحلة الذهاب "ضريح بلال" فجاء في وصفه لمدينة "سيناب" قوله: "وعلى ذروة جبل عندها على ما يقال: قبر يترك بزيارته، ينسبونه للسيد بلال"⁴⁵². ثم أعقب وصفه هذا، أن العوام يعتقدون أن القبر لمؤذن الرسول بلال الحبشي - عليه السلام -، ونَبّه على خطأ هذا المعتقد من العوام؛ لأنّ بلالاً قبره في دمشق بلا خلاف بين أهل العلم.

وفي رحلة العودة ونزوله في "نصيبين" ووصفها يقول: "وفيها ثلاث قباب كانت إبان شبابها تحكي الخود"⁴⁵³ الكعاب". وتضم هذه القباب ثلاثة أضرحة، أحدها لزين العابدين بن الحسين بن علي - عليه السلام - والآخر لسلمان الفارسي - عليه السلام - والثالث لشخص أطلقوا عليه بحامل اللواء بين يديه.

وبعد إيراد لمعتقد العوام فنّد هذا المعتقد بأنّ زين العابدين قبره في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، وأن سلمان قبره في المدائن عند إيوان كسرى، وأما الثالث فلم يقف على حقيقته، فقال: لعله من الأسلاف الذي جاؤوا لفتح هاتيك البلاد. ثم قال: "فما يزعمه أهل القرية فرية وزور، وإن كان الزائر على كل حال مأجور غير مأزور"⁴⁵⁴.

2- المورث الشعبي في الجن

يدور المعنى المحوري لمادة "جنّ" في اللغة حول السّتر، فكل شيء سُتر عنك فقد جُنّ عليك، ومنه سُمي الجنين لاستتاره في بطن أمه، ومنه سُمي الجنّ لاستتارهم عن الأبصار واختفائهم، والجن عالم مخلوق من النار مستتر عن الأبصار، يقابل "الإنس" قال تعالى: ﴿قُلْ لِّإِنِّ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾⁴⁵⁵. أدرج الجن هنا

⁴⁵¹ ينظر: دويدة، نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، بحث منشور في مجلة إنسانيات، مجلة جزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. عدد 68 / 2015، 11-34.

⁴⁵² ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 128.

⁴⁵³ الخوّد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خود) (3/165).

⁴⁵⁴ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 273. وينظر: ص 171، في القبر المنسوب لصحابي أسموه

"كيسك باش!"

⁴⁵⁵ سورة الإسراء: 88.

لقدراهم المستغربة، فيكون عجزهم أبلغ في التعجيز⁴⁵⁶.

ويتوهم العوام عن الجنّ أنهم يسكنون القرى المهجورة، وأنهم مخلوقات غريبة تظهر بصور عديدة⁴⁵⁷، غير أنها ترد في الموروث الشعبي بلهجة اليقين، فلا حدّ لخوارقهم، ولا تقف أمام تصرفاتهم قوة تمنعهم إلا يقين الأولياء وبركاتهم التي تمنع توسعهم. ومما ورد من هذا المعتقد الشعبي في رحلة أبي الثناء، ما أورده عند حلوله في الموصل، فبعد ضبطه لاسمها والتعريف بها من الوجهة التاريخية، أشار إلى محل فيها يسمى "أسكي موصل" أي: الموصل القديمة، وجاء وصفها بالقدم لخرايها، وينقل عن الملا مُحمَّد أمين العمري (ت 1203هـ-1788م) أنه اشتهر بين خواص أهل الموصل أن الجنّ تسلطت على هذا المحل في وقت من الأوقات، فلم يستطع أهلها الإقامة فيها، فتحولوا إلى مكان قريب منها وعمره بالمساكن وأسباب الحياة وسموه "حديثه الموصل"، ثم رجعوا إلى محلهم الأول لانقطاع الجن عنه ببركة الشيخ أبي الفتح الموصل، وخرب الشيخ ما أحدثه الجن في المحل من مساكن لهم.

ويعقب الألوسي على هذا الكلام بأنه ما رآه في كتاب، وأن من الناس من ينكر مثل هذا التسلط للجنّ ويعده حديث خرافة، ولا ينبغي للمرء أن ينكر وجود الجنّ لمثل هذه الحكايات، فمنكر الجنّ حكمه معروف بالإسلام. ويبرر ما حصل لأهالي "أسكي موصل" من تركهم لها والانتقال عنها بسبب حوادث الأيام ومزعجات الليالي، وبعد سكون الحوادث عن مدينتهم حنوا إليها ورجعوا إلى عمرانها.

ومن جملة ما صادفه في "مزرى" أنه كان جالساً في المقهى، فجاءه رجل يريد منه أمراً لظنّه أن أبا الثناء له تسلط على الجنّ! فأجابه أن هذا الحكم ثابت لني الله سليمان -عليه السلام-، ويتبع جوابه بشيء من التهكم أنه لو كان له ما يقول الرجل لما وجد جالساً في مقهى أو خان.

3- المورث الشعبي في أسماء المدن

إن أسماء المدن والقرى تحمل دلالات ومعاني تستمدّها من طبيعتها الجغرافية أو قدسيّتها الدينية أو تحمل أسماء شخصيات مؤثرة فيها. وهناك بعض الأسماء تطلق لارتباطها بأساطير من المورثات الشعبية المتناقلة شفاهاً، وليس لها رصيد علمي.

⁴⁵⁶ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنن) (13/ 92)، جبل، الدكتور مُحمَّد حسن حسن (توفي 1436هـ)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الناشر مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2002م، (339/1).

⁴⁵⁷ ينظر: أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني الزاهر، الناشر: مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، سنة 2013م، مادة "جنن" ص 1764.

ولم تغب عن خاطر أبي الثناء هذه الملحوظة في تسمية بعض القرى والمدن التي عرّف بها أثناء مروره بهاتيك البقاع، ونقل لنا في بعضها ما توارثه أهلها من الحكايات الخارجة عن نطاق المعقول، وإنما تُسرد لتشوق الناس إلى الغرائب، فمما نقله لنا أبو الثناء من الموروث الشعبي في تسمية مدينة "حلب الشهباء"، أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كان مقيماً فيها، وكانت له بقرة يقال لها "الشهباء"، فإذا حلبها قال الناس: حلب الشهباء. فأتخذت هذه الأرض مدينة وأطلق عليها هذا الاسم "حلب الشهباء".

ويعلق أبو الثناء على هذه الرواية بأنها محض كذب، فيقول: "وهو كلام استمري من ضرع الكذب، فلا تسقه ضريع ذهنك" ⁴⁵⁸.

ومما جرى به قلم أبي الثناء في هذا المجال، ما نقله في سبب تسمية وادٍ في بلدة "أماسيه" يطلق عليه "فرحات قابه سي"، وأن وجه التسمية بهذا الاسم له حكاية، تدور حول رجل يدعى بفرحات أحب امرأة اسمها شيرين، فكلفته هذه المرأة أن يجري الماء إلى "أماسيه" فقام بشقّ الجبل من هذا الموضع، ولم يزل ينحت فيه حتى أخبر بوفاة محبوبته قبل وصوله إلى "أماسيه" بنحو مسافة ساعة، فشقّ عليه خبر وفاتها وكان المعول في يديه فضرب نفسه به، ودفن في أعلى الجبل، ودُفنت قريباً منه حبيبته شيرين.

ويعلق عليها أبو الثناء بقوله: "هي في الغرابة غاية، وأظنهم نحتوها من جبل تحيل، وسلخوا بها وادي تضلل" ⁴⁵⁹.

4- المورث الشعبي في التفاؤل والتشاؤم

للتفاؤل والتشاؤم في حياة كل الشعوب قدماً وحديثاً مساحة واسعة، ويجعلون لهذا التفاؤل سبباً ولذاك التشاؤم أسباباً، فنجد في الموروث العربي التشاؤم من الغراب والبوم، ومن شهر صفر ويومي الأربعاء والسبت، وفي المقابل نجد التفاؤل في الكلام وفي الأيام مثل يومي الخميس والجمعة، ومن الدواب التفاؤل بالفرس، وغيرها.

عندما أراد أبو الثناء السفر صحبة الوزير عبدي باشا استخار الله تعالى في رحلته هذه، حسب ما جاء في المأثور، وقد خصص أبو الثناء الألووسي تسعة فصول من رحلته "غرائب الاغتراب" في بيان الاستخارة ⁴⁶⁰. وأطال فيها من حيث محلها

⁴⁵⁸ ينظر: الألووسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 151.

⁴⁵⁹ ينظر: الألووسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 114-115.

⁴⁶⁰ ينظر: الألووسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 122-140.

والأحاديث الواردة فيها وصيغها، وخصص الفصل التاسع منها للحديث عن الأدعية والطرق غير المشروعة التي استحدثتها الناس، كالاستخارة بالقرآن، أو طلاس غير مفهومة كما نقل عن ابن خلدون، أو التفاؤل بديوان الشاعر الفارسي حافظ شيرازي (ت 791هـ-1389م) كما فعل أصحاب الألويسي معه حيث أجروا له استخارة بهذا الديوان، وأورد الأبيات التي خرجت له بالفارسية⁴⁶¹.

وبعد فراغه من هذا البيان سرد ما للعوام من تفاؤل وتشاؤم، وأن أقدمها ما كان في الطيور -لا سيما الغراب-، وأورد في هذا المعنى الأشعار التي نقلت عن العرب، ومثل التشاؤم بالطيور التشاؤم بالحصى والتشاؤم بالعطاس، أو عروض الثعلب في الطريق، وغيرها مما ورد عن العرب، ومن الأشعار التي استشهد بها في ذم التشاؤم من هذه الأمور الكثيرة، ما قاله لبيد بن ربيعة:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع⁴⁶²
وبهذا الأسلوب السردى استطاع أبو الثناء أن يوظف الموروثات الشعبية داخل النص، لمنح رحلته طابع التشويق، وأن يحفظ العديد من هذه الحكايات الشعبية الشفاهية ويكسبها صفة التوثيق.

4.2. المبحث الثاني: التوظيف البلاغي في أسلوب رحلات الألويسي، وجعلته في ثلاثة مطالب:

4.2.1. المطلب الأول: قبسات من المحسنات البديعية في لغة المؤلف.

علم البديع أحد أنواع علوم البلاغة العربية التي يعرف به وجوه تزيين الكلام وتحسينه بعد رعاية الوضوح والفصاحة والمطابقة لمقتضى الحال⁴⁶³. وكتب الرحلات لأبي الثناء الألويسي تنطوي على صور كثيرة من وجوه المحسنات البديعية أكسبتها رونقا وجمالا، وسأجعل من بعض الصور البديعية نماذج لهذه الدراسة؛ فهناك العشرات من الصور مما يماثلها في رحلاته، والتي تدل على تميز أبي الثناء في اللغة، ومهارته في توظيف الفنون البديعية، وقد حددت في دراستي الصور البديعية التالية: السجع،

⁴⁶¹ ينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 135-136.

⁴⁶² العامري، لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة، الناشر: دار صادر - بيروت، ص 90، وفيه: ما تدري الضوارب بالحصى. وينظر: الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 138.

⁴⁶³ ينظر: القزويني، جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ=1338م)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2003م، ص 255.

والجناس، والاقتراس. وسأقدم لكل صورة قبل نماذجها توضيحاً من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي.

1- **السجع**: لعل أول ما يلفت انتباه المطالع لرحلات أبي الثناء هو غلبة السجع في وصفه لرحلته من مغادرته لدار السلام إلى الإقامة في دار الخلافة والعودة إلى منبت جسده، وهو في هذا يساير الكتاب والمترسلين في عصره حيث إنهم أكثروا من هذه الظاهرة البديعية؛ لما لها من وقع حسن في الأسماع، وأثر جميل في تزيين العبارة وإثرائها بالإيقاع. وسأتناول هذا النوع بالتعريف وأقسامه وإيراد الشواهد له من كتب رحلات أبي الثناء.

السجع لغة: جاء في "معجم مقاييس اللغة" أن اجتماع هذه الحروف يدل على صوت متوازن⁴⁶⁴، وهو في الكلام أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشعر من غير وزن⁴⁶⁵.

أما اصطلاحاً، فهو "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما"⁴⁶⁶، وهو أنواع عند علماء البلاغة⁴⁶⁷، وقد استوفاهما أبو الثناء في رحلاته الثلاثة.

النوع الأول: المرصع، وهو أشرف أنواع السجع وأحسنها؛ للاعتدال الذي في فقراته، ولاتفاق ألفاظه أو أكثرها وزناً وتقنية، كقول الحريري: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه". فالفقرة الأولى قد اتفقت مع الفقرة الثانية بالوزن والتقنية، وقد وردت عبارات على هذا المثل في رحلات الألوسي، منها قوله في وصف الوزير علي رضا: "ذو الهمة التي لا تجارى، والغيرة العمرية التي لا تبارى"، وقوله في وصف وصول التفسير إلى الصدر الأعظم: "فنادته مباني عبارته، وناجته معاني إشارته" وقوله في وصف أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندی: "وهو يداري الصغير والكبير، ويعامل -حسبما ينبغي- الوزير والمشير". وقوله في وصف الأكراد وما لقي منهم في بغداد "وعلمت جاهلهم، وعظمت عالمهم"⁴⁶⁸.

النوع الثاني: المطرف، وهو أن تتفق الفاصلتان في التقنية وتختلفان في الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝﴾

⁴⁶⁴ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سجع) (3/ 135).

⁴⁶⁵ ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (باب العين والجيم والسين معهما) (1/ 212).

⁴⁶⁶ العلوي، المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي (749هـ=1348م)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، (3/ 12).

⁴⁶⁷ ينظر: العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (3/ 12) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص330. المراغي، أحمد بن مصطفى (1371هـ=1951)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة الطبع 1993م، ص 361.

⁴⁶⁸ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص120، 211، 283، 302.

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾⁴⁶⁹. فقد اتفقت الفصلتان في حرف الروي، واختلفتا في الوزن فكلمة وقارا على وزن فَعَالًا، وكلمة

أطوارا على وزن أفعالا. وهذا النوع من السجع قد حفلت به رحلات الألويسي والشواهد عليه كثيرة، منها قوله في فاتحة رحلة الذهاب: "فقد أسرى بي القضاء، بعد فصلي من منصب الإفتاء"، ومنها قوله في دعائه لشيخه علاء الدين الموصلبي: "عمر الله تعالى بصيب رحمته ثريته، وأوفر من لطفه سبحانه ثروته"⁴⁷⁰.

وقوله في رحلة الإياب في مغادرته لإسلامبول: "وركبت سفية النار، وما هي إلا مثال قلبي المشحون بحب الديار". وقوله في وصف مشير عساكر الروم: "وقد أحسست منه أنه سليم القلب، له محبة وافرة للبارز الأشهب" ومنها وهو يصف ما فعل به القمل في خان صمصوم: "إنها نزحت دمي من أعماق عروقه، وسلكت في علك لحمي غير سبيل الاقتصاد وطريقه"، ويصف الشاعر أحمد العمري (ت 1310هـ-1892م): "ذي الإعجاز الجلي، أحمد عزت أفندي العمري"⁴⁷¹.

وحفلت رحلة الإقامة بهذا النوع من السجع، منها قوله في خطبتها: "الذي أسفر من سجع البطون، ولا أثر يومئذ ولا عين". وقوله في وصف الكاتب راشد أفندي العيتابي: "وأول من عام في لجج الاستعطاف، وقام بترتيب حجج استحقاقي الألفاظ"⁴⁷².

النوع الثالث: الموازي، وهو أن تتفق في هذا النوع الأعجاز في الفواصل تقفية ووزناً، ومثاله قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعٌ﴾⁴⁷³ وَأَكْوَابٌ مَوْصُوعَةٌ ﴿١٤﴾ فقد اتفقت الفاصلتان وزناً وتقفية، ومما ورد في رحلات أبي الثناء من هذا النوع قوله في خطبة رحلة الذهاب: "وعرج بي القدر، إثر ما عرج علي الكدر". ودعاه أحد أصدقاء والده في "ديار بكر" وهو السيد أحمد أفندي القلعي، فقال: "ودعاني يوماً مع وجوه البلد، وهم كأصابع الكفين في العدد"⁴⁷⁴.

ومن أمثلة هذا النوع في رحلة الإياب قوله في وصف "توقات": "وقد أرخى الرخا فيها زمامه، وأعطاهما دون ما سواها

⁴⁶⁹ سورة نوح: 13-14.

⁴⁷⁰ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 55، 65. وينظر على سبيل المثال: 66، 68، 72، 83.
⁴⁷¹ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 150، 157، 308. وينظر على سبيل المثال: 181، 195، 199، 293.

⁴⁷² الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 197، 216. وينظر على سبيل المثال: 219، 231، 285.

⁴⁷³ سورة الغاشية: 13-14.

⁴⁷⁴ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 55، 73. وينظر على سبيل المثال: 78، 79، 92، 114، 123.

ذِمَامِهِ". ويصف ما لقي من مفتيها أحمد أفندي من عدم الإكرام: "أشين الأشياء عنده إكرام الضيف، وأشد البلاء نزوله في بيته ولو بالطيف"⁴⁷⁵.

ورحلة الإقامة حشد فيها أنواع السجع حتى أصبحت أمودجا لدراسة هذا اللون البلاغي، ومما جاء فيها من السجع الموازي، قوله في ترجمته لنفسه وما قرأ على مشايخه: "وقرأت حواشي الرسالة المذكورة، للفاضل مير أبو الفتح مع حواشيه المشهورة". وقوله: "وقرأت من شرح الوضعية لمولانا عصام، إلى ما يعانق من الرسالة الختام"⁴⁷⁶.

فهذه الأنواع الثلاثة قد استوفاهما أبو الثناء في رحلاته، ومن شدة تعلقه بهذا اللون البلاغي أننا لا نكاد نقرأ صفحة من صفحاتها تخلو من السجع، بل قد ألجأه هذا الاهتمام الشديد إلى الوقوع في المخالفة النحوية في بعض المواضع، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في وصفه لأحد طلبة العلم في "أماسيه": "وهو اليوم يقرأ شرح العضدية في الكلام، وعمره -بارك الله تعالى فيه- تسعة عشر عام"⁴⁷⁷. وحق لفظ "عام" هنا النصب وهو "عاماً" كونه في محل نصب تمييز، ولكن السجع ألجأ أبا الثناء إلى التسكين. ومما جاء في الرحلة على هذا المثل ما جاء في وصفه لبطيخ "طورخال": "فقدم نزلاً بطيخاً أخضرًا، يحكي بلذيد حلاوته سكرًا"⁴⁷⁸. فقد صرف الممنوع من الصرف "أخضرًا" وحقه المنع من الصرف للوصف والوزن.

الجناس: من الفنون البديعية اللفظية الطريفة التي تعتمد على تكرار اللفظ واختلاف المعنى، فيوهم في البدء التكرار، لكنه يفاجئ بالتأسيس لمعنى مختلف، ومن هنا يأتي التحسين في الكلام، ويشترط فيه عدم التكلف، وأن يكون مستعذباً عند أرباب الأدب⁴⁷⁹. وسأعرف بهذا الفن البلاغي لغة واصطلاحاً، وسأعرض المواضع التي زين بها أبو الثناء رحلاته.

الجناس لغة: جاء في "معجم مقاييس اللغة" في مادة (جنس) أن هذه الحروف تدل على أصل واحد، وهو النوع الواحد من الشيء، فكل نوع من الناس أو الطير جنس⁴⁸⁰.

⁴⁷⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 173، 175. وينظر على سبيل المثال: 200، 230، 241، 253.

⁴⁷⁶ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 102، 103. وينظر على سبيل المثال: 217، 250، 254، 416.

⁴⁷⁷ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 166.

⁴⁷⁸ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 170.

⁴⁷⁹ ينظر: حَبَنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت 1425هـ=2004م)، البلاغة العربية، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (2/485).

⁴⁸⁰ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (جنس) (1/486).

أما اصطلاحاً، فهو أن تتشابه الكلمتان في اللفظ، وتختلفان في المعنى. وهو نوعان:

أ- تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور: نوع الحروف، وهيئتها، وعددها، وترتيبها.

ب- غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الشروط الأربعة المتقدمة.

وأدرج علماء البديع تحت كل نوع من هذين النوعين أقساماً، وفرعوا لها فروعاً؛ اعتماداً منهم على استقراء الأمثلة، وتنظر هذه الأقسام في مظانها من كتب البلاغة⁴⁸¹.

وقد وثق أبو الثناء الألوسي رحلته بهذا اللون البلاغي ليزيدها حسناً في الأسماع، وإثراءً في الإيقاع، فمما جاء في أثناء سرده لما حصل في إحدى مجالس المباحثات العلمية في دار الخلافة مع السيد حافظ أفندي، وما اعتراه من الإحراج حين لم يجب على سؤال أحد المعترضين في الفرق بين التوبة والإنابة، فيصفه بقوله: "فقام بدمع سائل، وقلب منكسر على ذلك السائل"⁴⁸². فهذا جناس تام، فلفظ سائل الأول اسم فاعل من الفعل "سال" بمعنى جرى، واللفظ الآخر اسم فاعل من الفعل "سأل" والفرق بينهما ظاهر.

ومن أمثلة الجناس ما ورد في وصف برودة "أماسيه": "وتألمنا من شدة البرودة وفرط قُرْصِها، حتى أننا تخيلنا أن الشمس تجر النار إلى قُرْصِها"⁴⁸³. وهذا جناس ناقص يطلق عليه "جناس محرف" للاختلاف في الحركة بين اللفظين، فلفظ قرصها الأول هو شدة البرد وإيلامه، ولفظ القرص الآخر هو كل قطعة مستديرة، والمراد بها هنا الشمس بعينها⁴⁸⁴.

ومما زين به عباراته بالجناس، وهو يصف شوقه إلى العراق وأنَّ الوصول إليه قد قُرب، فيبعث إليه رسالة يحملها نهر الفرات، يقول فيها: "أُبشِّر بقرب الفَرَج، حيث سُدَّت الفُرَج"⁴⁸⁵. وهو جناس ناقص محرف، فلفظ الفرج الأول مصدر، واللفظ الآخر جمع فُرْجَة.

ومن الجناس الذي جاء في رحلة الذهاب في سرده لأحد مباحثاته في الموصل، فيقول: "فأبرزت روح المعاني، فكنت المبرز -

⁴⁸¹ ينظر: العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (138/3-139) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص 325-330. المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص 354-360.

⁴⁸² الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 262.

⁴⁸³ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 163.

⁴⁸⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرص) (7/ 70).

⁴⁸⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 195.

والفضل لله تعالى - في هاتيك المعاني"⁴⁸⁶. وهذا الجنس يطلق عليه علماء البديع "جناساً ناقصاً مضارعاً"؛ فلفظ المعاني

والمعاني مختلفان في نوع الحروف، والحرفان المختلفان متقاربان في المخرج.

ومن نماذج الجنس التي جاءت في رحلة "النزهة" ما جاء في وصفه لحثّ أبيه له في طلب العلم، فيقول: "وكان عليه الرحمة

يزقني العلم ليلاً ونهاراً، ويزقني إن ونيت سراً وجهاراً"⁴⁸⁷. وهذا "جناس ناقص لاحق"، فقد تقابلت الكلمتان "يزقني

ويزقني" واختلفتا في حرف واحد (الفاء والقاف) وهما غير متقاربين في المخرج.

وما جاء في وصف ولده عبد الباقي عندما تعلق به للرحيل معه، فيقول: "وعلى العلات، بقي في معبتي، وشغل بخدمته

خَدَمَتِي عن خَدَمَتِي"⁴⁸⁸. وهذا "جناس ناقص محرف"، فقد توافقت حروف لفظي "خدمتي" غير أنها اختلفت في الحركة.

2- الاقتباس: فنّ بديعي لفظي، عُرف مبكراً في الأدب العربي، وهو أن يُضمّن الشاعر أو الناثر كلامه شيئاً من القرآن

الكريم أو الحديث الشريف؛ لأنه يمنح الكلام بهاءً ووقاراً، ويحسّن وقعه في النفوس، وكانوا يطلقون على الخطبة التي لا توشّي

بشيء من القرآن "البترء"، فقد روى الجاحظ (ت 255هـ-868م) عن عمران بن حطان وهو يخبر عن أول خطبة خطبها

وإعجاب الناس بها، ثم يقول: إنه مرّ بمجلس فسمع رجلاً يقول لبعض من فيه: "هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته

شيء من القرآن"⁴⁸⁹.

وهذا اللون البلاغي إنما يلجأ إليه الكاتب لتقوية فكرته بما اقتبس، أو حلية لكلامه، وقد لجأ إليه أبو الثناء في رحلاته تزييناً

لكلامه، واستحساناً للفظ المقتبس. وسأعرض لهذا اللون البلاغي بالتعريف وإيراد الشواهد له من رحلات أبي الثناء.

الاقتباس لغة: الاقتباس مصدر اقتبس، والقَبَس -بفتحتين- الشعلة من النار تؤخذ من مُعْظَمِها، وهي الجدوة التي تؤخذ في

طرف عود، قال تعالى: ﴿لَعَلَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا يَقَسٍ﴾⁴⁹⁰، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا يَخْبَرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنْ

⁴⁸⁶ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 65.

⁴⁸⁷ الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 101.

⁴⁸⁸ الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 151.

⁴⁸⁹ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي (ت 255هـ-869م)، البيان والتبيين. الناشر: دار ومكتبة الهلال،

بيروت، سنة النشر: 1423هـ، (1/116).

⁴⁹⁰ سورة طه: 10.

التَّارِ⁴⁹¹. فالمعنى المحوري للفظ يدور على الأخذ والاستفادة، ولذا يقال: اقتبست منه علماً، أي أخذته منه واستفدته،

ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَتَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾⁴⁹².

أما اصطلاحاً، فقد اتفقت أقوالهم على أنه تضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، ولا يُبْه

عليه⁴⁹³؛ تزيينا لنظام الكلام، وتفخيماً لشأنه⁴⁹⁴. وتوسع بعضهم في هذا الاقتباس فزاد على القرآن والحديث الأمثال

السائرة والحكم المشهورة، وأقوال كبار البلغاء والشعراء⁴⁹⁵.

ويرى ابن الأثير أنَّ أسلوب الاقتباس من القرآن في أعلى مراتب الكلام؛ كونه ممزوجاً به لا على سبيل التضمن بل على وجه

الانتظام به⁴⁹⁶.

وقد زين أبو الثناء رحلاته بهذا اللون البديعي، وسأسير في إيراد الشواهد عليه بما جرى فيه من التوسع في التضمن.

أ- الاقتباس من القرآن الكريم: يبدو على أبي الثناء أثر القرآن الكريم واضحاً جلياً، حيث وظَّف النص القرآني في جميع

رحلاته، كيف لا، وهو قد عاش مع كتاب الله خمس عشرة سنة تدبراً وتفسيراً، وكان من أسباب رحلته عرض تفسيره على

علماء دار الخلافة، فمما جاء من جميل أسلوبه في الرحلات قوله في وصف تكية الشيخ مصطفى النقشبندي: "وقد تنمق في

بناها فرفع سمكها وسؤاها"⁴⁹⁷. فهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾⁴⁹⁸. وقوله عند نزوله قرية

"قنقال" -وهي قرية سكانها خليط من المسلمين والأرمن-: "وصادفت عند نزولي ذلك المكان أقرب النصارى للذين آمنوا

نيقو بك"⁴⁹⁹. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّا نَصَرِي﴾⁵⁰⁰.

⁴⁹¹ سورة القصص: 29.

⁴⁹² سورة الحديد: 13. وينظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (قبس) (6/ 167).

⁴⁹³ أي لا يقول في إيراده: قال الله تعالى، أو قال رسول الله ﷺ.

⁴⁹⁴ ينظر: مطلوب، الدكتور أحمد، معجم المصطلحات البلاغية، الناشر: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، سنة 1427 هـ -

2006م، (271/1).

⁴⁹⁵ ينظر: حَبَنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، (536/2).

⁴⁹⁶ ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 637هـ-1239م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوني،

بدوي طبانة، الناشر: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (149/1).

⁴⁹⁷ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 171.

⁴⁹⁸ سورة النازعات: 27.

⁴⁹⁹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 184، وينظر: ص 183، 214، 267، 291، 277،

ومن جملة اقتباسه القرآنية ما جاء في وصفه لرفيقه سليمان فائق، فيقول: "فهو الحائر من صفات الفضل فنوناً شئياً، والسالك الطريقة التي لا عوج فيها ولا أمتي"⁵⁰¹. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾⁵⁰².

ومما جاء في "غرائب الاغتراب" وهو يصف أسلوبه في كتابة الرحلة، بأنه نوع أساليبه فيها ولم يجعلها على نمط واحد خشية السامة منها، فيقول: "وأكثر الأسماع اليوم طبيعتها إسرائيلية، فهيها أن تصير على طعام واحد وإن كانت أطعمتها شهية"⁵⁰³. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾⁵⁰⁴.

ب- الاقتباس من الحديث الشريف: وشح الألوسي أسلوبه في رحلاته بالاقتباس من اللفظ النبوي الشريف، فمما ورد في كلامه ما جاء في وصف نزوله في قرية "جبجول": "وبتنا عند رجل يُسمى مُجَّد حسين، فكنا عنده بمنزلة السمع والعين"⁵⁰⁵. وهذا مقتبس من حديث ابن عمر في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال فيهما: "إِنَّهُمَا مِنْ هَذَا الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَبِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ"⁵⁰⁶.

ومن اقتباساته النبوية قوله وهو يصف مجلس درس في دار الخلافة: "والشيخ بينهم على منصة ارتفاعها نحو ركة. وبين يديه تحفة منقوشة بالصدف يضع عليها كتبه. وربما يصفعها إذا حمي الوطيس. ويلطمها إذا اشتدت حرارة التدريس"⁵⁰⁷. فقله هذا مقتبس من قوله -عليه السلام- في غزوة حنين: "الآن حمي الوطيس"^{508, 509}.

304.

⁵⁰⁰ سورة المائدة: 82.

⁵⁰¹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 78. وينظر ص 79، 103، 119، 123، 129.

⁵⁰² سورة طه: 107.

⁵⁰³ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 98. وينظر: ص 99، 149، 200، 207، 208، 220، 251.

⁵⁰⁴ سورة البقرة: 61.

⁵⁰⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 81. وينظر: ص 82.

⁵⁰⁶ الأجرى، أبو بكر مُجَّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت 360 هـ - 970م)، الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، (4/1856).

⁵⁰⁷ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 255.

⁵⁰⁸ الوطيس: تنور وما أشبهه، حُفيرة يُخْتَبَز فيها وُشْوَى، وبه شبه حرُّ الحرب. وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ تُسْمَعْ إِلَّا مِنْهُ -عليه السلام-، وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ عَبَّرَ بِهِ عَنْ اشْتِيَاكِ الْحَرْبِ وَقِيَامِهَا عَلَى سَاقٍ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وطس).

⁵⁰⁹ الشيباني، الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ - 855م)، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة

ج- الاقتباس من الشعر: هو أن يعتمد الكاتب أو المتكلم إلى نثر الشعر لغيره، ويحسّن هذا النثر إذا سبك حلّه، وجاء وافياً بالمعنى الأصلي⁵¹⁰. وقد حظيت رحلات أبي الثناء من هذا الاقتباس بنصيب ملحوظ؛ دلّ على وفرة المحفوظ الشعري لدى الألوسي، واستطاعته توظيف هذا المورث المحفوظ في سرد رحلاته. ومن الأمثلة التي جاءت في ثنايا رحلاته، وصفه لهروب بغلة ولده عبد الباقي في قرية "زاره" وقد تبعها عبد الباقي ونصيف الزنجي: "وكنّت لكَدري أنادي طول النهار، وأقول لنفسي دعي ذكرها فلا رجعت ولا رجع الحمار"⁵¹¹.

فقد اقتبس أبو الثناء هذا الكلام مما أورده الجاحظ في نوادره عن أحد المعلمين، إذ سمعه ينشد:

لقد ذهب الحمار بأمّ عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار⁵¹²
وفي رسالته لولده عبد الله التي ختم بها رحلة الذهاب، يصف فيها أعداءه والمتربصين به بقوله: "وغالب أعدائي مع شدة بلائي أسد عليّ وفي الحروب أرنّب"⁵¹³.

فقد اقتبس أبو الثناء هذا الوصف لأعدائه من قول الشاعر:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْخُرُوبِ نَعَامَةٌ رِبْدَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَافِرِ الصَّافِرِ⁵¹⁴
وفي طريقه إلى "خربوت" ووصوله إلى قرية "مزرى" حمد الله على استواء الأرض، وحثّ المطايا على الإسراع في خطاها، وقد بعث هذا المشهد في نفسه الحنين إلى الزوراء، فيقول: "فلقد عرتني هناك هزة من مزيد القَرّ، كما انتفض العصفور بلله القطر"⁵¹⁵.

وهذا مقتبس من قول الشاعر أبي صخر الهذلي (ت 80هـ-699م)، في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، (298/3).

⁵¹⁰ ينظر: حَبْنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، البلاغة العربية، (541/2).

⁵¹¹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 104.

⁵¹² ينظر: الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين مُجَدِّد بن أحمد بن منصور (ت 852هـ-1448)، المستطرف في كل فن مستطرف، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، ص 476.

⁵¹³ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 143.

⁵¹⁴ اختلف في نسبة هذا البيت، ف قيل لعمران بن حطان، وقيل لرجل من الخوارج. ينظر: يعقوب، د. إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م، (513/3).

⁵¹⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 199. وفيها: "مزيد القمر". وهو خطأ والصواب ما ذكرته، كما جاء في طبعة الدكتور الشراوي ص 215. وتنظر أمثلة أخرى: 184، 190.

لليلى بذات الجيش دائر عرفتها
وأخرى بذات البين آياتها سطر
وفيها يقول:

إذا ذكرت يـرتاح قلبي لذكرها
كما انتفض العصفور بلله القطر⁵¹⁶
ويصف إكرام الكاتب عاكف أفندي له وحفاوته به، وأنه أنزله منزلة صاحب الدار، بأن يأمر طباخه بطبخ ما يشتهي،
فيقول: "فأدعوه وأنص له على ما أريد تنصيصا، ولست -ولله الحمد- ممن يقول: اطبخوا لي جبة وقميصا"⁵¹⁷.

وهذا مقتبس من قول الشاعر أبي الرعمق أحمد بن مُجَد الأنطاكي (ت 399هـ-1009م):

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا⁵¹⁸
ومن بديع ما نثره من الشعر وصفه لسيرهم قبل طلوع الشمس، وانتهاز فرصة انجلاء الغيوم، فيقول: "وقبل أن يُسل سيفُ
الصبح من غمد الظلام، صرف لصرف فضل الله تعالى بوالي الصحو عامل الغمام"⁵¹⁹.

وقد أخذ هذا المعنى من بيت الشاعر أبي الفتح البستي (ت 400 هـ -1010 م):

قد نعمنا بدياجيه إلى أن
سُل سيفُ الصبح من غمد الظلام⁵²⁰
د- الاقتباس من الأمثال: وظَّف أبو الثناء الأمثال والحكم في رحلاته تأكيداً لصحة المعاني التي أوردتها، والشواهد على
ذلك من رحلاته كثيرة، منها في وصفه لرجل يقال من علماء "جزيرة ابن عمر" بعد مباحثته له، وظهور قصور فهمه لديه،
فيقول: "وإنه لأخبط من عشواء، وأحق من ربيعة البكاء، ومع هذا فهو في هاتيك الأرجاء أمتع من است النمر، وأعزُّ
من الرِّبَاء"⁵²¹.

⁵¹⁶ ينظر: السكري، أبي سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مطبعة المدني، سنة النشر 1965م، ص 956-957. ويروى الشطر الأول منه بألفاظ مختلفة، منها:
وإني لتعـروني لـذكرك هـزـة
كما انتفض العصفور بلله القطر.

⁵¹⁷ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 275.
⁵¹⁸ أبو الفتح، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت 963هـ-1555م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المحقق: مُجَد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب - بيروت، (2/252). وهناك من ينسب البيت إلى جحظة البرمكي.

⁵¹⁹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 289.
⁵²⁰ البستي، أبو الفتح علي بن مُجَد بن الحسين، ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة الطبع 1410هـ-1989م، ص 176.

⁵²¹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 70.

وهذا النص الذي سرده قد أشار فيه إلى أربعة أمثال لتأكيد المعنى الذي أرادته وهو إثبات جهل من وصفه، وعلو منزلته بين أهل بلده، فالمثل الأول الذي أكّد به جهله فهو: "يَنْخَبُطُ حَبْطُ عَشَوَاءٍ"⁵²². يضرب هذا المثل في المتهافت في رأيه، والمثل الثاني هو "أَحْمَقُ مِنْ رَبِيعَةَ الْبُكَاءِ"⁵²³، وهو ربّعة بن عامر بن ربّعة بن عامر ابن صَعَصَعَة، يضرب به المثل في حمقه، لقصة جرت له وهو صغير، مشهورة في كتب الأدب، أما المثل الثالث الذي أكّد به علو منزلته فهو "أَحْمَى مِنْ اسْتِ النَّمِرِ"⁵²⁴. لأن النمر لا يترك أحداً يأتيه من الخلف ويجهد في منعه، والمثل الرابع "أَعَزُّ مِنَ الزَّيَّاءِ"⁵²⁵ والزباء كانت ملكة الحيرة ذات عَزَّة ومهابة، وكانت تغزو بالحيوش.

ومن اقتباساته من الأمثال ما وصف به خطيب قرية "خان الحكيم" ملا بكر بالجهل وعدم معرفته بأصول الخطابة، غير أنه يملك صوتاً جميلاً، ويحكم الألحان، وهذا ما يُحسِّن للناس في تميز الخطيب من غيره، فيقول: "ومدار حسن الخطيب عند الناس اليوم حسن الصوت مع أداء نغمات تطرب القوم، فإذا أرادوا مدح خطيب بما ليس وراءه مطمع لمن يزيد، قالوا عن جهل: هو ألحن من قيني يزيد"⁵²⁶.

وظف أبو الثناء في هذا المقطع هذا المثل ليقوي فكرته في رأي الناس في خطباء عصره، وألحن يريدون به لحن الغناء، والقينتان هما حَبَابَة وسلامة، كانتا للخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت 105هـ-723م)، وكانتا ألحن القيان⁵²⁷.

ومن اقتباساته في رحلة الإقامة وصفه للوعاظ وما كانوا عليه من الاستكبار مع انخطاط رتبهم بين الناس، فيقول: "ومعظم المستمعين ما عدا النساء منهم يضحكون، وقلما ترى واعظاً في حلقة إلا وهو أهون من قعيس على عمته"⁵²⁸.

أراد أبو الثناء من اقتباسه هذا أن يؤكد على انخطاط رتبة الوعاظ بالمرّة فجاء بهذا الاقتباس من المثل العربي: "أهون من قعيس على عمته"، وقعيس رجل من الكوفة دخل دار عمته يوم مطر، وكان بيتها ضيقاً فأدخلت كلبها وأخرجته فمات من البرد،

⁵²² ينظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **مجمع الأمثال**، (414/2).

⁵²³ المصدر السابق (224/1).

⁵²⁴ المصدر السابق (222/1).

⁵²⁵ المصدر السابق (43/2).

⁵²⁶ الألويسي، محمود بن عبد الله، **نشوة المدام في العود إلى دار السلام**، ص 191. وينظر: 160، 163، 167، 193، 194.

⁵²⁷ ينظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **مجمع الأمثال**، (255/2).

⁵²⁸ الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **غرائب الاغتراب**، ص 256. وينظر: 197، 198، 281، 301، 329، 342، 436.

وقيل: هو رجل من بني تميم مات أبوه فرهنته عمته على حنطة، ولم تفكَّ رھانه فاستعبده صاحب الحنطة⁵²⁹.

4.2.2. المطلب الثاني: توظيف علم البيان في لغة المؤلف.

من مزايا أبي الثناء الألوسي في رحلته أسلوبه الأدبي في صياغة أحداثها، فكان البيان أظهر صفاته؛ لما فيه من سعة خيال، والباس المعنوي ثوب المحسوس، وتلمس الشَّبه بين الأشياء بوجوه متعددة.

وقد أشار الدكتور مُجَّد مهدي البصير إلى هذه الظاهرة في حديثه عن أدب أبي الثناء، إذ ينقل لنا ما رآه من بعض الأدباء وهم يعجبون بسعة خياله ومقدرته العظيمة في استنباط التشابيه والاستعارات في التعبير عن معنى واحد، فقد عبَّر عن إقبال الليل وإدبار النهار بأكثر من مئة صورة، كان لكل صورة منها جمالها وروعها⁵³⁰.

وهذه التنوع في التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة أطلق عليه ابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ-1256م) باب الاقتدار، وباب التصرف، وعَرَّف به على أنه: صياغة المتكلم المعنى الواحد في عدة صور، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وطوراً يخرج في مخرج الإيجاز، وآونة يأتي به على وجه الحقيقة، بحيث لا تختلف معانيها على اختلاف صورها وقوالها المتعددة، حتى لا تجد تشابهاً في موضعين منها، مع وجود الفرق الظاهر بين صورها⁵³¹.

وسأخرج في هذا المطلب من هذه الوجهة التي جاء بها المصري في الاقتدار، وسأعرض الصور المختلفة لانسلاخ الليل وطلوع الفجر التي جاء بها، واندراج كل صورة منها تحت نوع من أنواع البيان، كالتشبيه والاستعارة.

التشبيه: هو ربط أمر "المشبه" بأمر "المشبه به" في معنى مشترك من جهة واحدة أو جهات كثيرة بوساطة الأداة الكاف أو نحوها لغرض يقصده المتكلم⁵³². وبلاغة التشبيه تنشأ من انتقال المتكلم من الشيء نفسه إلى شيء مستحسن يشابهه، أو إلى صورة بديعة تماثله.

فمن صور التشبيه التي جاء بها أبو الثناء في تصوير تشقق ضياء الفجر ومغادرة الظلام قوله حين توجه من الموصل إلى جزيرة

⁵²⁹ ينظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن مُجَّد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، (373/2).

⁵³⁰ ينظر: البصير، مُجَّد مهدي، نضمة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، ص 243.

⁵³¹ ينظر: ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، البغدادي ثم المصري، بديع القرآن، تحقيق حفي مُجَّد شرف، الناشر: دار نضمة مصر، ص 289-290.

⁵³² ينظر: العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (136/1) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص 219. المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص 213.

ابن عمر: "حتى إذا تبدّى الفجر من جنبات الليل كالماء يلمع من خلال الطحلب، وجعل ينصل خضاب الدجّة كما ينصل صبغ الخضاب عن القذال⁵³³ الأشيب"⁵³⁴.

فقد شبّه ظهور ضوء الفجر من وسط الظلام بالماء الذي يظهر من خلال الطحلب، بجامع قُتْمَة اللون بين الليل والطحلب، ونصاعة الفجر والماء في تبديهما. ثم شبّه زوال سواد الليل شيئاً فشيئاً مثلما يزول صبغ الخضاب عن شعر الأشيب.

ومن بديع تشبيهاته التي جاءت في رحلاته ما وصف به طلوع الفجر بقوله: "ولما تنفس الصعداء محبوس الصباح، وانتفش الديك إذ رأى الفجر كذنب السرحان، فأذن خوفاً وصاح"⁵³⁵.

شبّه طلوع الفجر الذي يستطيل في الأفق بذيل الذئب، بجامع البياض والامتداد بين المشبه الفجر والمشبه به ذنب الذئب. وبعد معاناته مع القمل في خان صمصوم، وما فعل به من الإدماء، ودعوته للمكاري بالإسراع في الرحيل، قال: "حتى إذا بدا الفجر كذنب السرحان، وصبغ قاني الشفق ثوب الأفق كما صبغ بُرْدِي بدمي ذلك الحيوان"⁵³⁶.

وفي وصفه هنا لحلول الفجر تشبيهان، أما الأول فقد سبق بيانه، وأما الآخر فقد شبّه امتلاء الأفق بحمرة الشفق بحمرة ثوبه الذي صبغه القمل بما نزع من دمه طوال الليل. وهذا التشبيه منه بجامع اللون بين المشبه والمشبه به.

1- الاستعارة، ضرب من المجاز باستعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، وحذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه. وهي قسمان:

أ- تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

ب- المكنية، وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه⁵³⁷.

وقد أجاد أبو التّناء في استخدام هذا اللون البياني، وأظهر اقتداراً مميّزاً في التعبير عن إدبار الليل وإقبال النهار، فمن بديع صوره ما وصف به هذا المشهد عند توجهه إلى "آمد": "ولما باح الصبح بسره، وطار غراب الليل عن وكره"⁵³⁸.

⁵³³ قَدْالُ الْإِنْسَانِ: جماع مؤخر الرّأس من الإنسان والفرس فوق القفا. ينظر: المعجم الوسيط، مادة (قدل) (2/ 722).

⁵³⁴ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 68.

⁵³⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 185.

⁵³⁶ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 157.

⁵³⁷ ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة، ص 258. المرغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص 270.

⁵³⁸ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 71.

شَبَّهَ الصبح بإنسان، ثم حذف المشبَّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو التكلم، فالاستعارة مكنية لحذف المشبه به، وشَبَّهَ ذهاب ظلام الليل بالغراب الذي طار من وكره، فحذف المشبَّه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السواد، فالاستعارة تصريحية لحذف المشبَّه.

ومن جميل الصور التي جاد بها على قارئ رحلته في وصف الإشراف قوله: "فلما شارفت غادة النهار أن تسفر عن وجهها الوضاح، وهتَّت أن تخر فاضل ذيلها في بطون البطاح"⁵³⁹.

شَبَّهَ الشمسَ وإشراقها بالمرأة الجميلة الناعمة بمجامع الوضاء، ورمز لها بشيء من لوازمها وهو الإسفار، واستعار لانتشار جميع أشعتها على الأرض بسحب المرأة ما زاد من ثوبها الواقع على الأرض. وهذه استعارة تصريحية إذ صرَّح بالمشبه به (الغادة). ومن رائع تصويره لذهاب الليل وبزوغ الفجر الذي أعجب أهل البيان، وصفه لهما بقوله: "ولما ظهر في رقعة شطرنج الليل شاه النهار، والتقط برحَّ⁵⁴⁰ فجره أولاً فأولاً ما كان في الرقعة من الأحجار"⁵⁴¹.

شَبَّهَ السماء برقعة الشطرنج والكواكب والنجوم فيها بأحجارها، بمجامع الترتيب والانتظام في الاثنين، وشَبَّهَ الشمس بملك الرقعة، وشبه الفجر بالرحَّ (القلعة) وكيف أزاح الكواكب والنجوم بانتشاره يمينا وشمالاً كما تلتقط القلعة قطع الشطرنج في تحركها أفقياً وعمودياً. وهذه استعارة تصريحية؛ إذ صرَّح بالمشبه به (رقعة الشطرنج والقلعة). وأتى بالعديد من الصور المختلفة التي صوَّر بها انسلاخ الليل وطلوع الفجر في رحلاته⁵⁴². وهناك صور بلاغية أخرى غير هذا المعنى، وما أوردته هنا للمثيل على سعة خيال أبي الثناء وخصوصية قريحته، واقتداره من أدوات اللغة.

4.2.3. المطلب الثالث: توظيف الأشعار في لغة الرحلة.

إن الناظر في كتب الرحلات عموماً يلحظ فيها كثرة الاستشهاد الشعري، لذا فإنَّ هذه الرحلات تُعدُّ سَفْطاً كبيراً للموروث

⁵³⁹ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 267.

⁵⁴⁰ قطعة من قطع الشطرنج، تقابل اليوم ما يطلق عليه القلعة.

⁵⁴¹ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 102.

⁵⁴² ينظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 80، 81، 82، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 103، 104، 108، 109، 117، 119، 120، 127.

نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 156، 159، 160، 161، 163، 169، 171، 172، 178، 179، 182، 183، 185، 190، 192، 196، 198، 210، 241، 266، 267، 268، 274، 285، 289، 290، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303.

الشعري، وحارساً أميناً من الضياع لكثير من النصوص الشعرية، بل ربما حوت من النصوص الشعرية التي لا توجد في مصادر أخرى. فلو لم يوظف كاتب الرحلة الأشعار في أسلوبه لما استطعنا معرفة قائلها ولا الأغراض التي قيلت فيها، وهذا ما يعطي لهذه الرحلات القيمة الأدبية العالية.

احتلَّ الاستشهاد الشعري في رحلات أبي التناء فضاءً واسعاً ضمن فضاء الوقائع والأحداث في رحلاته، وليصبح أساساً في النص واستمراراً لسياقه النصي، وتنوعاً لأساليب الكتابة في المزاجية بين الشعر والنثر؛ دفعاً للسامية، وإبعاداً لرتابة صياغته على أسلوب قولي واحد، فحقق بهذا الأسلوب لقارئه زخماً معرفياً ومتعة فنية.

ونلاحظ في رحلات الألويسي أنه يفيض في الاستشهاد الشعري، تارة يكون من نظمه وإبداعه -وهو قليل- وتارة أخرى -وهو الغالب- يكون من أشعار غيره، سواء ممن تقدمه أو ممن عاصره، وكأنه بهذا الأسلوب يهدف إلى براعته في الاستشهاد وعرض خزينه الشعري في هذا المضمار. وسأقسم الأشعار التي حفلت بها الرحلة إلى قسمين: الأول ما كان من نظمه، والآخر ما كان لغيره.

أولاً: الأشعار التي من نظم أبي التناء

عُرف أبو التناء -كما بينت في الفصل الثاني- أنه ممن كان يقرض الشعر، غير أنه مقلٌّ فيه، فضلاً عن هذا فإن نظمه كان موزعاً بين إبداع وتشطير ومعارضة وتحوير، وقد زَيَّن رحلاته ببعض نظمه. وسأورد هنا نماذج من شعره مع مناسبة إيرادها. فمن نظمه ما يشكو به من البعوض والبراغيث التي مصت دمه حين نزل في خان وادي "قردره" قوله:

"قبْتُ أشكو إلى مولاي من فئة لا يقنعون بشيء غير شرب دمي"⁵⁴³
ومما نظمه وهو يصف حاله عند مسيرهم ليلاً إلى "توقات" وقد أعياهم التعب، واضطربت حركات الرؤوس من النعاس، فيقول:

"وصرت بحيث لو كلفت جفني بكاء كان يكي لي نعاساً
وأحسب ما بطرف النجم مني عراه ذاك من طرفي انعكاساً"⁵⁴⁴

ومما جاشت به قريحته بيت شعر قاله في المفتي أحمد أفندي، الذي لم يلق منه الضيافة والإكرام بسبب بخله، فقد وصفه بأنه يفضل دخول النار على أن يُخرج الدينار من صرته، فنظم هذا المعنى قائلاً:

⁵⁴³ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 163.
⁵⁴⁴ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 171-172.

فالشمس أقرب من دينار صرته والصخر أندى يداً منه لطالبه⁵⁴⁵
ومما أنشده في حضرة الصدر الأعظم رشيد باشا، وقد تجلت فيه خصال الرياسة، وتمثلت في شخصه مهابة الحكم، قوله:

"ولما نظرت إلى المستشمار
وشمت عليه مدار الأمور
هتفت أنادي بقول صحيح
عليه يلوح من الصدق نور
يليق بهذا الصدر هذا الفؤاد
وهل غيره لائق للصدور"⁵⁴⁶
ومن نظمه في التشطير: وهو أن يعتمد الشاعر إلى بيت أو أبيات لشاعر غيره، فيشطر البيت شطرين، فيضع للصدر عجزاً،
وللعجز صدرًا⁵⁴⁷.

فقد طلب منه السيد أحمد أفندي القلعي -أحد أفاضل علماء آمد- أن يشطر البيت المشهور: أسرب القطا هل من
يعير⁵⁴⁸، فقال:

"أسرب القطا هل من يعير جناحه
لذي وَلِهٍ منه الجناح كسير؟
أسرب القطا مُنُوا عليّ سويعة
لعلي إلى من قد هويت أطيير"⁵⁴⁹
ومن نظمه في المعارضة الشعرية، وهي أن يأتي الشاعر إلى قصيدة شاعر آخر في موضوع ما، فيعجب بهذه القصيدة شكلاً
ومضموناً، فينظم قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها، مع تغيير قليل أو كثير⁵⁵⁰. ومن ذلك قوله في مدح الوزير
حمدي باشا:

هو الشمس علماً والجميع كواكب
إذا ظهرت لم يبق منهن كوكب⁵⁵¹
فقد عارض في هذا البيت بيت الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني (ت 18 ق.هـ - 605 م) الذي يمدح فيه النعمان بن المنذر،
يقول فيه:

⁵⁴⁵ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 175. وينظر: 200، 231، 235، 258، 264-265.

⁵⁴⁶ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 212. وينظر: ص 98، 214، 285، 452، 495.

⁵⁴⁷ ينظر: الهاشمي، أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، الناشر: مؤسسة الهنداوي، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2012م، ص 139.

⁵⁴⁸. البيت ينسب لمجنون ليلى، وللعباس بن الأحنف. ينظر: يعقوب، د. إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، (371/3)

⁵⁴⁹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 216.

⁵⁵⁰ ينظر: الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، الناشر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، سنة 1998م، ص 6-7.

⁵⁵¹ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 101. وينظر: ص 111.

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب⁵⁵²
ومن نظمه المحور، وهو أن يأخذ الشاعر معنى سبق إليه، فيحوّر فيه حتى يظهر في هيئة تخالف الهيئة القديمة⁵⁵³. وصفه لمبيته

في خان "فواق" وما عانى فيها من براغيث الخان، وتطاول الليل عليه، فأنشد فيه يقول:

"تطاول ليلي في فواق ولم يكن
بوادي الغضا ليل عليّ يطول
ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
وليس لبرغوث عليّ سبيل"⁵⁵⁴
وهذان البيتان محوران من قول الشاعر أبي الرماح الأسدي في ذم البراغيث:

"تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن
بجنو الغضا ليل عليّ يطول
ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
وليس لبرغوث عليّ سبيل"⁵⁵⁵

ثانياً: الاستشهاد الشعري

شحن أبو الثناء الألوسي رحلاته بالأشعار، فهو لا يكتفي بالأشعار التي من نظمه، بل ضمنها أشعار من سبقه ومن عاصره، فتراه يجول بين العصور الأدبية المختلفة يأخذ من أشعارها ما يريد حسب ما تقتضيه المعاني والأفكار التي يوردها، فيزيد أسلوبه روعة وجمالاً.

ويمكن أن أقسم طريقة أبي الثناء في إيرادها للأشعار في رحلاته، إلى عدة أقسام:

1- الإكثار من إيراد الأبيات الشعرية التي تدور في محور واحد، لإثبات فكرته، وتقوية المعنى الذي ساق من أجله الشواهد، ومن الأمثلة على ذلك ما يطالعنا به في أول رحلته، من التّغيب في السفر وترك الأوطان؛ إذا لقي الإنسان مثل ما لاقى أبو الثناء من الشدائد، فقد أورد أبياتاً ومقطوعاتٍ شعرية لأربعة عشر شاعراً، رغبوا في الارتحال لمّا عراهم ما جرى لأبي الثناء من حوادث الزمان⁵⁵⁶، ومن عيون ما أورده من الأبيات ما قاله أبو مُجَدِّ الغانم (ت 470هـ-1077م):

"وإذا الـديار تنكـرت عـن أهـلها
فـدع الـديار وأسـرع التحـويلا

⁵⁵² الذبياني، النابغة، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق حمدو طقاس، الناشر: دار المعرفة، لبنان-بيروت، ط 2، 1426هـ-2005م، ص 20.

⁵⁵³ ضيف، الدكتور شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثانية عشرة، ص 296.

⁵⁵⁴ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 160، وينظر: ص 186.

⁵⁵⁵ الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، المحقق: عبد السلام هارون، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، سنة النشر: 1384هـ-1965م، (389/5).

⁵⁵⁶ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 57-64.

ليس المقام عليك حتماً واجباً في بلدةٍ تدع العزير ذليلاً" وما أكثر فيه من الإيراد الشعري، ما دلل به على أليعة شيخه علي علاء الدين الموصلبي، فقد ساق له اثني عشر مقطعاً شعرياً اختارها من عيون أشعاره⁵⁵⁷.

2- الاكتفاء بإيراد البيت الواحد لتأكيد صحة المعنى الذي استشهد له، وهذا كثير في كتب رحلات أبي التناء، فمما جاء في ثنايا رحلته ما وصف به القرى الواقعة بين قرية "تكية زخار" وقرية "الشير"، أن منها غير مأهولة بالسكان، فلا يسمع في نواحيها إلا الصدى، فاستشهد لها ببيت النابغة:

"أمست يباباً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد"⁵⁵⁸ وما زئن به كلامه في تفضيله للعلم وتدوين فوائده على كل لذة تميل إليها النفوس، فقال:

وصرير أقلامي لرسم عويصة
ويستشهد حبّ الوالي عبدي باشا العسكرية وتفضيلها على الوزارة -لأنه نشأ فيها ووقف على مبادئها ودقائقها، فهي حبيبته الأول الذي لا ينتقل ولا يتحول- بقول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّننا⁵⁶⁰
وتضعف الحمى جسمه، ويخف وزنه، فيصف ما وصل به الحال أنه لو علّق برجل نملة لسرت ولما شعرت به؛ لشدة هزاله، فيستشهد لحاله ببيت المتنبي (ت354 هـ - 965م):

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم تـرني⁵⁶¹

⁵⁵⁷ الألويسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 105-111. وينظر: ص 212-213.

⁵⁵⁸ الذبياني، النابغة، ديوان النابغة الذبياني، ص 10. وفي الديوان: "أمست خلاء". وأخنى: أي أهلك، ولُبد: آخر نُشور لقمان.

⁵⁵⁹ الألويسي، محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 231. ولم أقف على قائله، ولعله من نظم أبي التناء، أخذه من البيت المنسوب للزمخشري:

وصرير أقلامي على أوراقها أحلى من الدوكاء والعشاق.

⁵⁶⁰ الألويسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 142. وهذا البيت مما اختلف في نسبته إلى قائله، فبعضهم ينسبه للشاعر ديك الجن الحمصي، ومنهم من ينسبه إلى مجنون ليلى، ومنهم من ينسبه ليزيد بن الطثيرة. ينظر: الكرمانى، شمس الدين محمد بن يوسف (ت 786 هـ - 1384م)، تحقيق الفوائد الغياثية، تحقيق د. علي بن دخيل الله العوني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ، (265/1).

⁵⁶¹ الألويسي، أبو التناء محمود بن عبد الله، رحلة إلى النجف، مخطوط الورقة 2. وينظر البيت في: المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، ديوان المتنبي، الناشر: دار بيروت، سنة الطبع 1983م، ص 7.

3- إيراد أشعار المناظرات العلمية، فقد حاز أبو الثناء الألويسي أينما حلَّ في رحلته بالتقدير، لا سيما في دار الخلافة بعد اجتماعه بشيخ الإسلام، فكانت تعقد له المجالس العلمية وتدور فيها المناقشات الفقهية، والمناظرات الكلامية، والمباحثات الأدبية، وكانت منزلته فيها منزلة القطب من الرحي، وبعض المسائل كانت تَرُدُّ على شكل أبيات هي وجوابها، فدَوَّن أبو الثناء طائفة عظيمة منها لا سيما في خاتمة رحلته التي خصصها لما جرى بينه وبين شيخ الإسلام، ومن الأبيات التي أوردها ما جرى من الخلاف في بيت قول البوصيري (ت 696 هـ - 1295):

فكأنَّ الغمامة استودعتهُ من أظلت من ظله الدُفء
فذكر له شيخ الإسلام أنه مُشكَل، فأقرَّه على ذلك، ثم أخذ يزيل الإشكال الذي حام حول هذا البيت، وأورد كلام العلماء فيه، وأتى بالبيت على وجهه الصحيح الذي نقله عن أحد العلماء، وهو:

فكأن الغمامة استودعتهُ ما أضلت من ظله الدفء
وأورد ثمانية أبيات في هذا المبحث لإزالة التحريف الذي وقع في بيت البوصيري⁵⁶².

4- الأشعار التي تضمنتها الرسائل الإخوانية، التي تبادلها مع أصدقائه وتلاميذه، والتي تصور عواطفهم ومشاعرهم تجاهه، وقد تضمنت طريف المعاني، وبديع العبارات، كما اشتملت على بليغ الشعر وأعذبه⁵⁶³. فمن الرسائل التي وصلته ما بعثه إليه الشاعر عبد الباقي العمري، وبعد ديباجتها وما بثَّ فيها من التلطف إلى عودته، مع عبارات المدح، وتوشيحها ببيتين أثنى فيهما على أبي الثناء، وهما:

"أبو الثناء شهاب الدين مدحُته فرضٌ ومدح سواه غير مندوب
فإليه من شهاب ثاقب وأنا أنظم الدر فيه غير مثقوب"⁵⁶⁴
وأرسل مع رسالته هذه تخميساً⁵⁶⁵ لقصيدة الألويسي التي بعث بها إلى أولاده، والتي مطلعها:

أبيت ولي جدد حرارته تلو ودمع له في عارضي عارض هطل

⁵⁶² الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 444-447. وينظر: ص 448-452، 488، 492-495.
⁵⁶³ خصص أبو الثناء الألويسي لهذه الرسائل نصيباً من صفحات رحلته "غرائب الاغتراب" وضممتها من كتابه الصفحات (285-343).
⁵⁶⁴ الألويسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 289.
⁵⁶⁵ التخميس: هو أن يقدم الشاعر على بيت شاعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول، فتصير بذلك خمسة أشطر. ينظر: الهاشمي، أحمد، ميزان الذهب، ص 139.

وقد أنشد أبو الثناء هذه القصيدة في مجلسه الغاص

"عليكم دموع العين لا زال تنهل

وها أنا من فقدانكم ما دجى الليل

(ودمع له في عارضي عارض هطل)⁵⁶⁶

5- أشعار الحنين، فقد وجدنا أبا الثناء في رحلته قد لازمه هاجس الحنين إلى أهله، فيرى شابا يشبه ولده فيذكره به، ويعبر

جسراً فيمُرُّ جسر بغداد في ذهنه، ويتذوق أطعمة فيقاييسها بأطعمة بلده، وهكذا رافق الحنين الألوسي من أول رحلته إلى

عودته⁵⁶⁷، ومما جاء من هذا النمط، لقاءه في العودة بسليمان فائق بك (رفيقه في رحلة الذهاب) في "آمد"، واجتماعهم في

بيت مفتيها، وما جرى من الأحاديث في مجلسه، فذكره هذا بالزوراء ومجالسه فيها، فيحرك فيه دواعي الشوق إليها، وينشد:

وأبـرح ما يكون الوجد يوماً إذا دنـت الخيام من الخيام⁵⁶⁸

وهناك دواعٍ آخر لإيراد الشعر كالألغاز الشعرية⁵⁶⁹، بل لم يمنع وقار العلامة الألوسي ومنزلته الدينية من إيراد أبيات فيها ما

يخل بالحياء، حتى إن محقق "غرائب الاغتراب" حذف الكلمات الصريحة وأبدلها نقطاً، ونبّه على ذلك في الحاشية، ولذا

أعرضت عن ذكرها⁵⁷⁰.

⁵⁶⁶ الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب، ص 290-292. وينظر تخميس الشاعر عبد الغفار الأخرس لقصيدة أبي الثناء أيضاً، ص 293-299.

⁵⁶⁷ ينظر: الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ص 56، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 303، غرائب الاغتراب، ص 150.

⁵⁶⁸ الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 219، وينظر: ص 202، 219، 266.

⁵⁶⁹ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 230.

⁵⁷⁰ ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، ص 155، 228-229، غرائب الاغتراب، ص 151.



5. الخاتمة

كما بدأت بحثي بحمد الله تعالى، أختتمه بالثناء عليه، فهو أهل للثناء والحمد في كل حين.

فقد رزقني الله تعالى إتمام كتابة البحث المتعلق بأدب الرحلات "أدب الرحلات في بغداد، الألوسي أنموذجاً" ومن ثانياً

البحث تبين لي، أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أراها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

- 1- حرص كُتَّاب أدب الرحلات تضمين كتبهم الأساليب الأدبية، لتخرج عن النمط التاريخي والجغرافي في سرد المعلومات.
- 2- أن أدب الرحلات اتخذ من أسلوب السرد والوصف منهجاً في التأليف، ويتداخل خطابه مع بعض الألوان الشعرية كالقصة، والسيرة الذاتية.
- 3- تعد كتب الرحلات وثائق مهمة ومصادر أولية أصيلة لدراسة تاريخ البلدان وطبائع الشعوب؛ لأنها تمثل رواية شاهد عيان.
- 4- أدب الرحلات في بغداد نشط وازدهر مع مطلع القرن الثاني عشر الهجري، بظهور مصنفات محلية فيه، أبرزها رحلة العلامة السويدي.
- 5- أثرى علماء بغداد هذا الفن الأدبي بمصنفات كثيرة، غير أنها لم تلقَ الاهتمام من الباحثين في نشرها والتعريف بها.
- 6- يمكن أن نعدَّ أبا الثناء الألوسي هو رائد "أدب الرحلة" بين علماء بغداد؛ لإثرائه هذا الفن بثلاثة مصنفات كانت الأجل والأنفس بين مثيلاتها.
- 7- أن الإمام الألوسي يظهر في مظهر المنشئ المترسل البليغ، لا تقل منزلته في الأدب عن إمامته في علوم الدين.

ثانياً: التوصيات:

- 1- تشجيع الطلبة في الدراسات الأولية على الكتابة في هذا اللون الأدبي، وذلك من خلال كتابة أبحاث التخرج.
- 2- توجيه الطلبة في الدراسات العليا إلى إبراز النتاج الأدبي للعلماء ممن اشتهر بالفقه والحديث، كالعلامة عبد الله السويدي

والعلامة مصطفى الواعظ وغيرهما.

3- كثير من النتاج الأدبي في الرحلات ما زال حبيس دور الكتب المخطوطة، لم يستفد منه أهل العلم، ومنها ما يصلح أن يكون رسالة علمية في الدراسات العليا.

4- يمكن أن يُتناول النتاج الأدبي عند الإمام الألوسي من جوانب أخرى كأدب الرسائل، وفن المقامة، وذلك من خلال رسائل علمية.

5- إعادة نشر الكتب المطبوعة قديماً المتعلقة بأدب الرحلات، وفق قواعد التحقيق المعتبرة وإبرازها بهيئة جديدة.

6- رفد المكتبات الجامعية والمكتبات العامة بالكتب والأبحاث الصادرة في أدب الرحلات.

7- توجيه أنظار كتّاب السيناريو نحو هذا الفن الأدبي، وتحويله إلى عمل مرئي يُشاهد على شاشات العرض.

وفي خاتمة البحث أقول: إني اجتهدت في كتابة البحث وحاولت تضمينه كلّ ما يتعلق بهذا الموضوع الأدبي، وإبراز القيمة الجمالية له؛ ليكون فاتحة خير لمزيد من الأبحاث الأدبية في هذا المجال. أسأل الله تعالى أن يكون اجتهادي في هذا البحث مقبولاً لدى أساتذتنا الكرام، وأن يغفروا لنا ما سهونا فيه وأخطأنا.

والحمد لله أولاً وآخراً

المصادر

القرآن الكريم.

الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين مُجَّد بن أحمد بن منصور (ت ٨٥٢هـ-1448)، **المستطرف في كل فن مستطرف**، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن طاهر العدواني، البغدادي ثم المصري، **بديع القرآن**، تحقيق حفني مُجَّد شرف، الناشر: دار نخضة مصر.

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن مُجَّد (ت ٦٣٧هـ-1239م)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، **كتاب الألفاظ**، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

ابن الطقطقي، مُجَّد بن علي بن طباطبا (المتوفى: 709هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، الناشر: دار القلم العربي، بيروت، 1997م.

ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَّد الحضرمي الإشبيلي، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى، **المخصص**، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، عبد السلام مُجَّد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل مُجَّد بن مكرم بن علي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، ط3-1414هـ.

ابن هشام، جمال الدين أبو مُجَّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: 213هـ)، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م.

- أبو أسعد، أحمد، أدب الرحلات وتطوره عند العرب، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1961م.
- أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني الزاهر، الناشر: مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، سنة 2013م.
- أبو الفتح، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت 963هـ-1555م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب - بيروت.
- الأثري، محمد بهجت، أعلام العراق، الناشر: المطبعة السلفية - مصر، الطبعة الأولى، سنة 1345هـ.
- الأثري، محمد بهجت، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، الناشر: المطبعة الكاملية - مصر.
- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت ٣٦٠هـ-970م)، الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ = 1932م)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- إسماعيل، الدكتور عز الدين، الأدب وفنونه، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة 6، سنة الطبع 1976م.
- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: 216هـ)، الأصمعيات، المحقق: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: السابعة، 1993م.
- الأعظمي، علي طريف، مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث، الناشر: مطبعة الفرات - بغداد، سنة 1344هـ-1926م.
- الأعظمي، وليد، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مطبوع ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للأستاذ وليد الأعظمي، الناشر: دار القلم، سنة الطبع 2007م.
- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ)، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، طبعة مطبعة الشابندر - بغداد - سنة الطبع 1327هـ.
- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ)، نشوة المدام في العود إلى دار السلام، تحقيق أ. د هيثم سرحان، الناشر: دار السويدي - أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2019م.
- الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، الفيض الوارد على روض مريثة مولانا خالد، المطبعة الكستلية - مصر، 1278هـ.
- الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، رحلة إلى النجف، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، ضمن مجموع برقم (24272).

- الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **كشف الطرة عن الغرة**، الناشر: المطبعة الحنفية - دمشق، سنة 1301هـ.
- الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله، **نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول**، حققها أ.د هيثم سرحان، الناشر: دار الفارس - الأردن، سنة 2019.
- الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، **غرائب الاغتراب ونزهة الألباب**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الناشر: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى 1436هـ/2015م.
- الألوسي، علي علاء الدين بن نعمان، **الدر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**، تحقيق جمال الألوسي وعبد الله الجبوري، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد - العراق، سنة الطبع 1387هـ/1967م.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، **نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام**، تحقيق أ. د هيثم سرحان، الناشر: دار السويدي - أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2019م.
- الألوسي، محمود شكري، **المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، الناشر: الدار العربية للموسوعات، سنة 2007م.
- الألوسي، محمود شكري، **تاريخ مساجد بغداد وآثارها**، هذبه مُجَّد بمجَّت الأثري، الناشر: مطبعة دار السلام - بغداد - 1346هـ.
- الأمين، محسن، **أعيان الشيعة**، تحقيق حسن الأمين، الناشر: دار المعارف - بيروت، سنة 1403هـ/1983م.
- الأنباري، أبو بكر مُجَّد بن القاسم بن مُجَّد بن بشار (المتوفى: 328هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1412 هـ - 1992.
- الألوسي، نعمان خير الدين بن محمود، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، طبعة مطبعة المدني، سنة النشر: 1401 هـ - 1981م.
- الباباني، إسماعيل بن مُجَّد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: 1339هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، أوفسيت.
- الباباني، إسماعيل بن مُجَّد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: 1339هـ)، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، أوفسيت.
- بادشاه، حافظ مُجَّد، **الحجاز في أدب الرحلة العربي**، الناشر: الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد - باكستان، سنة

2013م.

البخاري، أبو عبد الله مُجَدِّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) — دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

البخاري، الدكتور عبد الله بوشعيب، **جهود أبي الشتاء الألويسي في الرد على الرافضة**، الناشر دار ابن عفان، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م.

البستي، أبو الفتح علي بن مُجَدِّد بن الحسين، **ديوان أبي الفتح البستي**، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة الطبع 1410هـ-1989م.

البصير، مُجَدِّد مهدي، **نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر**، الناشر: مطبعة المعارف — بغداد، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1365هـ-1946م.

البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، حققه مُجَدِّد بحجة البيطار، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1993 م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي (ت 255هـ - 869م)، **البيان والتبيين**. الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، المحقق: عبد السلام هارون، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، سنة النشر: 1384هـ-1965م.

جبل، الدكتور مُجَدِّد حسن حسن (توفي 1436هـ)، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، الناشر مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2002م.

الجبوري، الدكتور عبد الله، **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد**، مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة 1974م.

الجبوري، الدكتور عبد الله، **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد**، مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة 1974م.

الرجاوي، علي أحمد، **الرحلة اليابانية**، الناشر: مؤسسة الهداوي، مصر - القاهرة، سنة الطبع 2012م.

جواد، الدكتور مصطفى، **المباحث اللغوية في العراق**، الناشر: معهد الدراسات العربية العالية، سنة الطبع 1955م.

حَبْنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ = 2004م)، **البلاغة العربية**، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- حسين، الدكتور طه، **في الأدب الجاهلي**، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.
- حسين، الدكتور محمود حسني، **أدب الرحلة عند العرب**، الناشر: دار الأندلس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1403هـ/1983م.
- الحمد، محمد بن مسعود، **موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة**، طبعة الفاروق الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م.
- الحمداي، الدكتور حميد، **بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي**، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى - سنة الطبع 1991م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم البلدان**، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ/1993م.
- حوران: د. عثمان سعيد، **سياسات السلطان عبد الحميد الثاني وأثرها في نشأة العراق الحديث**، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي لجيو استراتيجية السلطان عبد الحميد الثاني وميراثه.
- الحيدري، إبراهيم فصيح، **عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد**، منشورات البصري - بغداد/ سنة 1989م.
- الحاقاني، علي، **شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم**، الناشر: مطبعة أسعد - بغداد، سنة 1382هـ/1962م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (المتوفى: 463هـ)، **الرحلة في طلب الحديث**، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1395.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الحرم الحسيني، مصر، الطبعة الأولى، 1371هـ=1952م.
- الدجوي، يوسف، **خلاصة علم الوضع**، طبعة مكتبة القاهرة - مصر، بدون تاريخ.
- الدجيلي، كاظم، **الشيخ عثمان بن سند البصري**، بحث منشور في "مجلة لغة العرب" مجلة عراقية صدرت في بغداد عام 1911، لصاحبها أنستاس الكرمللي.
- الدروي، إبراهيم عبد الغني، **البغداديون مجالسهم وأخبارهم**، الناشر: مطبعة الرابطة - بغداد - 1958م.
- الدكتور عماد عبد السلام، **التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني**، الناشر: دار الرواق، الطبعة الثانية.

الدكتور عماد عبد السلام، دراسات تراثية في البلدان والتراجم وأدب الرحلات، طبعة دار التفسير - أبريل، سنة الطبع 1440هـ/2019م.

دويذة، نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، بحث منشور في مجلة إنسانيات، مجلة جزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. عدد 68 / 2015.

الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، سنة الطبع 1982م.

الذبياني، النابغة، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985م.

الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق، تاريخ آداب العرب، الناشر: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

الراوي، محمد سعيد، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام بغداد - 1997.

الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، حققه وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة إحياء التراث الإسلامية، بغداد، سنة 1427هـ / 2006.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، سنة الطبع 2002م.

الزنجشيري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.

السامرائي، الدكتور إبراهيم، السيد محمود شكري الآلوسي وبلوغ الأرب، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - لبنان، سنة الطبع 1412هـ/1992م.

السامرائي، ظمياء محمد عباس، الطلبة والمدرسون في أيام وزارة داود باشا، بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 32 / العدد 2، الشهر: ديسمبر / جمادى الأولى.

السخاوي: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: 902هـ=1496م)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المحقق: محمد عثمان الحشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985م.

سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعرية، الناشر: مطبعة سركيس بمصر، سنة النشر 1346

هـ - 1928 م.

السكري، أبي سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مطبعة المدني، سنة النشر 1965م.

سمعان، إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال - مصر، العدد 7، 1975م.

السهورودي، محمد صالح، لب الألباب، الناشر: مطبعة المعارف - بغداد، سنة الطبع 1351هـ/1933م.

السويدي، عبد الله بن حسين، النفحة المسكية في الرحلة المكية، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، سنة 2003م.

السويدي، عبد الله بن حسين، مؤتمر النجف=الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية، قدم له: محب الدين الخطيب، الناشر: مطبعة البصري - بغداد، عام النشر: 1988م.

الشاهدي، حسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، طبع بمطابع عكاظ، المغرب- الرباط، سنة الطبع 1990.

الشايب، أحمد، تاريخ النقائص في الشعر العربي، الناشر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (الطبعة الثالثة) سنة 1998م.

شريط، أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، الناشر: اتحاد كتاب العرب، سنة 1998م.

الشهرابي، عبد القادر، تذكرة الشعراء، وضعه بالتركية، ونقله إلى العربية فؤاد حمدي، وحققه د. عماد عبد السلام رؤوف، الناشر: مطبعة المجمع العلمي، سنة الطبع 1423هـ=2002م.

الشوابكة، الدكتورة نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الناشر: دار المأمون- الأردن، سنة الطبع 1428هـ-2008م.

الشواف، عبد الفتاح بن محمد سَعِيد بن يوسف النجدي، حديقة الورود في ترجمة أبي الشاء شهاب الدين محمود، مخطوط منه نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود (رقم 8/810).

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، الناشر: دار المعارف، الطبعة 11.

الشيبياني، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ - 855م)، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

صابان، د. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، سنة النشر 1421هـ/2000م.

ضيف، الدكتور شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثانية عشرة.

العامري، لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة، الناشر: دار صادر - بيروت.

العايب، وهيب، وقريشي، نورة، أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات، بحث لمتطلبات شهادة الماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة منتوري - قسنطينة.

عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي، الناشر دار النعمان - النجف، سنة 1384هـ/1964م.

عبد الحميد، الدكتور محسن، الألوسي مفسراً، مطبعة المعارف - بغداد، ط1، سنة الطبع 1968م.

عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1984م.

الغزوي، عباس، العراق بين احتلالين، الناشر دار الموسوعات العربية، السنة: بدون تاريخ.

الغزوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، الناشر: مطبعة المجمع العلمي 1962، (7/1).

الغزوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، مرجعة وتعليق الدكتور عماد عبد السلام، الناشر: دار الشؤون الثقافية - بغداد، سنة النشر 2001م.

الغزوي، عباس، ذكرى أبي الثناء الألوسي، الناشر: شركة التجارة والطباعة - بغداد، سنة الطبع 1377هـ/1958م.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.

العلوي، المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي (749هـ=1348م)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

العمري، عبد الباقي، ديوان الباقيات الصالحات، عني بإخراجه أبو مصعب البصري، الناشر: انتشارات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ.

العمري، عثمان بن علي بن مراد، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، الناشر: المجمع العلمي العراقي. سنة الطبع 1957.

العمري، ياسين خير الدين الخطيب، غاية المرام في محاسن دار السلام، منشورات دار البصري، سنة 1968م.

الفاروقي، أحمد عزت باشا، العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية، طبع: مطبعة محمد أفندي مصطفى - مصر، سنة الطبع 1309هـ.

الفرايدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ)، العين، المحقق: د مهدي المخزومي،

د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

فطيمة، مرزقان، **بنية القصة في مقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة فنية**، الناشر: كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، السنة 2012هـ - 2012.

فيدريجي، تشيزاري بن جيرولامو، **رحلة فيدريجي إلى العراق**، ترجمة وتعليق الأب د. بطرس حداد، الناشر، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م.

فيزي، دلال، **تقنيات السرد في مقامات بديع الزمان الهمذاني**، رسالة جامعية في كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، سنة 2010/2011م.

قاسم، د. سيزا، **بناء الرواية**، الناشر: سلسلة إبداع المرأة - القاهرة، سنة النشر 2004م.

القزويني، جلال الدين أبو المعالي مُحمَّد بن عبد الرحمن بن عمر (ت 739هـ = 1338م)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة الطبع 2003م.

قنديل، فؤاد، **أدب الرحلة في التراث العربي**، الناشر: مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة الطبع 2002م.

الكتاني، مُحمَّد عَبْدَ الْحَيِّ بن عبد الكبير ابن مُحمَّد الحسني الإدريسي، **فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: 2، 1982.

كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانونوفتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة الطبع 1963م.

الكرماني، شمس الدين مُحمَّد بن يوسف (ت 786 هـ - 1384م)، **تحقيق الفوائد الغيائية**، تحقيق د. علي بن دخيل الله العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

الكرملي، الأب فيليب، **الرحلة المشرقية**، ترجمة وتعليق الأب د. بطرس حداد، الناشر، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، السنة 1989م.

الكيلاي، جمال الدين، **جغرافية الباز الأشهب**، الناشر: دار الإسلام - لاهور، الطبعة الخامسة، سنة 2015م.

الكيلاي، ميعاد شرف الدين، **مدارس بغداد القديمة**، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، سنة 2015م.

- المتني، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، ديوان المتني، الناشر: دار بيروت، سنة الطبع 1983م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م.
- Şarkiyat İlmî Araştırmalar Dergisi Ağustos-، مُجَدِّ نَسِيم، أدب الرحلة في شبه القارة الهندية، 2019 cilt: 11 sayı: 2(24) sayfa
- محيّداتو، جهاد، وعماري، كلثوم، بنية السرد وجمالية التفاصيل (الحدث-المكان-الشخصية) في رواية طيور أيلول لإملي نصر الله، الناشر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، سنة 2018.
- المدرس، عبد الكريم، علماءنا في خدمة العلم والدين، عني بنشره الشيخ مُجَدِّ علي القرداغي، الطبعة الأولى - بغداد.
- مرباط، وردة، تقنية السرد في المجموعة القصصية "كانتا رتقا"، كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، سنة 2011م.
- المرادي، أبو الفضل مُجَدِّ خليل بن علي بن مُجَدِّ بن مُجَدِّ مراد الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
- المرافي، أحمد بن مصطفى (1371هـ=1951)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة الطبع 1993م.
- مرتاض، الدكتور عبد الملك، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، سنة الطبع 1993م.
- مطلوب، الدكتور أحمد، معجم المصطلحات البلاغية، الناشر: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، سنة 1427هـ - 2006م.
- الموافي، الدكتور ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ-1995م.
- الموسوعة العربية العالمية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة 1419هـ-1999م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن مُجَدِّ بن إبراهيم النيسابوري (ت 518هـ-1124م)، مجمع الأمثال، تحقيق مُجَدِّ محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- ناليو، المستشرق كارلو، تاريخ أدب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، بعناية مريم ناليو، الناشر: دار المعارف - مصر، 1954م.

الهلاي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، الناشر: شركة الطبع والنشر الأهلية، الطبعة الأولى، سنة 1959م.

الواعظ، مصطفى نور الدين، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، تحقيق إبراهيم الواعظ، مطبعة الاتحاد - الموصل، سنة الطبع 1948م.

الوائل، إبراهيم، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، الناشر: مطبعة الإرشاد - بغداد، سنة الطبع 1965م.

الوردي، الدكتور علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الناشر: دار الراشد - بيروت.

يعقوب، الدكتور إميل بديع، وعاصي، الدكتور ميشال، المعجم المفصل في اللغة والأدب، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، سنة 1987.

يعقوب، الدكتور إميل وبسام بركة ومي شبحاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي - انكليزي - فرنسي، الناشر: دار العلم للملايين - لبنان، ط1: 1997م.

يعقوب، د. إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.



ÖZGEÇMİŞ

Mustafa Adnan Saleh Al-Hamdani, ilk, orta ve liseyi Bağdat şehrinde okumuştur. 1998 yılında Bağdat Üniversitesi, İbn Rüşd Koleji, Arap Dili Bölümü'nden onur derecesi ile mezun olmuştur. Halihazırda öğretmenlik alanında çalışmaktadır.

RESUME

Mustafa Adnan Saleh Al-Hamadani studied elementary, secondary and high school in Baghdad. He continued his studies and graduated from Baghdad University/ İbn Rushd Education College at Arabic Department with a (Very Good) grade in 1998. He has been working in the field of teaching at school since then.

السيرة الذاتية

مصطفى عدنان صالح الحمداني، درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينة بغداد، أكمل دراسته الجامعية في قسم اللغة العربية في كلية ابن رشد في جامعة بغداد وتخرج منه بتقدير (جيد جدا) عام 1998م. وحاليا يعمل في حقل التدريس.